# المقدمة

أعلـم أن نسـمات الهـواء تحمـلُ لكـيِ كلمـاتي وأن قلبـي يكـتمُ أهـاتي وألامي

, طـال البعـاد ولكـنَّ الموعـد آتٍ لتكـوني فيـه حـوريتي وحلالي أمـاً لاولادي

, مربيـةً لأجيـالي , فاصـبري ياملـاكي ورابطـي علـي قبلـك مـن الاهـاتِ حتـي

يجمع الله بين الشتاتِ لنكون تحت رضا ربنا الرحمنِ المنانِ عندها سأخذك الي

مدينـــــــــــــــــــة أحلـــــــــــــــــــامي

, عنـدما تكـوني حلالي لأمـلء قلبـك بكـل امـاني , وتكـوني امـا لأولادي ,

فيـاحوريتي اصـبري وصـابري فالموعـد قريـب كمـا وعـدني ربـي, وهـو علـي

جمعهم إذ يشاء قدير .

## إهداء

لكل من آمن بقلمي ، من عَلمني ،منساندني، من شجعني
كلماتي هي مجموعة مشاعر تعبر عما يشعر به قلبي ، أمي لكِ كل الشكر حبيبتي علي صبرك علي ، أساتذتي جزيتم خيراً علي كل ماتعلمته منكم ، شيخي جزاك اللّٰه خيراً علي نصائحك لي

إهداء

لكل قلب ذاق معني الحب ولكنّه أبي أن يفصح عما في قلبه لرضا ربه ،
لكل من عفّ قلبه عن الحب الحرام لينتظر حلال أبدي ،
إهداء لتلك الحورية التي سكنت فؤاد نفسي ، التي طالما دعوت ربي في صلاتي وقيامي و مناجاتي أن يجمعني بها
أقول لكِ
#ولنا_في_الحلال_لقاء

لـــ

أحمد عطا

الفصل الأول

بعنوان ( البداية )

يجلس على مكتبه شارد الفكر ممسكاً بقلمه عله يكتب شيئاً...يتذكر كل ما مر به لترتسم تلك الابستامة على شفتيه كيف يعقل أنه وصل إلى ذلك الآن؟ ..........

يستيقظ من نومه متأخراً متُثاقلاً ضاعت منه صلاة الفجر كان بالأمس ساهراً على إحدى المقاهي وقته ضاع ما بين غيبةٍ ونميمةٍ وفُحشٍ من القول لا تراه مبتسماً إلا قليلاً كثير العبوس دائم الغضب يفرح عندما يشاهد أغنية أو فيديو كليب ولا تتحرك مشاعره وهو يُضيّع منه الصلوات المفروضة يترك السنن الرواتب وقراءة القرءان الكريم ولا يحفظ شيئاً من أحاديث النبي ρ رغم أنه يحفظ الكثير من الأغاني وأسماء المشاهير، عندما تتأمل معاملته مع الناس تجده سيئ الخلق ، الكثير من الناس يشتكون منه، أمه وأبوه وأخته يشتكون منه بسبب أخلاقهِ فى البيت، المسجد يشتكى من عدم دخوله فيه والمصحف والآيات تشتكى من هجرهِ يذكُر هو آخر مرة أمسك بها المصحف كان فى رمضان الماضى حياته بين لعب ولهو، إذا سألته عن أسماء العشرة المبشرين بالجنة فسيقول لك لا أدرى، إذا سألته عن غزاوات النبى ρ يتعجب منك وكأنك تكلمهُ بلغةٍ غير عربيةٍ، قلبه مليء بالحقد والحسد والكراهية لكثير من أهل الإيمان والصلاح ، كثيراً ما يشعر بالضيق والاختناق رغم أن حالته المادية ميسورة وفى الجامعة يصاحب الكثير من الفتيات ومعروف بالسمعة السيئة وسط أصدقائه ، يجتمعون عليه الشباب نظراً لأمواله الكثيرة إذا رأى صاحب لحية يهزأ به وينتقص من قدره وحين يشاهد شخصاً يحافظ على سنن النبى ρ يحمل له بغضاً وكرهاً فهو فى نظرهِ متشدد رجعى فهو لا يعرف اسماً واحداً من أسماء النبى إلا اسم محمد أما أحمد ومصطفى والحاشر وغيرها فلا يعلم شيئا عنها ، يكفيه أن يجرى وراء شهواته وملاذاته وكعادتهِ يذهبُ متأخراً على جامعته يستقل سيارته الفارهة وفى طريقة يرن هاتفه .....

- إنت فين يا يوسف إتأخرت ليه ؟

- خلاص فى الطريق أهو . إنتِ وصلتى ؟

- أه والشله كلها ........ قالتها هايدى صديقته .

- يصل يوسف إلى الجامعة وكعادتهِ يجلس مع أصدقاء السوء وكلما مر عليه صديق عمرهِ إسلام تذكر ذكرياته معه وكيف كان حبه له شرد يوسف قليلا ليتذكر إسلام ومغامراته فى الثانوية تذكر حاله وقتها ثم تذكر حاله الآن تذكر قول إسلام له ..........

- قد تعاهدنا على السير معاً إلى رضا الله يا صديقى .

ولكن سرعان ما تغلبه نفسه وتذكر أنه يكره الملتحين فقد قطع علاقته بصديقه عندما قرر إطلاق لحيته وأصبح يبغضه ولا يحب النظر إليه .

وعلى العكس فإن إسلام يتودد إليه ويحاول مراراً أن يتحدث معه ولا يريد أن يتركه على هذه الحالة فإسلام يشعر أنه مسؤول عن صديقه خصوصاً أنه صديق الطفولة اقترب إسلام منه قليلاً وقال ........

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ممكن كلمة على انفراد يا يوسف ؟.... قالها إسلام وهو ينظر إلى الأرض غاضاً بصره عن صديقات يوسف.
- ليه ....... وبعدين وشك فى الأرض ليه بص لى وانت بتكلمنى ... قالها يوسف ونبرة صوته مليئة بالحدة

يشعر إسلام برد يوسف عليهِ كأنه سهمٌ وقع فى قلبه ولكن يتذكر قول ربه Y (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

- حاضر هبوصلك لما نتكلم سوا .

يقوم يوسف من وسط الفتيات ويمشى متبختراً أمامهم ولا يعلم المسكين أن هذه المَشية يبغضها الله ورسوله

- انا خايف عليك يا يوسف انت مكنتش كده عجبك اللى انت فيه إيه اللى حصلك
- ها خلصت كلامك..... كل مرة تقولى نفس الكلام وأكسفك وأقولك أنا عجبنى حالى كدة
- انت اتغيرت قوى .... أسأل الله لك الهداية

ويتركه إسلام ويرحل فقد شعر بما لا تُطِيقه الصدور ولكنه يتحمل من أجل الله Y ويدعو ربه مراراً فى سجوده بصلاح حاله .... يتذكر إسلام حال يوسف فيما مضى تذكر نشاطه فى الطاعة وفى الدراسة وتعرف أصدقاء السوء وأوقعوا به فى شباكهم العنكبوتية بدأ بالسيجارة ثم الجلوس مع الفتيات ثم سهر ثم تدهور فى أخلاقه ومعاملاته وعلاقته بعائلته ثم صديقه إسلام خصوصاً عندما التزم بالسنة النبوية .

كان أصدقاء السوء يبثون السم داخل قلبه وعقله حتى أصبح قلبه عليه ران لا يتأثر بآيات الله التى تتحدث عن عقابه لمخالفة أوامره والبعد عن طاعته ..... هجره للمسجد ترك فى نفسه البغض للصالحين .

رجع يوسف لأصدقاء السوء ويسأله أحدهم .....

- كان عايز منك إيه يا يوسف؟
- وهى حاجة تخصك يا عم إيهاب ...... قالها يوسف بنبرة ذات حدة
- لا يا كبير مقصدتش بس بطمن عليك أصلهم مش سهلين بتوع الدقون دول
- لا يا بابا خاف على نفسك ولا عشرة زيه يأثروا معايا
- خلاص بقى يا جماعة المهم هنروح فين النهاردة يا يوسف ..... قالتها هايدى وهى تتدلل على يوسف
- تحبى تروحى فين يا توته؟
- اللى انت تختاروا يا حبيبى.

تنتهي الجلسة وقاموا لتلبية شهواتهم وملذاتهم بينما إسلام يلبى نداء الحق ويذهب إلى المسجد وكعادته يبكى لربه ليرد رشد صديقه فهو حقا يحبه فى الله.

# الفصل الثاني

# (أسرة سعيدة)

تتلخص حياتنا في بعض المبادئ التي تكون سببا في تكوين شخصياتنا والتعايش مع المجتمع وقد تكون بالسلب والإيجاب

- ماما أنا جيت

- حمدلله علي سلامتك ياحبيبتي طمنيني عملتي إيه النهاردة.

- الله يسلمك ياست الكل.....زي كل يوم بس واحد من الأمن حب يشوف نفسه ورخم عليا وكرنيهك و النقاب والكلام ده بس الحمد لله ربنا ستر

- الحمد لله ربنا يبعد عنك الأذى...هتتغدي دلوقتي ولا مع إخواتك.

- لا هستناهم ياست الكل

تدخل مريم غرفتها طالما عشقتها، تشعر بأنها مملكتها فهي اختارت كل جزء فيها الأثاث ، الستائر ، ألوان الغرفة التي تشعرها بالفرحة عندما تنظر إليها.

أنهت صلاتها بعد أن قامت بتبديل ملابسها والتهيؤ للصلاة ، تتصفح حسابها على موقع التواصل الاجتماعي لتقوم بالرد على رسائل أصدقائها، دائما يأخذون برأيها في الموضوعات الهامة ، تفتح إحدى الرسائل لتجد

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أنا مالقتش حد يساعدني غيرك أنا في مشكلة كبييرة ومحدش هيساعدنى غيرك .....أنا من فترة قدمت في دورة علم شرعي أونلاين يعني عالنت وكنت مجتهدة وبحضر باستمرار لحد ما في يوم لاقيت رسالة من الدكتور من حسابه الشخصي بيقولي..أنا بشوفك باستمرار وبتحضري محاضراتي بس بقالك محاضرتين كدا غايبة فقلت اطمن عليكي...مش هكدب عليكي أنا فرحت أووووي باهتمامه وخصوصا إن أي بنت تتمني ترتبط بواحد ملتزم ورديت و قولت ....أنا متشكرة جدا يا دكتور وحضرتك أدخلت السرور علي قلبي .

بس الموضوع خلص على كدا حصل بينا كلام كتيير وبصراحة أنا كنت برد عليه ومافكرتش أوقفه لحد ما في مرة قالي أنا معجب بيكي ترضي تكوني زوجتي الثانية؟

أنا ضحكت و افتكرته بيهزر وقولتله أنا زي بنتك يادكتور..قالي بس أنا بحس من ناحيتك بمشاعر تانية..أنا هاجي أكلم باباكي ..أنا مصدقتش الكلام ..الكلام كتر أووي بينا لحد ماحسيت إنه تجاوز حدوده وأنا مش هكدب عليكي أنا كنت برد عادي لحد ما في مرة قالي امسحي الشات كله بسرعة ممكن حد يشوفه ده إللى حصل باختصار...مش هنكر أنا غلطانة واديته الفرصة إنه يعمل كدا بس ربنا يعلم إني ندمانه قد إيه ساعديني بالله عليكي.

تتساقط دمعات مريم من بين جفونها كنهر جارٍ،تشعر بالأسى والحزن عليها وعلى الكثير من أمثال تلك الفتاة، فكثير من الفتيات في بداية التزامهم يبنون أحلامهم على زوج مثل الداعية فلان والشيخ فلان وهذا هو سبب من أسباب الفتنة "فالملتزم لايُفتن إلا بملتزمة، والملتزمة لا تُفتن إلا بملتزم" تمسح دمعاتها من علي وجنتيها وتقول في نفسها اللهم ألهمني الرشد والصواب.

تبدأ مريم في الرد علي تلك الرسالة

- أولاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثانياً: كويس إنك حاسة ياحبيبتي إنك غلطانة...كلنا يا غالية معرضين للفتنة، والشيطان مش هيسيب الإنسان في حاله وهيفضل وراه لحد ما يموت....اللي إنتي فيه ده اسمه فتنة من باب الطاعة يعني الشيطان دخلك من باب الطاعة وإنتي أعجبتي بالمدح فيكي وكلام الدكتور هز قلبك وأكيد ردك كان عامل أساسي إنه يكمل كلامه معاكي هو معذور بس مش مبرر إنه مش غلط محدش فينا معصوم من الغلط أسأل الله أن يحفظنا، ربنا يسامحه ويهديه، وإتي بقي تقفلي الباب ده خالص مافيش حاجه اسمها معهد أونلاين والكلام ده، والباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح .. خلي بالك الشيطان مش هيسيبك في حالك وربنا هيختبر توبتك إن كانت صادقة ولا لأ، داومي علي الاستغفار ياحبيبتي و البكاء لربنا أوووي، واشكري ربنا على ستره عليكي، تخيلي لو حد عرف وخصوصا إنك بنوته وسُمعتك أكيد غالية عليكي وعلي أهلك، وابقي طمنيني ياجميل.

أنهت رسالتها وسمعت صوت أخيها الصغير خارج غرفتها يسأل والدتها عنها ثم يدخل فجأة غرفتها ويقول

- أبلة مريومة حبيبتي وحشتيني.

- يابكاش..إنتت مش لسه سايبني الصبح قبل ما تروح الحضانة

- طيب فين البنبوني بتاعي.

- قول كدا بقي... اتفضل يا أستاذ أسر، إنت تؤمر ياحبيبى.

- هيييييه أنا بحبك اوووي يا أبلة مريومة.

تخرج مريم من غرفتها حاملة أخاها الصغير....ثم تسمع طرقات على الباب بشدة.

- ساعة عقبال ما الباب يتفتح؟

لا مش ساعة يا أستاذ صهيب...وبعدين فين مفتاحك.

- معرفش....ماما حضري الأكل عشان جعان أوي وعندي درس شوية

يارب تنجح يا صهيب يااارب ...قالتها مريم.

- يااارب عشان أنا اتخنقت من المذاكرة وقرفها بصراحة...... معلش يا مريم أنا آسف إني زعقت.

- اتخنقت !! تانية ثانوي و اتخنقت .....ولا يهمك يا أستاذ بسا حسابك هقتلك المرة الجاية ... قالتها مريم وهي تمزح.

يعود والد مريم من عمله ويجلسون سوياً على مائدة الغداء.

- صهيب.. صليت الظهر

- لسه يا بابا هخلص و أصلى.

- طيب يا بني.... بس بعد كدا ما ينفعش تأخر أمر ربنا عشان يحبك ويرضى عنك.

- حاضر يابابا...دعوات حضرتك.

يعمل الأستاذ عبدالله فى إحدى شركات الاستيراد والتصدير في مركز مرموق بها بشوش الوجه صاحب جذور صعيدية كثير السفر نظراً لطبيعة عمله.

------------------------------------------------------------

أنهى يومه ورجع إلى منزله وكان والده في انتظاره.

- كنت فين يا يوسف لحد دلوقتي؟

- كنت مع صحابي

- هو كل يوم يابني كدا...شوف مذاكرتك ومصلحتك عشان تشيل حمل الشركة أنا مش عايشلك كتيير نفسي أحس إنك قد المسئولية.

يمتلك البشمهندس جمال المصري إحدى الشركات الهندسية للبناء والإنشاء.

- هو كل يوم يابابا كدا تحرق في دمي وتسمعني الكلمتين دوول أنا زهقت.

قالها يوسف وقد علا صوته على والده...انصرف يوسف إلى غرفته وقد اشتد غضبه بينما يشعر والده بالأسى عليه من تغيير حاله إلى هذه الحالة.

الحلقة الثالث

بداية جديدة

من الجميل أن تجد من يستمع إليك، يهون عليك، يواسيك، والأجمل أن يكون ذاك هو الأخ أو الأخت، وعندما تشتاق إلى أن تتحدث معه تجده يلبِّي نداءك دون أيّ تردد .

- مين بيخبط؟ قالها يوسف بنرة يعتليها الغضب.
- أنا سديم.
- في حاجة؟
- محتاجة أتكلم معاك.

تدخل سديم الغرفة وترى يوسف قد اشتاط غضباً من حديث والده.

- مالك يايوسف؟
- يعني مش عارفة مالي...كلام بابا وكل مرة يحرق فيها دمي

اقتربت منه قليلا وربتت بيدها على كتفه قائله:

- علشان ياحبيبي هو بيحبك وخايف عليك...وبعدين يا يوسف إنت زودتها شوية و......

لم تكمل جملتها ليقاطعها يوسف لينهال عليها بكلماته الحادة مثل السيف

- إنتي إزاي تتكلمي معايا كدا.... إنتي نسيتي نفسك إني أنا الكبير ولا إيه...والله عال، الصغيرين بقوا يتكلموا....امشي روحي على أوضتك مش عايز أشوفك.

تخرج سديم من غرفتها وقلبها منكسر كقطع الزجاج المبعثر على الارض تجهش نفسها بالبكاء.ارتمت على سريرها، احتضنت وسادتها، وتمنت لو كان لديها أخ يسمعها و تشتكي له، تبوح له عما بداخلها يكون لها المأوى وقت الصعاب، تمنت لو كان يوسف قادراً على احتوائها فهي كمثل باقي الفتيات تتمنى أن يكون لها أخ يحتوي ما بها من أوجاع وآلام.
أرادت أن تقول له إن أحد الشباب أراد أن يأتي ليتقدم لها وفضلت أن تأخذ رأي أخيها الأكبر قبل أبيها...قامت وفتحت حسابها على موقع التواصل الاجتماعي لتكلم صديقتها إسراء لتخبرها أن الأمر لم يفلح...وما كان من الأخرى إلا أنها أسرعت بالرد عليها تنصحها بأن تعرض الأمر على مريم لتأخذ برأيها

لحظات قليلة حتى أرسلت سديم لمريم تقول

- السلام عليكم مريم محتاجاكي ضروري ومش هينفع فيس ممكن نتقابل في الكلية؟

ردت عليها بالموافقه وتم تحديد الموعد

وكعادته يستيقظ متأخرا ليلبى نداء شهواته وملذاته، استقيظ ليجد والدته تعاتبه على ما بدر منه أمس لتتفاجئ بالرد الذي أصاب فؤادها

-خلاص ياماما قوليله مايتكلمش معايا

---

يترك والدته وحدها وينصرف ...لا تدري والدته ماذا حل لابنها؟ تسأل نفسها: أهذا يوسف الذي كان يقبل يدي ورأسي؟ أهذا ولدي الذي كان سبب فرحتنا في منزلنا؟...وتسقط دمعاتها رغما عنها ولا تملك إلا أن تدعو له بالصلاح

----------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وصلت سديم إلى الجامعة

- إنتي فين يا بنتي
- عند الكافيتيريا مستنياكي

تلتقي سديم بمريم ويجلسان سويا ...شعرت سديم أنها بين أيدي أمينة لتبوح لها عما تخفيه ولا تعرف أهذا صحيح أم ماذا؟
بدأت سديم في سرد قصتها مع عمرو زميلها منذ أن كانت في الثانوية العامة لتخبرها أنها على علاقة به إلى الآن؛ لأنها لم تشعر بالأمان إلا معه ولا تجد من يسمعها إلا هو فتعلقت به تعلقا شديداً وذكرت لها أنه أراد أن يأتي لخطبتها ولكنه خائف أن يتم رفضه بسبب حالته المادية ..وعندما عزمت على إخبار أخيها حدث لها ما حدث معه....لحظات قليلة حتى انفجرت من البكاء .....بكت سديم على حالها؛ لأنها تشعر أنها وحيدة، لا تدري ماذا تفعل؟
مدت مريم يدها تمسح دمعات صديقتها التي تسللت من بين جفونها وشدت علي يدها وقالت:

-أولا ياسديم ياحبيبتي ماينفعش يكون بينكم أي كلام خالص ولا فون ولا فيس ولا أي اتصال بدون ارتباط شرعي لحد ما ربنا ياحبيبتي يكرمكم مع بعض.

وأخذت مريم تتحدث مع سديم عن الله وحب الله ورسوله حتى أصاب كلامها فؤاد سديم فقررت من تلك اللحظه أن تترك كل شيء من أجل الله ....قامت سديم وأرسلت رسالة مفصلة لعمرو تخبره عن قرارها وأنها سوف تدعو الله إن كان الأمر خيراً.....أنهت رسالتها وتطلب سديم من مريم طلباً بل هو رجاء فقالت:

- مريم ممكن ماتسبنيش أبدا نفسي أقرب لربنا أوووي أنا كنت بشوفك معايا في القسم بس كنت بخاف منك مش عشان النقاب بس مش عارفه بس دلوقتي أنا بحبك أوووي أكتر حد بحبه

تبتسم مريم مخلفة احمرارا على وجنتيها خلف نقابها وتقول:

-أنا بقى اللي حبيتك أووي...بس أنا كيوت والله مش بخوف.

انتهى اللقاء الذي كان بداية لصداقة أبدية إلى الممات، هكذا تعاهدت مريم وسديم ...ثم صعدتا سويا لاستكمال باقي المحاضرات.

تدرس كل منهما في كلية الآداب جامعة عين شمس.

---------------------------------------------------------------------------

- يوسف إهدى شوية إنت ماشي بسرعة يا مجنون هاتموتنا قالتها صديقته.
-إنتي بتخافي ولا إيه وبعدين جمدي قلبك كدا.
يوسف !!! حاسب....حاسب

لحظات قليلة وفقد يوسف السيطرة على سيارته لتنقلب بهما علي الطريق السريع......

الفصل الرابع

(المصير)

قد تكون لحظات قليلة تفصلك عن عالمك المنتظر.....لحظات وترى نتيجة عملك في تلك الدنيا الفانية، لايغرنك حلم الله و لا يغرنك إمهاله لك فقد يعطيك الفرصة مرة واثنتين ولكن نفسك تدعوك للعصيان فألجم شيطان نفسك حتى تنجو بها إلى الجنة.

يرن هاتف المنزل وترد الأم على المتصل لتسقط مغشياً عليها ....تسرع سديم إلى والدتها لتمسك بسماعة الهاتف وتتلقى خبر أخيها بأنه فى المشفى في حالة حرجة ... تتصل سديم بوالدها لتخبره بما حدث لأخيها

يصل والد يوسف كالمجنون إلى المشفى لا يدري كيف وصل بهذه السرعة إلى هناك ولكن كل ما يشغل باله هو الاطمئنان على ابنه الوحيد.
يسأل عليه في قسم الاستقبال ليخبروه أنه الآن داخل العناية المركزة فحالته حرجة لا تسمح بالانتظار..يسأل الطبيب المسؤول ويطلب منه أن يشرح حالة ابنه
يتفاجئ والد يوسف من كلام الطبيب كيف لابنه أن ينجو من ذلك الحادث ولكن هذا مراد الله أراد له النجاة لعله يتعظ
يخبر الطبيب والد يوسف بوفاة الفتاة التي كانت معه.. يبكي رغما عنه على ما وصل إليه ابنه...يحدث نفسه قائلا..كيف لو كان ابني الذي مات بدلا منها وما مصيره؟ فاللهم اهدِ ابني ورد إليه رشده

تصل الأم وسديم إلى المشفي بعد أن استعادت بعضاً من قوتها لتصرخ قائلة:

-عاوزه أشوف ابني وروني ابني
يضمها زوجها بين ذراعيه و يقبل رأسها و يخبرها أنه داخل غرفة العمليات لسوء حالته

ساعات الانتظار طويلة تكفي بأن تمزق قلوبهم من الخوف على يوسف تتذكر سديم كلام مريم فتسارع لأخذ مصحفها من حقيبتها وتفتحه و تبدأ في قراءة سورة يس ...تقوم الأم بالدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعلي ...الأب ليس له حول ولا قوة

بعد مرورما يقارب من خمس ساعات يخرج الطبيب ليخبرهم بما لا تطيق له الأنفس....
رحل يوسف..نعم رحل إثر هذا الحادث المروع

حالة من الصدمة على والده..تفقد والدته قوتها و تلقي بجسدها على ذلك الكرسي ...تنهار سديم وترتمي بين أحضان والدتها ...يتمالك الوالد نفسه و يقوم بإنهاء الإجراءات المطلوبة واستخراج تصريح الدفن يصل الخبر إلى إسلام صديق طفولته و ينهار من البكاء فهو يعلم ما مات عليه صديقه، ترى ماذا يصنع في قبره وهو وحيد ولا أنيس ولا جليس ولا حتى عمل خير ينجيه ...يجلس إسلام على أقرب كرسي بجانبه فهو مازال تحت تأثير تلك الصدمة ...يستجمع إسلام ما بقي من قوته ليذهب مسرعاً إلى المشفى.

يستأذن إسلام والد يوسف ليقف على غسل صديقه .....تتساقط دموعه حزنا على صديقه ينظر إليه ويبكي ويبكي....دائما كان يراه عابس الوجه عندما يلتقيه فلم تعرف الابتسامة وجه يوسف منذ فترة..

انتهى غسل يوسف ثم شُيعت جنازته إلى المسجد ليتم الصلاة عليه...لم يدخله على رجله من قبل فدخله اليوم محمولا على الأعناق...اشتكى المسجد من هجره إليه ..
يبكي إسلام على صديقه على هجره لطاعة ربه فيدعو الله أن يخفف عنه ما به

يجلس إسلام في السيارة التي تحمل جثمان يوسف إلى مثواه الأخير ..يتحدث إسلام بصوت مهموس قائلا

- ياما نصحتك يايوسف ياما قولتلك الموت ما يعرفش صغير ولا كبير يا ما ذكرتك بقدرة ربنا يااااه يا يوسف
ويدخل في نوبة من البكاء الهستيري..لما يعلم ما ينتظر صديقه

تتوقف السيارة قرب المقابر...يسمع إسلام بكاء حوله من أقارب يوسف وأصدقائه

لحظات قليلة ويضم القبر يوسف ضمة موحشة تكسر العظام......يدعو والده ربه أن يخفف عنه..ولكن كيف النجاة إذ لم تكن مستعداً بأعمال تنجيك منه...جميع الحضور يعرفون ما كان عليه يوسف وكيف كان لموته عظة كبيرة لجميع أصدقائه.
غاب أصدقاء السوء عن الحضور فمن المؤكد أن قلوبهم لاتستطيع أن تتحمل رؤية القبر وظلمته.
بعد الانتهاء من وضع يوسف في مكانه طلب إسلام من الجميع أن يدعوا له بظهر الغيب لعل دعوة أحد الصالحين تكون سبباً في تخفيف ما قد يلاقيه.
لحظات وتم إغلاق المكان عليه، تركوه وحيداً فلا يملكون له ضراً ولا نفعاً فكما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -"يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله، يرجع اثنان و يبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله"
ترى ما أغنى عنه ماله وجماله، لم يغنيا عنه شيئاً.
لحظات قليلة ويغادر الجميع و يتركونه وحيداً
كأن يوسف يشعر بهم و كأنه يسمع من يقول له
- قوم يا يوسف.......قوم يا يوسف.

# الفصل الخامس
# (الصدمة)

نعيش في دنيانا ونتخبط فيها ما بين الخير والشر ولكن يرسل الله لكل منَّا رسالة خاصة لعله يتذكر، يتعظ ومن الجميل أن تأتينا تلك الرسائل لتكون سبباً فى صحوتنا ومحاسبة أنفسنا والرجوع إلى الله.

يفتح يوسف عينيه وينظر حوله مندهشاً ويسأل نفسه "ترى أين أنا" يسمع صوت سديم أخته وهي تقول

-يوسف...يوسف...يا لا قوم اتأخرت على الكيلة يا بني.

مازال يوسف في حالة من الصدمة أيعقل أن يكون حُلماً؟...نعم إنه كذلك...يمسح العرق من على جبينه بعد أن تصبب منه وكأنه غارق فيه...ملامح وجه توحي بالخوف الشديد مما لفت انتباه سديم فقالت

-م الك ياحبيبي شكلك متغير ليه كدا؟
يأخذ يوسف تنهيدة خفيفة ويقول
-شوفت حتة كابوس..بس الحمد لله إنه حلم مش حقيقة.
- طيب ياحبيبي اتفل على شمالك ثلاث مرات و قول أعوذ بالله من شر هذه الرؤيا..ويا لا عشان مستنين سيادتك على الفطار.

يقوم يوسف من سريره الذى أصبح كبحيرة من العرق ليذهب ليأخذ حمام ....يقف تحت الماء الساخن شارداً في ذلك الحُلم الذي راوده ترى هل هي رسالة من الله؟ قالها في نفسه.

- صباح الخير يا بابا...صباح الخير يا ماما
- صباح الخير يا بني قالها الأبوان...ثم تابعت الأم قائلة:
- مالك يا بني وشك أصفر ليه كدا؟
- ما فيش يا ماما الحمد لله أنا كويس

ينتهي يوسف من تناول الإفطار ويوجه حديثه إلى أخته

- سديم....رايحة الكلية أوصلك؟
- اه يايوسف بس عندي محاضرات متأخر روح إنت.

يأخذ مفتاح سيارته ويذهب إلى الجامعة....في الطريق يتصل بصديقه إسلام.

_ألو..إسلام إنت فين؟
-وعليكم السلام يا أستاذ..أنا داخل على الكلية أهو.
-طيب ماتدخلش المحاضرة عشان عاوزك في حاجة مهمة.

يدرس يوسف الهندسة المعمارية...كان هذا حلمه منذ الصغر أن يصبح مهندساً في تخصص والده

يصل يوسف إلى الجامعة وأثناء نزوله من سيارته تقابله هايدي صديقته.

- جوجو وحشتني.
- معلش يا ها يدي هجيلك تاني بس عشان إسلام مستنيني.
تلاحظ هايدي الحالة التي تظهر على يوسف ثم تقول:
- إسلام...إسلام...ربنا ياخده و نرتاح منه عاملي فيها شيخ وواعظ ديني.

هكذا حال بعض العصاة لايحبون أهل الدين والملتزمين بشرع الله.
يصل يوسف إلى إسلام...يشعر كأنه غارق ويوسف هو قطعة القش التي ستنقذه.
يجلس يوسف مع صديقه ويقص عليه ما رأى في ذلك الحُلم
لحظات قليلة وتتعالى ضحكات إسلام قائلاً:
- بقي أنت كنت بتكرهني أوووي كدا ... لأ وكمان كنت بنصحك وأنت بتتريق عليا إنت والشلة
-إسلام مش وقت هزار والله ...طمن قلبي والله أنا خايف
-يا بني أنا ماليش في تفسير ...بس يا يوسف أوقات ربنا بيبعتلنا رسايل كدا تذكرنا بيه وده من حبه لينا والله.
- بس أنا مش وحش أوووي كدا يا إسلام...أنا مش ملتزم زيك و مقصر في الصلاة بس مش شيطان زي اللي كان في الحلم.
- بص يا حبيبي... الصلاة لو ضاعت سهل أووي تضيع حاجات كتيير بعدها هتلاقي نفسك بتتخلى عن حاجات أنت كنت بتعملها ... احسبها يا يوسف ممكن تكون رسالة وربنا بيذكرك.

(إسلام..هو صديق يوسف منذ الثانوية تعرفا فى إحدى المراكز التعليمية...أحبه يوسف لما وجد فيه من سمو الاخلاق و الالتزام ورقيٍّ في التعامل...يحاول إسلام أن يأخذ بيده ونجح في أيام الثانوية ولكن بعد أن التحقا بالجامعة ابتعد يوسف عنه ولكن إسلام لم ييأس ولنْ ييأس، ويحاول معه).

أنهى الصديقان حديثهما ليصعدا إلى المحاضرة...وبعد الانتهاء يذهب يوسف إلى صديقته هايدي بعد أن اتصل بها.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تصل سديم إلى جامعتها وتتصل بصديقتها مريم لتقابلها...تعرفت عليها مريم في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية فصارتا مقربتين منذ ذلك الحين.

- السلام عليكم ..وحشتيني أوووي يا مريومتي.
- وعليكم السلام....إنت أكتر يا سديم...يابت مش بقدر أبعد عنك يوم واحد..أمال أما تتجوزي هعمل إيه؟

تضحك سديم على كلام مريم فهي تعلم كم هي صادقة في الحديث فالحب في الله أسمي أنواع الحب وقد يكون رزق الله لك صُحبة صالحة تعينك على الوصول إلى الله – تعالى -.

تجلس الفتاتان ويبدأ الحديث بينهما، تذكرا سويا تلك الأيام وتحديداً مركز الأوائل التعليمي الذي كان فيه أول لقاء بينهما وكيف لأ رواحهم أن تتلاقى بذلك الشكل الذي يمكن أن نقول عليه "روح واحدة في

جسدين".
فأول ما لفت انتباه سديم في مريم نقابها الذي كان لا يظهر منها أي شيء حتي عينيها مما جعل سديم تعجب بها، كيف لفتاة في ذلك الزمان أن تخفي زينتها ومفاتنها عن أعين الذئاب مما كان سبباً قوياً في معرفتها بها ..أصبحت علاقتهما قوية وأصبحت مريم هي الصديقة القربة لسديم مما جعلها تتشبه بها فارتدت النقاب بعدما أقنعتها أن هذا يشبه زي أمهات المؤمنين ..تلاحظ سديم شرود مريم عنها من طريقة حديثها فتقول...

- مالك يامريم حاسة فيكي حاجة؟
- ها... أخويا يا سديم تعبنا أووي في البيت مش بيصلي وتعبت معاه معرفش أعمل إيه؟
- معلش ربنا يهديه كل الشباب إلا من رحم ربي كدا...حتي أخويا بردو نفس الكلام ربنا يهديهم.
-آميييين ياااارب.
لحظات قليلة وتشعر سديم بأنها بعالم آخر تحاول أن تقاوم وتفتح عينيها ولكن لا مفر فقدت وعيها بسبب ضعفها الشديد مع حرارة الجو الزائدة ....حالة من الرعب تجتاح مريم لا تدري ماذا تفعل؟ أسرعت هي وزميلاتها بإسناد سديم إلى العيادة .....مريم تائهة ...حائرة لاتعلم كيف تتصرف في ذلك الموقف؟...اقترحت عليها إحداهن أن تتصل بوالدة سديم لتخبرها .....أسرعت لتخرج هاتفها فوجدت أنه يصدر رنيناً معلناً اتصالاً..." أخي يوسف " لم تشعر مريم بشيء عندما رأت اسم المتصل فسارعت بالرد قائلة..
- سديم أغمى عليها في الجامعة تعال بسرعة قالتها وهي تبكي ...شعر يوسف بقبضة في قلبه...فهي أخته...لم يشعر بنفسه إلا أنه استقل سيارته وذهب إلى كليتها..التحقا الاثنان بالجامعة نفسها إلا أن الكليتين مختلفتان.
يدخل يوسف مسرعاً...لم يشعر بالمسافة التي قطعها و لم يشعر بصديقته هايدي عندما تركها بمفردها فور سماع ذلك الخبر....يصل يوسف إلى العيادة ليجد سديم قد استعادت وعيها، يسرع إليها ليكون صدره مأوى لها....ضمها إليه وقبل رأسها وقال:

- سديم مالك يا حبيبتي ....طمنيني عنك.
- أنا بخير يا يوسف الحمد لله زي القردة أهو .... البركة في ربنا ثم مريم، ربنا يبارك فيها.

ينظر يوسف خلفه فلم يجد سوى مريم.....قال في نفسه" طيب إنت مديانا وشك ولا ضهرك بالسواد ده كله".
لم يحب النقاب قط حتى أنه عارض أخته عندما ارتدته، كان يستهزأ بها دوما ويقول " بقيتي عاملة زي البتنجانة السودا...بقيتي شبه الصندوق الأسود " ولكن بعد ترحيب والده وموافقة والدته تقبَّل الأمر،
كانت مريم منحنية الرأس تنظر إلى الأرض من شدة الخجل، لا تهمس بحرف واحد؛ فهذا الموقف يربكها حقا.
اتجه يوسف وهَمَّ بفعل شيء لم تكن تتوقعه أخته.....

# الفصل السادس
## (القب يدق)

قد لا نعتاد على تصرفات البعض تجاهنا قد نجدها تصرفات غريبة ولكنها في الحقيقة حكمة لن يفهمها إلا القليل...ليس كل ما نحبه نحصل عليه، وليس كل ما نشتهيه نأخذه..فالنفس لا تشبع ولا تمل...

يقترب يوسف ويمد يده ليصافح مريم ليشكرها على ما فعلته تجاه أخته، ولكنه وجد ما لم يكن في حساباته.

-آسفة مش بسلم على رجالة.

وقعت كلمات مريم كصاعقة رعدية ضربت برجاً ما مخلفة دماراً شاملاً...فهي أول فتاة تفعل معه هكذا؛ فكثير من الفتيات أحلامهنَّ بأن يصحبهنَّ يوسف داخل سيارته.

وقف مكانه لا يدري ما يفعل وسط الطالبات ودكتورة العيادة لم يستطيع أن يتمالك نفسه ليقول لها:

- هو ليه التكبر اللي إنتى فيه ده يا آنسة؟

لم تتحرك مريم من مكانها فهي ثابتة كالوتد ...اصطحب يوسف أخته إلى المنزل بعدما طمأن والدته.
وفي طريقهم إلى المنزل... لم يتحدث يوسف بكلمة واحدة، تلاحظ سديم شرود يوسف غير الطبيعي ...يفكر فيما حدث مع مريم، ويحدث نفسه قائلاً" لِمَ هي تختلف عنهم؟ لماذا؟..ولكنها متكبرة للغاية " يقطع شروده صوت سديم و هي تصرخ و تقول:

- حاسب يا يوسف...حاااسب.

كاد أن يصبح حلمه حقيقة ..ولكن قدر الله.

- هي صحبتك ديه مين و بتتكبر علي إيه؟

تتفاجأ سديم من سؤال يوسف على مريم ....لماذا هو مهتم بها إلى هذا الحد؟؛ فهي تلاحظ شردوه منذ ذلك الموقف...لتصدمه بردها القاطع:

- ريح نفسك ديه مش زي أي واحدة عرفتها، فما تسألش عنها أحسن يا يوسف.

لم يجد كلمات تخرج من بين طيات قلبه المنكسر من رد أخته القاطع .....وصلا إلى المنزل، واطمأنَّت الأم وهدأ قلبها.
صعد يوسف إلى غرفته؛ ليلقي بجسده على سريره، وينظر إلى سقف غرفته ويشرد فيما حدث مرة أخرى، ويتعجب أن هناك فتاة تفعل ما فعلته مريم .
لم يكن يعلم أن هناك فتيات يحافظن على أنفسهن؛ فكل ما يعلمه عن الفتيات أنهن أمثال هايدي.
تنهيدة تخرج من بين أضلاعة مخلفة دقة في قلبه لم يشعر بها من قبل و يقول:

- يارب مراتي تبقي زيها.
يغلبه النعاس فيخلد في نوم عميق....لم يستيقظ إلا علي رنين الهاتف.. ينظر إلى اسم المتصل؛ ليظفر ظفرة ضيق؛ فكانت هايدي المتصل.

- إيه يا هايدي؟
- إيه يا هايدي....ده اللى قدرت عليه ..سبتني لوحدي ولا فهمتني في إيه ولا حاجة، ولا هان عليك تتصل.
- معلش أختي تعبت ومكنتش فايق.
-لا، ألف سلامة ...طيب هي كويسة دلوقتي؟.
- أه، الحمد لله.
- وإنت عامل إيه ياحبيبي؟
- كويس...بقولك هقفل ماما بتنادي عليا، وهبقي أكلمك...سلام.
- سلام.
أنهى مكالمته؛ ليجد نفسه بعدها يفكر لأول مرة في علاقته بهايدي ويفكر في مريم، ولكنه يحاول أن يخرج تلك الفكرة من عقله؛ فهي لا ترضى بأمثاله.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

وفي الصباح يتجه يوسف نحو كليته ولا يكف عن التفكير في أمر مريم...هكذا طباع بعض الرجال لا يقبل أن ترفضه أنثى...لا يرضى أن تتركه وترحل.
تقابله هايدي على بوابة الكلية ولكنها لم يرها ...بعد أن نزل من سيارته أخذت هايدي تصرخ في وجهه نتيجة إهماله لها، لم تعتد على تلك المعاملة، كان يصبُّ عليها من الدلال صباً حتى أصبحت متيمة به...ولكنها تفاجأت برده أنه يريد أن يقطع علاقته بها؛ لأنه لم يحبها، ولا يستطيع أن يكمل معها.
وقعت كلماته عليها كالسهم الذي أُطلق من كبد قوسه أصاب قلباً فاخترقه..يتركها يوسف وحيدةً ويمضي قُدماً...نظرات زملائها لها كأنهم يأكلون من جسدها...تقف صامتة للحظات ثم تقسم لنفسها بالانتقام منه مهما كلفها الأمر، ستذيقه من الكأس نفسها الذي سقاها منه.

يعلو رنين هاتف إسلام:

- السلام عليكم يوسف حبيبي عامل إيه؟
- وعليكم السلام بخير...إسلام، ،نا قطعت علاقتي بهايدي.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

وعلى جانب آخر تحديداً في كلية آداب تجلس مريم بجانب صديقاتها لتتفاجأ بسديم رغم تعبها إلا أنها لم تستطع أن تبتعد عن صديقتها.

تجلس الفتاتان لتتحدثا سوياً ثم اقترحت مريم أن يذهبا لمقابلة صديقتها من الناحية الأخرى من الجامعة وافقت سديم على الفور؛ لانها تحب مجالسة الصالحات...

علي الفور اتصلت مريم بصديقتها لتخبرها عن المكان المحدد.....تدخل مريم وسديم الكلية.
- مش عاوزة أقولك حفصة اللي هتشوفيها هتحبيها إزاي....لاحظت مريم عدم رد سديم لتلتفت خلفها

تجدها واقفة تنظر إلى شخص ما.
تنظر سديم من بعيد علي ذلك المنظر الذي أشعل شرارة الغضب بداخلها كأنه بركان، وحانت لحظة خروج حِمَمه الملتهبة ."معقولة يوسف ومع واحدة والضحك ده كله" قالتها سديم بصوت ملحوظ مما جعل مريم تلتفت تلقائياً تجاهه.

تقطع سديم ضحكاتهما ليتفاجأ يوسف بأخته وهي تقف بجانبه وتنظر إليه بغضب جامح.
قام يوسف من مكانه مسرعاً نحو سديم ليأخذها من يدها ويقول:
-إيه  اللي جابك هنا و بتعملي إيه؟
- أنا اللي مفروض أسألك السؤال ده..إنت مش المفروض في كليتك..جاي هنا ليه؟

يتلعثم يوسف في الرد ليجد مهرباً وحيداً:
-أنا...أنا جاي لصحابي هنا.
-آه ماهو واضح.
- ردي عليا إنتى جايه ليه هنا؟
تخبره سديم بما اتفقت عليه هي و مريم ليتفاجا بسماع اسمها ويلتفت حوله ليجدها تنظر إليهم ولكنها أدارت وجهها فور أن نظر إليها...هنا سقط قلب يوسف من نظرات مريم إليه التي أحس أنها نظرات شفقة علي حاله وحال أمثاله من الشباب .
تعود سديم إلى مريم بعد أن تكلمت مع أخيها بشدة.
- يالا بينا يا مريم.
- حاضر.

تتفاجأ سديم من نبرة صوت مريم كأنها تبكي أو تختنق؛ لتسرع لتقول لها:
- مريم، مال صوتك إنتى بتعيطي؟
-أعيط إيه يابنتي؟ الجو كتم ونفَسي تقل شوية بس .. يالا بينا؟

أنهت الصديقتان الجلسة الطيبة مع الصحبة الطيبة و تذهب كل منهما إلى منزلهما.
تدخل مريم على غير عادتها إلى منزلها ...تلقي السلام على والدتها وتدخل إلى غرفتها، وتغلق الباب خلفها و ترمي بجسدها المنهك على سريرها، تحتضن وسادتها وتطلق العنان لدموعها التي تسقط رغماً عنها...دموع لا تعرف سببها.
تسمع صوت بداخلها يقول:"لماذا تبكيين كل هذا البكاء؟ فهذا الأمر لا يعنيني؛ فليفعل مايشاء..ولكن لِمَ قلبي تحرك هكذا رغم أني لم أفكر به أبداً" ظلت شاردة كثيراً وتدور بخاطرها تساؤلات كثيرة حتى غاصت في نوم عميق.

## الفصل السابع

## (دمعات من القب)

**ما أصعب البكاء بلا دموع!..وما أصعب الآلام دون صرخات تنفس عنها!..والأصعب قلب ينزف من لا شيء.**

يستيقظ يوسف من نومه ليتحدث إلى إسلام ويخبره عما حدث .....انفعل إسلام بشدة من حديث يوسف وقال:

-إنت مش وعدتني ووعدت نفسك إنك هتبعد عن الطريق ده... سيبت هايدي وشوفت بنت تاني.

ظل إسلام يعنف في صديقه لخوفه عليه أن يتمادى في عصيانه لله ودائماً يذكره بأنه لا يجوز أن يصاحب الفتيات....ولكن يوسف لايعرف كيف يرد عليه فاكتفي قائلا:

- يعني أنا جاي أقولك ساعدني تعمل معايا كدا؟

- ماهو عشان أنا بحبك بعمل معاك كدا ...يوسف أنا لو مش بحبك كنت وافقتك على اللي إنت بتعمله.

ثم أخذ يوسف يحث إسلام على العفة وفضل مَن يتحلى بها ويعف قلبه لله، ثم ذكر له قصة صديقه محمد الذي عف قلبه ونفسه فأكرمه الله بمَن تقر عينه .... أخذ يوسف يفكر في كلام صديقه و اقتنع به ثم قطع شروده صوت إسلام قائلا:

- إيه يابني؟ روحت فين؟

- ها...لا مافيش حاجة ...أنا متشكر ليك أوي يا إسلام.

- يابني ما فيش بين الإخوات شكر...واعمل حسابك فرح أختي الاسبوع الجاي أنا بعرفك بس إنت مش محتاج عزومة أصلاً.

- ألف مبروك يا إسلام و عقبالك ياحبي أما أفرح بيك.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تلتقي مريم بإيمان معلمتها هي و سديم في حفظ القرآن.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إيمي وحشاني.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته و إنتى أكتر يا مريومة.....أمال فين سديم؟

- عندها ظروف كدا و بتعتذرلك.

تجلس مريم و إيمان تتحدثان سوياً ثم تلاحظ إيمان شيئاً غريباً يشغل بال مريم.

- مالك يا مريم؟ حاسة فيكي حاجة.

تحاول مريم أن تتوارى خلف ابتسامتها التي رسمتها علي وجهها لتقول:

- مافيش حاجة يا حبيبتي، موضوع كدا.

لحظات قليلة ولم تتمكن مريم من كتمان ما بداخلها لتسقط دمعاتها رغماً عنها ثم تخبر إيمان عما بداخلها وأنَّ قلبها دق لشخص مثل يوسف لتبوح لها والدمعات تنهمر من عينيها.

- معرفش يا إيمان ليه هو...هو أصلا مافهوش أي مواصفات من اللي بحلم بيها و دية كانت أول مرة أشوفه، دايماً أخته بتشتكي منه ...معرفش معرفش.

ثم ترتمي بين أحضان إيمان وتنهمر بالبكاء...تمسح إيمان بيدها على رأس مريم وتقول:

- اهدي ياحبيبتي 00اهدي أكيد ربنا ليه حكمة في كدا ومحدش عارف الخير فين.
ثم تابعت إيمان حديثها قائلة:
- إن القلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء، فمتعرفيش ياحبيبتي، لعل الله يهديه ويجعله من الصالحين.
نظرت إليها مريم وقالت:
- آمين يارب.

هدأت مريم قليلا ثم قالت لها إيمان:
-هو إحنا هنتهرب من تسميع الوِرْد ولا إيه؟
-لا مش هنهرب ولا حاجة هسمع حاضر.
وبعد أن انتهت من تسميع وِرْدها:
- صح يا مريم فرحي يا حبيبتي الأسبوع الجاي كلكم معزومين وماما هتتصل بمامتك تأكد عليها معندكيش حجة ...و سديم أكيد معاكي.
غمرت السعادة مريم لسماع ذلك الخبر الذي أدخل السرور على قلبها.

وأثناء عودة مريم إلى بيتها شاردة الفكر تفكر في قلبها الذي خانها ليقاطع شرودها رنين هاتفها
- السلام عليكم ..أخبارك يا مريومتي؟
- وعليكم السلام ..الحمد لله يا سديم طمنيني ياحبيبتي عنك ماشوفتكيش النهاردة.
- معلش يا مريم تعبت الصبح و مقدرتش أنزل.
- ألف سلامة عليكي ياحبيبتي طمنيني طيب.
- الحمد لله يا بطتي بقيت أحسن.. عملتي إيه مع إيمي؟
- الحمد لله سألت عليكي قولتلها عندها ظروف معلش.
- طيب كويس ... لإني مش بحبها تزعل مني.
- صح فرحها الأسبوع الجاي و عزماكي ... عاوزين نخليها أحلى عروسة ..هي تعبانة معانا في الحفظ جه وقت رد الجميل.
- إيه؟ ده بجد؟.... عقبالك يا قمراية يارب أما أفرح بيكي.. لا ماتخافيش هنرد الجميل أوي.
- ربنا يباركلي فيكي ..إنتى الأول يا سديم يارب.

تنتهي المكالمة بينهما لتصل مريم إلى منزلها لتجد والدتها تتحدث إلى الهاتف قائلة:
- ربنا يتمم بخير يارب.. حاضر ياحبيبتي هنيجي إن شاء الله.
تدخل مريم إلى غرفتها بعد يوم طويل وشاق أنهك جسدها الضعيف ثم تسمع صوت والدتها تقول:
- يا لا يابنتي، الغدا جاهز.
وعلى مائدة الطعام تخبر والدة مريم زوجها بزفاف إيمان صديقة ابنته وأنهم مدعوون لذلك الزفاف وافق الأب على ذهابهم واعتذر لهم على عدم مقدرته على الحضور لظروف عمله.
- بابا أنا مش بحب أفراح الناس الملتزمة.
قالها صهيب وهو ينظر إلى والده ويبدي رفضه على عدم الذهاب ليقاطعه والده ويقول:
- إنت الراجل معاهم يا أستاذ ولازم تروح معاهم.

أذعن صهيب إلى أمر والده رغماً عنه.

## الفصل الثامن

## (أحبك في الله)

من أجمل نعم الله أن يرزقك بصديق يدلك على الطريق إلى الجنان إن التقيت به فلا تتركه.

تلتقي مريم وسديم في الجامعة ومعهما إسراء فتاة هادئة الطباع ترتدي ذلك اللباس الفضفاض الذي يشعرها بالأمان لا يصف ولا يشف، محبوبة من مريم وسديم لتتحدث قائلة:
- أنا يا بنات عندي مشكلة وما لقتش أحسن منكم آخد برأيه..أنا نفسي ألبس النقاب أوي بس مش لاقيه كلام أقوله لماما عشان أقنعها و مش عارفة أعمل إيه؟
تبدأ مريم بالحديث قائلة :

- بصي النقاب ده عشق من نوع خاص ولازم إنتي يا سوسو الأول تكوني عاوزة تلبسيه لرضا الله مش عشان نفسك بس عشان تاخدي الثواب ...قوليلها ياماما مش عاوزة حد يشوف جمالي غير بسلامته..
وتضحك إسراء وسديم على حديث مريم لتتابع حديثها..
قوليلها يا ماما ده هيرضي ربنا و أنا نفسي أتشبه بأمهات المؤمنين عشان أدخل معاهم الجنة، وأبكي لربنا أوووي و اصدقي ياحبيبتي وربنا هيكرمك....ابقي هاتيلها هدية وإنتى بتقوليلها ....عارفة فكرتيني بإحساسي وأنا أول مرة ألبسه ساعتها صهيب فضل يضحك عليا و يقولي شبة البتنجانة والصندوق الأسود حاجات غريبة وآسر كان خايف مني في الأول بس بقى يتريق هو كمان في الأول كنت بضايق بس دلوقتي عادي هي بتبقي اختبارات من ربنا يشوف مدى صدقك وتحملك ... امممم أقولك قوليلها عاوزة أحافظ على نفسي.

- قولتلها كدا قالتلي لبسك واسع ومش شفاف ومش ضيق وإنتى أحسن من غيرك.
- طيب تسمحيلي أقول رأي؟ قالتها سديم.
ردت إسراء قائلة:
- أكيد يا حبيبتي قولي.
- بصي يا حبيبتي إنتى قوليلها يا ماما في حاجة حلوة و حاجة أحلى منها حاجة أفضل وحاجة أفضل منها فهمتي يعني لبسك حلو بس فى أحلى منه.....

تابعت سديم حديثها حتى سمعنَ آذان الظهر ليذهبْنَ جميعا إلى المسجد وقد عزمت إسراء على فتح الموضوع مع والدتها.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يعلو رنين هاتف يوسف.
- ألو.... إسلام عامل إيه؟
- بخير يا بيه... ابقى قول السلام عليكم...فينك كدا؟
- في مشوار برة.

- مش جاي يعني الكلية؟
- إن شاء الله هخلص وآجي.

تنتهي المكالمة بين الصديقين و يتساءل إسلام نفسه ترى أين يوسف ومع مَن الآن؟
بعد الانتهاء من الصلاة يعلو رنين هاتف إسلام.

- السلام عليكم يا يوسف.
- و عليكم السلام .... أنا برة الكلية اطلعلي دلوقتي حالاً يا إسلام.

يغلق الهاتف ...ولم يشعر إسلام بنفسه كيف وصل بتلك السرعة إلى صديقه.
- مالك يا يوسف؟..... قالها إسلام وهو يلهث.
- اهدى يابني و خد نفسك... اركب معايا بس.
تنطلق السيارة إلى وسط المدينة ويسأله إسلام:
- يابني مودينا على فين كدا؟
- قربنا نوصل.
تقف السيارة أمام أحد المحلات التجارية.... دخل الاثنان الى المحل بعد أن طلب يوسف من إسلام أن يختار معه ما يناسبه ليرتديه في فرح أخته.
اختار إسلام احدى البِدَل التي وقال:
- دية أشيك يا يوسف.
يتفاجأ إسلام برد يوسف وهو يقول:
- خلاص ديه يا صديق حلال عليك.
- إنت بتقول إيه؟
- أيوة يا إسلام أنا جايبك هنا عشان تختار هديتك ...اعتبرها هدية مش إنت دايما تقولي اللي بيحب التاني في الله يقوله...أنا بحبك في الله ودية هدية بسيطة.
- أحبك الله...بس كدا كتير معلش يا يوسف مش هقدر أقبلها.
- عشان خاطري بالله عليك ما تكسفنيش...ديه أقل حاجة أقدر أرد بيها جميل من جمايلك إنت تعبت معايا.
- إيه اللي إنت بتقوله ده .. صدقني مش هينفع .... أنا بعمل لله يا يوسف وعشان فعلا إنت أعز صحابي ...أو إنت يعتبر صحبي الوحيد.

أصر يوسف على موقفه إصراراً شديدة حتى قبل إسلام هديته ... وفي السيارة
- جزاك الله خيراً يا يوسف على الهدية.
- يابني ما تقولش كدا ....إنت أخويا..عارف يا إسلام بتمنى أبقى زيك كدا ربنا يزيدك...بحبك في الله يا سمسمة.
تتعالى ضحكات الصديقين سوياً.
- إيه سمسمة ديه يا عم يوسف؟...أحبك الله يا غالي، أنا اللي بحبك في الله أكتر، ونفسنا نحط إيدينا في إيد بعض ونشتغل في الدعوة مع بعض وننشر دين ربنا.
- إن شاء الله يا إسلام.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

وعلى مائدة العشاء في منزل المهندس جمال المصري تخبر سديم والدها بموعد الفرح.
- بابا إن شاء الله بكرا الفرح اللي قولت لحضرتك عليه.
- خير يا بنتي عقبال فرحك إنتى وأخوكي يارب.
- يوسف الأول يابابا.
يقطع شرود يوسف صوت والده وهو يقول:
- يوسف.
- ها... معلش يابابا مش واخد بالي.
- بقولك بكرا تروح تودي أختك الفرح.
- حاضر يابابا إن شاء الله .. فين يا سديم الفرح عشان بكرا بردو عندي فرح.
- في مسجد الصديق.
تعجب يوسف عندما سمع اسم المسجد....
- ده في قاعة كام؟
- قاعة 1 ...ليه بتسأل يعني
- أصلي معزوم على نفس الفرح... واحد صحبي ده فرح أخته.
- آه... ماهي بتحفظنا أنا ومريم.
انتبه يوسف لحديث مريم ليقول :

- هي مريم صحبتك جاية؟
تتفاجأ سديم من سؤال يوسف.
- آه يا يوسف إن شاء الله
شعر يوسف بإحراج شديد ثم قال :
- الحمد لله أنا شبعت هروح أنام يابابا بعد إذنك.
يذهب يوسف إلى غرفته ولا يدري ماذا يحل به عندما يسمع سيرة مريم تساؤلات تدور بباله؟..

# الفصل التاسع
# ( وتتلاقى العيون)

ثوانٍ معدودة تمر كأن الزمن قد توقف عند تلك اللحظة عندما تقع عيناك بعين مَن تحب وكيف لا وهي الموطن والمأوى؟

سمع يوسف طرقات على باب غرفته.
- يوسف أنا خلصت إنت جهزت.
- آه تعالي ادخلي.
يتفاجأ يوسف بما ترتديه سديم كعادتها متألقة بنقابها ..لتسمع منه ما يجعل قلبها يتألم بشدة.
- إيه يا بنتي القرف اللي لابساها ده...إنتى إزاي راضية لنفسك كدا ..استحالة أمشي معاكي كدا.

أصابت كلمات يوسف قلب سديم مما جعلتها تذهب مسرعة إلى غرفتها في حالة بكاء ..يقف يوسف صامتا يلوم نفسه على ما قال ولكن لا يدري لِمَ فعل ذلك؟...يذهب يوسف إلى غرفتها ويطرق الباب
- سديم ممكن أدخل؟
- نسيت حاجة تقولهالي جاي تكملها اتفضل قولها ....قالتها سديم وصوتها يكاد أن يخرج من حنجرتها
يجلس يوسف على حافة سريرها ليقول بصوت تعتليه نبرة الندم:
- مهما اعتذرت عارف إن الموضوع صعب.... بس والله أنا نفسي مستغرب من كلامي، دبش أنا عارف...كتر خير مراتي والله ..تعمد يوسف أن يقولها ليمازح سديم ثم تابع قائلاً:
تصدقي إنك زي القمر...والله مش بجبر بخاطرك بس يمكن عشان ما اتعودتش أقولك كلام حلو...بس بجد شكلك يجبر أي حد يبص في الأرض...أول مرة أعرف إن النقاب ده ليه هيبه كدا ..أما دخلتي عليا الأوضة ارتبكت وقولت اللي قولته بس والله ياسديم إنتى زي القمر تعرفي إني دلوقتي حالاً نفسي ربنا يهديني ويكرمني بواحدة زيك ...
أخذ يوسف يتحدث طويلا ويتغزل في سديم محاولاً إرضائها حتى قامت من سريرها مبتسمة قائلة:
- ما انت كويس أهو، أمال ليه بتعمل معايا كدا من الأول وكلامك اللي زي الطوب ده؟
- هههههههه طوب..طيب قومي بدل ما أبطحك بنص قالب....سديم أنا قررت اتغير وبتمنى من ربنا يهديني.
- ربنا يهديك يا يوسف يارب.
- يا رب ياسديم إدعيلى دايما بالهداية.
- طيب يالا ياخويا لاحسن هنتأخر.
قاما الاثنان سوياً بعد أن صالح يوسف أخته ليذهبا إلى حفل الزفاف ....يتألق يوسف كعادته فى ذوقه الرفيع في اختيار ما يرتديه فكان يرتدي بنطالاً من الجينز فاتح اللون وقميصاً أسود ممَّا زاد من أناقته...ثم قام يوسف بفتح باب السيارة لأخته وقال:
- اتفضلي ياسندريلا.
يقفز قلب سديم من شدة فرحها بأخيها فهي أول مرة تسمع منه ذلك الكلام......تقف السيارة أمام المسجد ويتفق يوسف مع سديم على موعد عند الانتهاء...

دلفت سديم إلى قاعة النساء لتلتقي بها مريم بسعادة بالغة...
- إيه يا بنتي ماشاء الله الله اكبر إيه القمر ده..... قالتها مريم وهي تحتضن سديم:
- ربنا يبارك فيكي ياحبيبتي إنتى اللي قمراية.
- تعالي أعرفك على ماما.

دخل يوسف إلى قاعة الرجال ليجد " إسلام " منشغلاً في استقبال المدعوين:
- ألف مبروك يا سولم.... ربنا يعينك يا بني ...عقبال فرحك.
- الله يبارك فيك ياصحبي..... سامحني إنت شايف طالع عيني... اقعد ياحبي على الترابيزة هناك وأنا هخلص وأجيلك.
- حاضر .... ماتشغلش بالك أنا هتعامل يا حبي.

يذهب يوسف ليجلس على طاولة بمفرده فهذه أول مرة يحضر فيها فرحاً إسلامياً ...شعر يوسف بالملل فقام بفتح حسابه على موقع التواصل الاجتماعي ليجد رسالة من فادي صديقه يخبره أنه قد عاد من هولاندا ويريد أن يراه اليوم ليحتفلوا سويا...لحظات ويرسل له يوسف...
- حبيبي نورت الدنيا...أكيد لازم نتقابل بس صعب النهارده قاعد في فرح كئيب كدا ناشف مافهوش أي حته طرية ....
ليرد فادي....
-ياعم فكك وتعالى ...النهاردة في احتفال برجوعي و بنات وهعيشك.
وفي نهاية الحديث يتفق يوسف مع فادي على المجيء بعد أن ينتهي من حفل الزفاف...يتفاجأ يوسف بمن يقول...
- عمو ...عمو... ينفع أقعد معاك.
- أهلا... أكيد ياحبيبي ..بس إنت جاي مع مين؟.. ينتبه يوسف لمن يقول:
- آسر إنت بتعمل إيه هنا؟ مش قولتلك ما تتحركش من جنبي.
- أنا قاعد هنا مع عمو.
- مش قولتلك خليك جنبي ما تتحركش... بتأسف لو أزعجك.
- لا أبدا مافيش إزعاج..... اسمك آسر بقى.
- آه يا عمو .. وحضرتك.
- أنا يوسف... ثم يقاطعهم صهيب قائلاً:
- بعد إذنك هنستأذن... يالا يا آسر ماما مستنيانا بره.
يخرج صهيب وإخوه الصغير وأثناء سيرهم ينظر آسر خلفه و يلوح بيده تجاه يوسف فتبسم يوسف ضاحكاً وقال:
- طفل عسول والله.
لحظات و يسمع رنين هاتفه ...
- السلام عليكم أنا خلصت يا يوسف وواقفة برة ...قالتها سديم.
- طيب أنا طالع أهو.

يتجه يوسف نحو إسلام ليودعه:
- مبروك يا إسلام وعقبالك أما أفرح بيك.
- الله يبارك فيك....لسه يا بني خليك شوية.
- معلش بس عندي مشوار ضروري.
- جزاك الله خيراً يا يوسف، وربنا يبارك فيك.
- حبيبي يا إسلام إنت أخويا مش صحبي.

يخرج يوسف من قاعة الرجال ممسكاً بهاتفه يتصل بفادي صديقه:

تودع مريم سديم ووالدتها وأثناء توديعها تسمع مريم من يقول:
- يا لا ياسديم أنا متأخر على معادي.
تلتفت خلفها لتقع عيناها بعيون يوسف مباشرة دون قصد ........

الفصل العاشر

( وقد كان)

النفس....هي عدو الإنسان الحقيقي فإن ألجمْتها بزمام الطاعة ردخت لطاعة الله ...ولكن إن تركْت لها الأمر فكأنك تركت لها زمام الامور تقودك مثلما تقود البعير العربة.

يقف يوسف صامتاً كأنه تجمد مكانه لا يدري مايقوله شعر بأن الزمن توقف عندما رأى عينيها وما تحمله من حنين .... كأنه رأى العالم بداخل عينيها....تقطع شروده صوت سديم قائلة:

- حاضر يا يوسف أهو... مع السلامة يا حبيبتي أشوفك في الجامعة طمنينى أما توصلي.
- ها... حاضر يا سديم ...خلي بالك من نفسك.

اتجه يوسف وسديم نحو سيارته .... لاحظت والدة مريم تلك الحالة التي ظهرت على مريم بعد أن ذهبت سديم.

- مريم في حاجة يابنتي؟
- ها ... لا يا ماما أبدا ما فيش...هو صهيب لسه ماوقفش تاكسي؟
- لا لسه... تعالى هنا يا آسر ماتروحش بعيد.

لا تدري مريم ماذا حل بها كأن غصةً في حلقها ...كأن شيئاً يقبض على قلبها فتزيد آلامه.

وأثناء الرجوع يتحدث يوسف مع سديم قائلاً:

- فرح كئيب أوووي....ولا مشغلين موسيقي هادية حتي ...ده كان عزا مش فرح.
- حرام عليك ما تقولش كدا... ده كانت ليلة حلوة وإحنا هيصنا مع نفسنا وإيمان رمت بوكيه الورد وعملنا اللي في نفسنا.
- نفسكم؟... آخر مره أروح فرح زي ده....
- مالكش في الطيب نصيب يا يوسف....بكرا تتخانق معايا وتقولي ماتعمليش كدا عشان ربنا ما يزعلش وتبقي آمامي إن شاء الله.
- ربنا يسهل....هي ديه صحبتك المتكبرة اللي ماسلمتش عليا في الكلية ولا واحدة تانية ..أصلكم شبه بعض.
- يوسف بعد إذنك ماتقولش على مريم كدا هزعل بجد.
- خلاص يا فندم بعتذر ....ماغلطناش في البخاري.

لحظات قليلة و تقف السيارة أمام المنزل.

- يالا إنزلي.. أنا شوية وراجع.
- رايح فين دلوقتي؟
- هو تحقيق ياسديم في إيه؟ قولتلك شوية وراجع...رايح أجيب صحبي من المطار.
- طيب ربنا يعينك على فعل الخير ويهديك يارب .. ماتتأخرش.

يصل يوسف إلى الفيلا التي تقام فيها الحفلة بعد أن أعطاه فادي العنوان ... موسيقي صاخبة ..أصوات عالية .. تفاجأ يوسف أنه في بؤرة يرأسها الشيطان ...ولكن مع قلة إيمانه كان من السهل أن يقبل بأية

مغريات.
- أوووووو  جوزيف حبيبي وحشتني قالها فادي وهو يحتضن يوسف.
- و إنت أكتر ... إيه يابني الغيبة دية؟
- دراسة وشغل بابا ...قولت آجي آخد أجازة هنا لأنكم وحشتوني....تعالى أعرفك على الشلة ... هي شباب ده يوسف صديق عمري ...يعني هو وفادي واحد رحبوا بيه معايا...

التفتت جميع الأنظار نحو يوسف... أناقته ووسامته جعلت أعين الفتيات لم ترَ غيره في الحفل ... جلس يوسف مع فادي وسط مجموعة من الفتيات تم التعارف بينهم وسرعان ما تأقلم يوسف على الوضع بل أحبه...شعر بأنه وجد السعادة ولكن هيهات هيهات يا يوسف فالسعادة ما وجدت في معصية الله بل في القرب من الله ومعرفة من تعبد بحق وما النعيم الذي أعده من أجل من أطاعه؟.

لحظات ويخرج فادي من جيبة علبة تحتوي على سجائر غريبة الشكل أشعل واحدة وبدأ الكل يتهافت على تلك العلبة وآصوات الفتيات يطالبن فادي بواحدة...شعر يوسف آنه غريب عنهم ...الكل يشعل ويشرب وهو لا.... النفس ترغب في واحدة، ولكن مازال العقل في وعيه ولم يُغيَّبْ، مازالت بذرة الإيمان تمنعه من فعلها ...و في النهاية ردخ يوسف إلى نفسه وشيطانه وقال:
- هو أنا مش صحبك ياعم ما تعزم.
- هو إنت بتشرب أصلا يا يوسف.
- لا بس نجرب عادي.
- طيب خلي بالك الصنف ده تقيل شوية.
- ياعم تقيل على أى حد إلا أنا.
قالها يوسف وهو يتباهى وسط الفتيات... نفس ثم يتبعه آخر وكأن الأمر طبيعي بالنسبة له ...دقائق معدودة و تغيب العقل ... عدم وعي.. يضحك باستمرار... ويتفوه  بكلمات غريبة ...استغل فادي تلك الحالة التي ظهرت على يوسف حتى أشار إلى إحدى الفتيات وكانت تُدعى سوزي كانت أجملهن حتى عرفت المطلوب... جلست بجانب يوسف وبدأت في الدلال عليه حتي صعدت به إلى إحدى غرف الفيلا.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

وفي الصباح وعلي مائدة الإفطار.
- هو يوسف مش هيفطر؟
- لا يابابا هو بايت عند صحبه.
- صحبه مين.. وإزاي مايقوليش؟
- لا يابابا هو قالي إمبارح إنه رايح يجيبه من المطار فأكيد الوقت اتأخر وبات عنده، وأنا لقيت حضرتك نايم فقلت لماما.

يأخذ الأب هاتفه يتصل بيوسف ولكن لا جدوى.
- ما بيردش الأستاذ.
- يمكن عامله صامت يا جمال.... هدي نفسك مش كدا،  قالتها الأم.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يستيقظ يوسف بعد مرور ساعات طويلة ينظر حوله متعجباً، لم يكن استعاد كامل وعيه واستيعابه فالمخدرات كان تأثيرها أقوى ممّا يتخيل ." أنا فين؟" قالها يوسف وهو ينظر حوله ليجد تلك الفتاة بجانبه على السرير... فزع يوسف من الخوف عندما رآها بجانبه وكيف وصلا إلى ذلك الأمر؟ .. يقطع شروده صوت سوزي وهي تقول:

- صباح الخير يا جوزيف.

وقعت كلماتها كالسهم في قلب يوسف ..فلقد عرف من نبرة حديثها بأن شيئاً حدث بينهما... طلب يوسف منها أن تقص عليه ما حدث أمس...فآخر شيءٍ يتذكره هو تلك السيجارة التي أخذها من فادي.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يعلو رنين هاتفها أثناء ذهابها إلى الجامعة، يكون المتصل إسراء صديقتها.

- السلام عليكم مريم قابليني إنتى وسديم في المكان بتاعنا.

- وعليكم السلام حاضر أنا في الطريق أهو..... ثم تتصل مريم بسديم تخبرها بما قالته إسراء لها تلتقي سديم ومريم في المكان المحدد وبعد الترحيب.

- هي مش قالت أنا مستن... لم تكمل سديم جملتها حتى تفاجأت بإسراء وهي تقول:

- أنا جييت يا بنات.

- إيه ده؟ مبروك النقاب يا حبيبتي والله فرحتيني ... قالتها سديم و تحتضنها.

- أنا مش قولتلك الزن بيجيب نتيجة بعد فضل ربنا قالتها مريم وهي تحتضن إسراء.

- الحمد لله ... ده كرم ربنا عليا وفضل ربنا ثم أنتم.. حاسة بسعادة كبيييرة، حاسة إنى طايرة مش على الأرض .. كلامكم فعلاً أثر فيا و خلاني أقنع ماما، والحمد لله وافقت هي وبابا... إزاي مش عارفه بس أنا دعيت ربنا أوووي إنهم يوافقوا وقد كان ...

إخواتي طبعا اتريقوا عليا بس الحمد لله مش فارق معايا خالص وتقبلوا الوضع.

- الحمد لله ربنا يثبتك يا حبيبتي ... قالتها حفصة ثم أمسكت هاتفها..

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يقطع كلامها صوت رنين هاتف يوسف ليجد سديم من تتصل به ... لا يعرف بماذا يجيب؟ أو ماذا يقول لأهله؟ وماذا يقول لنفسه على ما فعله أمس؟.. يطلب من سوزي أن تصمت ليجيب قائلاً:

- ألو....

- بعد إذنكم يا بنات....... إيه يا بني إنت فين الدنيا مقلوبة من إمبارح عليك.

- مقلوبة ليه في إيه لكل ده؟..... أنا مروح البيت أقابلك هناك.

- ماشي أنا مروحة دلوقتي...ماعنديش محاضرات.

تلاحظ مريم أن هناك شيئاً غريباً يحدث.

- أنا هستأذنكم يا بنات هروح معلش.

- ليه كدا فيه حاجة ياسديم؟ قالتها مريم بنبرة تعتليها القلق.

- لا أبداً ياحبيبتي ما فيش.... مبروك ياسوسو وربنا يثبتك ...بعد إذنكم.

- هبقى أتصل بيكي بالليل أطمن عليكي.

- ماشي يا مريومة ...السلام عليكم.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يصل يوسف إلى المنزل ليجد الجميع في انتظاره .
- يوسف .. كنت فين يا بني من إمبارح؟ قالها والده وهو في قمة غضبه.
- مافيش يا بابا كنت بجيب صحبي من المطار وسهرت عنده ومسك فيا أبات معاه و....
لم يكمل يوسف جملته حتي تفاجأ بصفعه على وجهه دوت لها الأذان.
- يا حبيبي يا بني، قالتها والدته وهي تربط على قلبها بعد أن سمعت تلك الصفعة... تضع حفصة كلتا يديها على فمها تكتم بكائها .... يقف الوالد في حالة ذهول عما فعل لم يشعر بغضبه الجامح إلا عندما سمع صوت تلك الصفعة..يذهب يوسف مسرعاً إلى غرفته ويغلق عليه باب غرفته......

## الفصل الحادية عشر

## (فراق)

زاد الفراق ومعه زاد الاشتياق

تجلس أسرة الأستاذ عبد الله سوياً في غرفة الصالون بعد أن طلب منهم أن يتحدث معهم في أمر هام.

- خير يا بابا قلقتنا ... قالتها مريم.
- خير يا حبيبتي... الشركة هتفتح فرع جديد في السعودية و طلبوا مني إني أروح أمسك هناك الشركة وأشرف على عملها ....عشان كدا قررت أنا وماما إنكم هتروحوا معايا؛ لأني مش عارف هرجع إيمتي.

يقع الخبر كالصاعقة على مريم لتجد نفسها تحدث نفسها قائلة:
* طيب كليتي وصحابي وسديم، لتجد قلبها يقول: ويوسف، ليقطع شرودها كلام والدها لها وهو يقول:

- ها يا مريم قولتي إيه؟
- ها... اللي حضرتك تشوفوا يا بابا ... ثم تذهب إلى غرفتها.
يلاحظ الأب ذلك الأمر فتذهب الأم خلف ابنتها ..يأخذ رأي صهيب
- أكيد يا بابا موافق خلينا نخرج بره البلد دية.

وفي غرفة مريم تجلس الأم بجانب ابنتها لتعرف ما يدور ببالها.
- مالك يا بنتي؟ قومتي ليه على طول كدا؟
- لا يا حبيبتي مافيش ..بس ليه كدا ليه نسافر مع بابا طول عمره بيسافر لوحده إشمعنى المرة دي؟
- يا بنتي بابا المرة دي هيغيب عن كل مرة وهو خايف على صهيب؛ لإنه في سن حرج فأنا قولتله نروح كلنا معاك ..وإنتي يا حبيبتي تكملي دراستك هناك... استسلمت مريم أمام كلام والدتها.
تقوم مريم بعد ذلك لتتفقد حسابها على موقع التواصل الاجتماعي ..تتصفح مريم الرسائل التي أظهرت

أعداداً كبيرة وأغلبها من شباب شتى، غضبت مريم غضباً شديداً فوق غضبها، فأقسمت أنها ستغلق حسابها؛ لانها ليست بحاجة إلى تلك الفتن..
تجلس مريم علي سريرها شاردة الفكر و تسأل نفسها:
- ليه قلبي قال اسمه؟

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

مرت أيام قليلة ويخرج من منزله كعادته لا يتكلم مع أحد من بعد صفعة والده له لا يتحدث مع أحد أبدا في المنزل.
يقود سيارته ليذهب الي الجامعة ويسمع صوت هاتفه يرن:
- حبيبي.. إيه يابني من ساعة ماكنت عندي ماشوفتكش تاني.
- معلش يا فادي عندي شوية مشاكل.
شعر فادي أن يوسف به أمر فاستغل الموقف وقال:
- طيب هستناك تجيلي وأنا هحللك المشاكل.
تسارعت دقات قلب يوسف عندما سمع كلام فادي فلقد تذكر ماحدث تلك الليلة مع سوزي ولكن هيهات فلقد وجد نفسه تلبي نداء الشهوات.
يصل يوسف إلى الجامعة ويتصل بإسلام ليلتقي به.
جلس الصديقان يتحدثان سوياً ...يلاحظ إسلام أن يوسف به شيءٌ ما فيبدأ هو بالحديث محاولاً معرفة ما بداخله لكنه تفاجأ ببكاء يوسف الهستيري ..بكاء ندم على ما فعله.
أصر إسلام على معرفة ما يجعل يوسف يبكي هكذا ولكن أبى يوسف أن يفضح نفسه بعد ستر الله عليه فاكتفى قائلاً:
- بالله عليك ادعيلي إن ربنا يسامحني على كل حاجة.
- حاضر يا يوسف ...بس خلي عندك حسن ظن إن ربنا غفور رحيم ..بس إحنا نرجعله ونتوب ليه.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تجلس مريم مع سديم ولكن على غير العادة.. تشعر سديم بها من قبل أن تتكلم.
- مالك يا مريم في إيه ياحبيبتي في حاجة مزعلاكي؟

كأنها كانت تنتظر تلك اللحظة حتى انفجرت في حالة من البكاء وترمي بنفسها في أحضان صديقتها التي طالما كانت مأوى لها من عثرات الدنيا ومع كل دمعة تسقط منها تتذكر كل موقف جمع بينهما ...فكرت في شكل حياتها بعد أن تسافر بل فكرت في لحظة الفراق بينهما.
هدأت مريم قليلاً ثم أخبرت سديم بما قاله والدها لها أمس على أنهم سينتقلون إلى السعودية نظراً لعمل والدها.
يقع الخبر علي سديم كالصاعقة لم تصدق ما سمعته للتو فقالت:
- إنتِ بتهزري صح..يعني هتسافروا كلكم؟
- مش بهزر والله .... آه كلنا يا سديم.
- طيب هتسافروا إيمتى؟
- بعد امتحانات التيرم.
ترمي سديم بنفسها بين يدي مريم وتبكي لأنها ستفارق نصفها الآخر ... انتهي الحديث بين مريم وسديم

بعد بكاء طال بينهما... وعدت كل منهما الأخرى أن يظل الحب بينهما حتى إن طال البعد..
تصل مريم إلى المنزل وتسرع إلى غرفتها دون أن تتكلم مع أحد يلاحظ يوسف شيئا غريبا عليها ولكنه متردد في معرفة ذلك الشيء ولكن فضوله كان أقوى منه.... يذهب إلى غرفتها ويطرق الباب.
- اتفضل.... قالتها سديم وهي تبكي.
- ممكن أعرف مالك ... قالها يوسف يقف أمام أخته...تفاجأ يوسف بسديم وهي ترمي بنفسها بين يدي يوسف كأنها تحتمي به من هذا العالم محاولة تخفيف ذلك الضجيج الذي مزق قلبها.... لم يشعر يوسف بذلك الأمر من قبل.... ربت على رأسها وقبلها محاولاً تهدئتها.
- ممكن تهدي وتقوليلي مالك...
- مريم يا يوسف خلاص هتسيني لوحدي.
تتسارع دقات قلب يوسف ويسأل نفسه: ماذا حدث لها؟ ولم تبكي سديم كل هذا البكاء؟

## الفصل الثاني عشر

## ( القلب ينبض)

نعيش على أمل أن نجد من يحيي فينا تلك المشاعر التي ماتت بفعل أفعالنا؛ لعلنا نجد من يروي تلك الأرض المتعطشة لذلك الحنين فتنبض فيها الحياة من جديد.

يتجه يوسف إلى غرفته بعد أن حدثته سديم عن انتقال عائلة مريم إلى السعودية.

يجلس يوسف على حافة سريره يفكر بما يشعر به ترى هل أحبها حقاً أم لأنها لم تتجاوب معه ولم تسقط في شباكه؟ دقائق قليلة من التفكير جعلت يوسف يتذكر مافعله سابقاً.... هل سيرزقني الله بمثل مريم بعد أن فعلت فعلتي؟....قالها يوسف وهو يلوم نفسه .. تتساقط دموعه رغماً عنه كما تسقط أوراق الأشجار عندما يمر عليها فصل الخريف..... ألقى بجسده المتثاقل على سريره ليذهب في نوم عميق من كثرة الإرهاق مما أنساه موعده مع صديقه فادي....

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تجلس سديم بصحبة مريم في الجامعة و تبدأ سديم بالحديث قائلة:
- تصوري يا مريم يوسف أخويا كان قاعد مع صهيب و آسر.
ينبض قلب مريم فور سماع اسم يوسف رغما عنها ...ولكنها تتظاهر بعدم الاهتمام قائلة:
- آه صهيب قال لبابا وماما...... صح معاد الصفر قرب الشركة قربت تفتح والسفر هيبقي بعد الامتحانات إن شاء الله.
يخيم الحزن على سديم عندما علمت باقتراب موعد سفر مريم.
- سديم أكيد يا حبيبتي هنكلم بعض ونطمن على بعض من هناك أنا مش هسيبك.
- و تفتكري ده كفاية يا مريم إني أسمع صوتك بس.

لم تتمالك مريم نفسها من البكاء لترتمي بين يدي سديم معلنة البكاء ...

تصل مريم إلى منزلها على غير عادتها لم تحضر الحلوى التي اعتادت على إحضارها لأخيها ..تدخل إلى غرفتها التي تحتوي الكثير من أسرارها، ترمي بجسدها على سريرها وتبكي وهي لا تعرف على ماذا تبكي؟ هل على فراق سديم وحدها أم ليوسف علاقة بالأمر؟ .... لحظات قليلة و تقوم لتهيئ نفسها للصلاة... لم تستطع أن تتمالك نفسها من كثرة بكاء فلقد أصاب قلبها سهام الحب ولكنها خرجت من قوس لم تكن تتوقعها ..سجدت وشعرت بأنها أقرب إلى الله فباحت عما في قلبها وهو أعلم فقالت:
- اللهم يا من ملكت كل شيء يا من ملكت السموات والأرض يا من ملكت قلبي وعقلي ونفسي أسألك باسمك الأعظم أن تربط على قلبي ولا تجعله سبباً في غضبك عليّ ..يااارب لا تجعل في قلبي إلا حبك وحب نبيك......

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

هل ستغفر لي يااارب؟ قالها يوسف وهو جالس على مكتبه في غرفته.. يحاسب نفسه على تقصيره في حق نفسه.... ينظر إلى سقف غرفته ويقول:
- ياااارب مريم ما تسافرش...والله يارب قررت أتغير ...إنت قادر ماتخلهاش تسافر...
تأكد يوسف أنه أحبها فهي تختلف عن أي فتاة قابلها يوسف ....يقطع شروده اتصال فادي ليبدأ يوسف في صراع داخلي ما بين نفسه اللوامة و نفسه الأمّارة بالسوء التي طالما قادته لكثير من المعاصي ...لحظات و انتهي رنين الهاتف فتنفس يوسف وقال:
- الحمد لله

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يقترب موعد الامتحانات ومعه يقترب موعد سفر مريم ومع مرور كل يوم كانت مريم وسديم تشعران بأن روحهما قد أوشكتا أن تفارقا جسدهما ....يوم يمر ويتبع يوم آخر ومعه تزداد المحبة بين مريم وسديم و في إحدى الأيام اتصلت سديم بمريم وأخبرتها أن تقابلها لأمر هام.
- إيه يا سديم؟ قلقتيني في إيه؟
- ما فيش حاجة اقعدي بس.... بصي بقي دية هدية بسيطة بس ما تفتحهاش دلوقتي، قبل ما تسافري افتحيها.
- ليه يا حبيبتي تعبتي نفسك إنتى؟ مافيش بينا هدايا.
- أكيد ما فيش بينا بس عشان تفتكريني يا مريومة.
- عمري ما أقدر أنساكي أبداً...ربنا يجمعنا تحت عرشه يارب.
- آمين.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

يتصل يوسف بإسلام ليخبره أنه يريد أن يقابله في أمر عاجل... يصل إسلام في الموعد المحدد ليجد يوسف على غير العادة.
- السلام عليكم .... ما لك يايوسف قلقتني؟
- اقعد بس هحكيلك.... أنا يا إسلام نفسي أقرب من ربنا أووي نفسي أتغير نفسي أتوب لربنا بجد ساعدني يا إسلام.
لم يصدق إسلام ما سمعه من يوسف ...حالة من السعادة تجتاح قلبه فطالما كان يدعو له في سجوده

وقيامه أن يرزقه الله بالهداية ......
- بس أول حاجة يا يوسف تعملها إنك تصالح والدك وتطلب منه يسامحك على اللي عملته.

## الفصل الثالث عشر
## ( سعادة وحزن )

تختلط مشاعرنا بين الحين و الآخر ما بين سعادة غامرة وحزن قاتل.. تتقلب تلك المشاعر بداخلنا لتشعل ضجيجاً بداخلنا لا نعرف طبيعته فنكتفي بالصمت.

يصل يوسف إلى منزله ولا يعرف ماذا يفعل وهل سيقبل والده اعتذاره؟....اقترب يوسف من والده ولم يشعر بنفسه إلا عندما بكي بين يدي والده وقبل يده ويقول:
- سامحني يا بابا أنا آسف والله صدقني آخر مرة.
ربت والده بيده على رأسه..تتساقط دموع والدته طالما دعت ربها بالهداية لابنها وهاهي تراه أقبل على الله .... يقبل يوسف يد والدته ورأسها ثم يذهب إلى غرفته ....لحظات قليلة ويذهب إلى غرفة سديم ليتحدث معها ولكن يلاحظ يوسف أن بها شيئاً ما يفكر يوسف في تغير مزاجها.
- مالك يا سديم في إيه؟
- لا مافيش حاجة أنا كويسه الحمد لله...قالتها سديم وظهر على وجهها الألم.
فكر يوسف في أن يمازحها وليته لم يفعل.
- ولا أقولك مالها البتنجانة السودا؟
لم تدرك سديم أن يوسف يمازحها لتنفجر في البكاء قائلة:
- ليه بتكرهني كدا يا يوسف؟.. ليه بتحاول تكسر بقلبي كل شوية؟ ..تابعت سديم البكاء و يوسف يقف صامتا لا يدري ما يقول.. رق قلب يوسف عندما رأى منظر سديم هكذا ليضمها إليه ويمسح بيده على رأسها ومع تساقط كل دمعة من عينيها تذكر يوسف كم الحزن والألم الذي سبَّبَه لأخته ...اهدأي يا طفلتي.... لا تبكي على ما أصابك من معتوه مثلي فطالما كنت غبياً معك... حدث يوسف نفسه بتلك الكلمات ...لحظات قليلة وهدأت سديم بين يدي أخيها..تنظر إلى عينيه نظرة تحمل عتاباً بريئاً منها..تكفي نظراتها أن تخبره أنها تحملت كل أفعاله كم كان قاسياً معها ولكنها سرعان ما مدّت يدها لتمسح تلك الدمعات التي سقطت من عيني يوسف ...وبعد اعتذار يوسف لسديم بدأت علاقة جديدة بينهما.
- مش هتقوليلي بردو يا سديم مالك؟
- مريم يا يوسف هتسافر بعد الامتحانات قالتها سديم بحزن نابع من قلبها.
يقع الخبر على قلب يوسف كالصاعقة.
يقطع صمته صوت آخته وهي تسأله:
- ما لك يايوسف سكت ليه؟
- لا ما فيش حاجة ...بعد إذنك هروح أنا أنام شوية.

ألقى يوسف بجسده على سريره ولكنه لم يجد للنوم سبيلاً يفكر فيها ...نعم هي التي أسرت قلبه هي التي عرف الحب من أجلها وهاهي الآن تذهب بعيدة عنه بعدما قرر أن يتغير .....صراع بداخل يوسف يوشك أن يقتله......

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تقف وحيدة يعتليها غضبها الجامح كلما نظرت إليه ..كلما رأته تذكرت ما فعله معها وكم الألم الذي تسبب فيه ليقطع صمتها صوت سارة صديقتها.

- هايدي يالا بينا اتأخرنا.

- ها... حاضر قالتها هايدي والحقد يملأ قلبها وتتوعد بالانتقام من يوسف ....

التقي يوسف باسلام في الجامعة وأخبره عما مر به من وساوس للشيطان وأفكاره ...ليطمئن الآخر صديقه أنه اختبار من الله وعليه أن يستعيذ من الشيطان ويستعين بالله من همزات الشيطان.....

ومع اقتراب الامتحانات

ذهبت سديم لتلتقي بمريم في مكانهما المعتاد ..... تنظر كل منهما في عيون الأخرى وتبدأ العيون بالكلام و تصمت الألسنة ...لحظات حتى بدأت مريم في البكاء.

- خلاص بقي ما تعيطيش أكيد هنتقابل تاني إن شاء الله قالتها سديم وهي تبكي محاولة أن تخفف عنها آلامها ....من الصعب أن تفترق عمن تحب....فالقلوب هي أعز ما نملك ولا يمتلك الأشياء الغالية إلا الغالي .... تتواعد الصديقتان باللقاء مجددا قبل سفرها.

- إن شاء الله هجيلك المطار بردو أسلم عليكي.

- لا يا حبيبتي ماتتعبيش نفسك قبلها نتقابل ونروح نسلم على إيمان ونقضي اليوم مع بعض.

ترجع مريم إلى منزلها بعد أن ودعت صديقتها وأثناء سيرها تنظر مريم إلى الأشجار والزهور وكأنها تودعها وداعا بلاعودة.......

تدخل مريم إلى غرفتها بعد أن القت السلام على والدتها ....اقتنعت مريم بأن يوسف لا يصلح لها فقد رضيت بقضاء الله لها وسيساعدها سفرها على النسيان بعد أن أقسمت أن تجعل قلبها ومشاعرها لله محافظة عليها .....

تنظر مريم إلى ذلك الصندوق الذي أعطته إليها سديم ووصتها ألا تفتحه إلا عندما يقترب موعد سفرها وها هي أيام قليلة وستغادر مودعه صديقتها.

## الفصل الرابع عشر

## ( البكاء على الماضى )

أنا من راودتنى فتاة.
ولم أقل كـ يوسف معاذ الله ، واستبقا الباب وقدت قميصى ، وتيقنت الآن أن الشيطان ونيسى ، ها أنا بالذنوب محمل ، هل لى بعودة دون رجوع مفعل ، كلما ثبتت القدم خارت قواي، لضعف النفس وملأت الشهوات الخلايا ، ودت السير وحيداً دون إنحطاطى ، سرتُ قليلاً فلامنى وقال: كيف الآن ومن قبل كنت تطاطى ، أريد حقاً خطوات من الإيمان خاشعةً لخالقهاً أتوسل بها لعمر أفنيه فى رذائل كنت أتقنها ، فكيف لى بتمنى درة مصونة أتزوجها ، ألى حقٌ بامتلاكها ومن قبل كنت بائعها ، بلحظات طالت بوقتها ، وها أنا أنقطها. ( جهاد الكريدي )

تبدأ مريم فى فتح ذلك الصندوق الوردى الذى تفوح منه رائحة طيبة وأول ما أخرجتة نقاب ومجموعة من الدبابيس مكتوب عليها قد تعاهدنا على السيرمعاً ثم تجد ورقة فتبدأ بقراءتها :

- باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى صديقتى وأختى مريم تحية طيبة وبعد :

عندما تقرأين رسالتى سأكون أنا فى حالة يرثى لها من البكاء ، حقاً لا أجد ما أقوله لكِ سوى أنى أحبكِ فى الله فطالما كنتِ أنتِ الوقود الذى يدفعنى للأمام دائماً كنتِ عوناً لى على طاعة الله أتدرين يا مريومة أنتِ أغلى شيءٍ على قلبى؟ كنت أتمنى أن تكونى بجانبى دائماً أتدرين هناك أمراً أُخفيهِ عليكِ كنت أتمناكِ زوجةً لأخى؟ ولكنه لا يصلح لكِ لعل الله يهديه منذ أن سألتكِ لو تقدم لكِ شاب كان صاحب معاصٍ ثم تاب إلى الله وأجبتِ بتلك الإجابة التى انفطر قلبى منها وازداد حبى لكِ ..... نعم الله يتوب ويسامح على عباده فكيف بنا؟! .

تنتهى مريم من قراءة تلك الورقة ولكنها لم تكف عن البكاء تبكى على فراق صديقتها وأيضاً تبكى على تلك الكلمة " تمنيتكِ زوجة ليوسف " لتجد نفسها تبكى ولا تعلم لماذا؟ ....... ترى هل حقاً قلبها ينبض تجاه يوسف أم أنها أوهام؟ .... مع كثرة بكائها يغلبها النوم ودموعها على وسادتها.

---------------------------------------------------------------------------------------------------

يجلس فادى شارد الفكر يتذكر تلك الأيام التى جمعته بيوسف منذ الطفولة دائماً كان يحقد عليه منذ صغره ويغار منه دائماً لشعوره أن يوسف أفضل منه .... ويقطع شروده صوت سوزى قائلة :

- مالك يا فادى سرحان فى إيه؟
- ها .... لأ مافيش ..... أنا عاوزك تكلمى يوسف وتعملى نفسك بتطمنى عليه.
- إنت مالك حطه فى دماغك ليه كدا؟
- هو لسه شاف منى حاجة ..... دنا هخليه يكره اليوم إللى اتولد فيه.
تتعجب سوزى من كلام فادى الذى يحمل الضغينة والكره ليوسف.

---

يستيقظ على غير عادته على أذان الفجر بعد أن عاهد الله على الرجوع والتوبة إليهِ ..... يشعر يوسف بأن ذنوبه تسقط مع كل قطرة ماء وعند ذهابه إلى المسجد تراه والدته وينير وجهها فرحاً وسروراً لرؤية ولدها .

يصل يوسف إلى المسجد ليجد أباه قد سبقه ..... لحظات قلية وتقام الصلاة يصطف المصلون خلف الإمام.

يشعر يوسف بخوف شديد يسرى فى جسدهِ خوف من الله - تبارك وتعالى - وبعد أن قرأ الإمام الفاتحة تلا قولهِ تعالى ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)........) ليجد يوسف كلام الله يخترق قلبه شعورٌ غريب شعره يوسف لأول مرة فى حياته وفى سجودهِ لم يستطيع أن يتوقف عن البكاء ويطلب من الله أن يغفر له وبعد انتهاء الصلاة ينظر والد يوسف إليه ويبتسم ابتسامة يطمئن لها القلب فكان يحلم أن يرى ابنه طائعاً لله يرجع يوسف بصحبة أبيه إلى المنزل ويذهب إلى غرفته ويخلد إلى النوم .

---

يعلو رنين هاتفها مما جعلها تستيقظ من نومها فزعه بعد أن رأت من المتصل.

- السلام عليكم ما لك يامريم في حاجة؟

- وعليكم السلام ... لا ياحبيبتي ما فيش... أنا آسفة إني اتصلت بيكي في الوقت ده ... بس أنا دلوقتي يا مريم في المطار مسافرة الشركة اتصلت ببابا وقدمت الحجز عشان في مشاكل هناك ولازم يسافر وهو مصمم ياخدنا كلنا معاه.

- مسافر!... ازاي يا بنتي إنتِ مش قولتي بعد الامتحانات ... طيب وامتحاناتك؟

- مش عارفة والله يا سديم بابا كان مضايق جداً و قال إن هو وكل واحد هيخلص باقي الورق بتاع صهيب و آسر.

- طيب أنا جيالك دلوقتي.

- لا ما تتعبيش نفسك الوقت متأخر وأنا اتصلت بيكي قبل ما أسافر أسلم عليكي... الطيارة ناقصلها ساعة واحدة.

- لا هنلحق إن شاء الله.

أغلقت سديم الهاتف وذهبت مسرعة إلى غرفة يوسف وتطرق عليه الباب بطريقة مفزعة....

- مالك يا سديم في حاجة حصلت؟

- بعد إذنك يايوسف تعالى وصلني المطار أسلم علي مريم بسرعة لأن طيارتها كمان ساعة.

- مريم!! هي مش مسافرة بعد الامتحانات.

- هفهمك في الطريق بس بالله عليك بسرعة عقبال ما استأذن من بابا وماما.

يتجه يوسف وسديم إلى المطار بعد أن وافق والدهما ..لم يفكر يوسف في شيء إلا رؤية مريم حتى لو كانت المرة الأخيرة.

تتصل سديم بمريم ولكن هاتفها مغلق فربما تكون قد ركبت طيارتها.

وفي المطار تنتظر مريم سديم وتتمني لو أن تحتضنها للمرة الأخيرة.
- يالا يابنتي اتأخرنا أوي كدا.
- خلينا شوية بس يابابا معلش.
- إحنا آخر ناس يا بنتي و الطيارة خلاص على وشك.
- حاضر يا بابا.
قالتها مريم و دمعاتها تسقط خلف نقابها ...تمنت لو كانت ترى صديقتها.
تصل سديم و يوسف إلى المطار ولكن ترى هل أقلعت الطائرة؟
- بعد إذنك الطيارة اللي رايحة السعودية طلعت و لا لسة..... قالها يوسف لموظف المطار.
- ثانية واحدة يافندم..... ربع ساعة بس يافندم و هتطلع.
- طيب صالة كام بعد إذنك.
- صالة 4
يركض يوسف مسرعاً وكأنه نسي أن سديم معه..... يبحثان عن صالة 4... لحظات قليلة حتى وصلا إليها...ينظران من حولهما ولكن لا جدوى لم يجدا شيئا.

تراهما مريم وقد تفاجأت بمنظر يوسف وهو يبحث عنها كالمجنون في كل مكان ...تلوح بيدها لسديم من خلف الزجاج ولكن لاجدوى فهي لا تستطيع أن تراها.
أقعلت الطائرة مخلفة وراءها شوقاً وحنيناً إلى أرض الوطن.
- يا لا بينا ياسديم الطيارة طلعت خلاص.
- يعني كدا خلاص يا يوسف مش هشوفها تاني؟
- لا إن شاء الله ترجع بالسلامة.

يرجع يوسف وسديم إلى السيارة ....وفي طريق الرجوع لا يصدق يوسف ماحدث للتو يقول في نفسه " كنت سأعترف أني تغيرت من أجلها كنت سأقول إني أحببتها حقا" لتتفاجأ سديم بيوسف وهو يضرب بيده مقود السيارة و يقول:
- ليه ... ليه دا انا ابتديت أتغير عشانك.
تفاجأت حفصة بكلام أخيها ليقطع شروده صوتها قائلة:
- إنت حبيتها يايوسف؟

## الفصل الخامس عشر

## ( اعتراف )

لا نعرف بقدرهم إلا عندما نفقدهم.....

وقعت الكلمة على مسمع يوسف كأن أحداً أنقذه من صراعه الداخلي لا يدري ما يقوله ولكنه ترك العنان لقلبه ليبوح عما بداخله ....نعم أحبها لا لا لا ...بل أعشقها فهي مختلفة عن غيرها.. شعرت بشيء ما يجذبني نحوها ترى ما هو؟.... أهو حياؤها أم أخلاقها؟ فأنا لم أرَ فتاة مثلها قط ..تغيرت لأجلها نعم أعترف فهي كانت سبباً في تغيري ولكن أين هي الآن؟ هكذا حدث يوسف نفسه...ويقطع شروده مرة

أخرى صوت سديم وهي تقول:
- يوسف رد عليا.
- أيوة يا سديم حبيتها واتغيرت عشانها كنت جاي وناوي أقولها.
ابتلعت سديم غصتها فور سماع كلام يوسف فهذه المرة الأولى التي ترى فيها يوسف يتحدث بصدق تغير يوسف كثيراً لم يكن يبالي من قبل نحو أي شيء كان دائماً يصاحب الفتيات ولا يهتم لأي شيء كان لا يشعر بأي شيء تجاههم ...ولكن حياء مريم وأخلاقها بل وعفتها أجبرت كل من يراها ويرى أمثالها على احترامها وتوقيرها.
فجمال الفتاة في حيائها وعفتها وأخلاقها فتصبح كوردة بداخل البستانِ تفوح منها رائحة أزكى من الريحانِ.
تتساقط دمعات سديم حُزناً على أخيها ولا تدري ماذا تفعل من أجل أخيها؟ فهذه المرة الأولى التي يصارحها بمشاعره نحو شخص ما...طالما تمنت أن يصبح يوسف مثالاً للأخ الذي يحتوي أخته ...تحاول سديم أن تواسي أخاها وتجمع ما تبعثر منه من مشاعر. تداوي جراحه. تُطمئن قلبه. وتوعده بأنها ستقف بجانبه.
أطفأ وعد سديم قليلاً من ذلك البركان الذي ثار بداخل يوسف ويشكرها على ما تفعله من أجله..يلتقط أنفاسه بعدما شعر أنها انقطعت عنه ويقود سيارته عائداً للمنزل.

-----------------------------------------------------------

يلتقي إسلام بيوسف ليجلسا سوياً و يبدو القلق والارتباك عل إسلام.
- مالك يا إسلام شكلك عاوز تقول حاجة؟
- ها ... لا ما فيش بس كنت عاوز آخد رأيك في حاجة.
- اتفضل قول.
- بصراحة يا يوسف إيه رأيك فيا؟
ينظر يوسف إليه مبتسماً قائلاً له:
- مش فاهم تقصد إيه؟
شعر إسلام أن يوسف فهم شيئاً ما.
- أقصد يا يوسف رأيك بجد من كل حاجة.
- شاب ربنا يبارك فيك وعلى دين وخلق ومكافح.
- طيب يا يوسف أنا قررت أخطب  قالها إسلام وحالة من الارتباك تظهر عليه.
- بجد  مليون مبروك يا إسلام إنت تستاهل كل خير ...بس مين سعيدة الحظ ديه؟... قالها يوسف والسعادة تملأ قلبه.
ارتبك إسلام ثم لملم شمله وجمع قوته وقال:
- سديم أختك يا يوسف.

صمت يخيم على يوسف ولا يعرف بمَ يجيب صديقه؟ وتراوده العديد من الأسئلة... كيف عرفها؟...وأين التقى بها؟ .. هل تقابلا؟...ليقطع شروده صوت إسلام قائلاً:
- كنت عارف إني مش مناسب إني أطلب إيد أختك ...قالها إسلام ونبرة من الحزن تخيم عليه.

يسرع يوسف في إدراك الموقف قائلاً:

- يا بني إنت فهمت غلط ..بس إنت تعرفها منين وشوفتها فين.
- إنت نسيت إن إيمان أختي بتحفظها هي ومريم صحبتها....وبصراحة هي اللي رشحتهالي بس حبيت آخد رأيك أنت الأول.

شعر يوسف أن إسلام صادق في كلامه مما زاد اطمئنان قلبه.
- طيب يا إسلام أنا هفاتح بابا وماما وآخد رأيها طبعا وهارد عليك وأنا عن نفسي مش هاطمن على أختي إلا معاك...طالما تمنى يوسف أن تكون أخلاقه مثل أخلاق إسلام وتدينه.

------------------------------------------------------

تجلس عائلة المهندس عبد الله على مائدة الطعام وسط سعادة لم يشعروا بها من قبل.
- بابا عاوز أكلم حضرتك في موضوع بعد الأكل.
- حاضر يا حبيبي.
يجلس يوسف مع والده في غرفة الصالون ويبدأ يوسف بالحديث قائلاً:
- بابا في واحد صحبي كان عاوز يجي يطلب إيد سديم.
- وده يابني دينه عامل إزاي وأخلاقه؟
بدأ يوسف فى التحدث عن صديقه حتى أن والده أحبه دون أن يراه.
ولم لا؟ ومن كان همه رضا الله أحبه الله ونادى جبريل فيحبه ثم أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.
وافق الوالد على الرؤية الشرعية ولكن طلب من يوسف أن يتكلم مع أخته...أسرع يوسف إلى غرفة سديم ويطرق بابها قائلاً:
- سديم..سديم.
- ادخل يا يوسف.
-عاوز أتكلم معاكي في موضوع.
- امممم...شكلك كدا عاوز حاجة.
يضحك يوسف ويجلس بجانب أخته على سريرها..
- سديم.. مش عارف والله أقولها إزاي.
- في إيه يا يوسف قلقتني.
- مبروك يا سديم.
- مبروك على إيه؟
- في حد طلب إيدك يا ستي.

يقع الخبر على قلب سديم كالصاعقة ...

## الفصل السادس عشر

## ( تتلاقى الأرواح )

تلك البصمة التي يجيد البعض نحتها ، كأمهر فنان عالمي ، لم تكن كبصمة صوت تتبتل الآلات بتمييزها ، ولا بصمة أذن يتعسر تقليدها ، ولا بصمة ، ولا بصمة أصبع يمكن التلاعب بها ، ولا يمكن تجميعها بتطابق كقطع البازل لتظهر شكلاً متكاملاً منمقاً ، إنما هي بصمة الأرواح عندما تتطابق بين روحين دون تدخل ، فتشف لها النفس بصفاء نقير. (جهاد الكريدي)

حالة من الارتباك تظهر على سديم فقلبها لم يعرف معنى الحب من قبل فضلت أن تحفظه لربها .. احمرت وجنتاها ولزمت الصمت ولا تدري بماذا تجيب؟ ليقطع شرودها صوت يوسف قائلاً:

- على فكره لو مكنش كويس كنت رفضته على فكرة....طيب تعرفي هو مين؟

أومأت برأسها ببراءة الأطفال بالنفي.

- إسلام صاحبي أخو إيمان اللي بتحفظك قرآن... قالها يوسف بفرحة عارمة.
غمرت الفرحة قلب سديم رغم أنها لا تعرفه ولكن هذا قدر الله....فبادرت موافقتها على الرؤية الشرعية..

---

مر يومان و يتصل يوسف بصديقه إسلام ليخبره على موافقة أهله. تغمر السعادة قلب إسلام فيسرع لإخبار والدته:
- ماما الحمد لله أهل يوسف وافقو.
- ألف مبروك يابني و ربنا يسعدك يارب ... كان نفسي أبوك يكون موجود معانا.
- الله يرحمه ... البركة فيكِ ياست الكل ربنا يحفظك لينا . ثم قبل يد والدته.
يتصل إسلام بإيمان ليزف لها ذلك الخبر السعيد.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. إزيك يا لومة.
- الحمد لله بخير يا إيمي وإنت ومحمد؟
- الحمد لله بخير.
- حضروا نفسكم عشان الموافقة لسه جايالي حالاً.
- بجد.... الله بقى فرحتني أوووي والله يا حبيبي ألف مبروك.
- الله يبارك فيكي يارب.
شعرت إيمان بسعادة لم تشعر بها من قبل، ولم لا؟ وأخوها الصغير كان بمثابة الأخ الأكبر والأب والصديق والابن.
- طيب هتروح إمتى؟
- تصدقي من فرحتي نسيت اسأل يوسف، قالها إسلام وهو يضحك.

---

تجلس على مكتبها ممسكه بقلمها محاولة أن تعبر عما تشعر بداخلها طالما كان ذلك هو السبيل الوحيد لتعبر عما تشعر به من بعد أن فارقتها صديقتها مريم...تخرج ذلك الدفتر الوردي اللون وتترك العنان لقلبها ليسطر لها ما تشعر به لتكتب قائلة:

" لا أعلم من أنت إلى الآن ولكني أثق في اختيار ربي لي ، أتدري أن دعوتي كانت أن يرزقني الله بمن يحمل كتابه ويعمل به في دنياه، أريدك أن تكون إمامي في صلاتي ، سنداً لي بعد ربي ، ملجماً لنزواتي ، إن أخطأت فلا تصرخ في وجهي فأنا أخاف من ذلك الأمر ولكن ضمني بين يديك ، احتوني بحنانك ، وصحح لي خطأي ، أعدك أني سأكون لك ما تتمني إن كتب الله لنا نصيباً....."

يقطع صوت رنين هاتفها ما كانت تفعل لترتسم تلك البسمة على شفتيها فور رؤيتها المتصل..
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته  قالتها سديم بنبرة تعتليها الحياء؟
- ألف مبروك يا حبيبتي وربنا يارب يتمم على خير يارب.
- الله يبارك فيكي  ربنا يكرمك يارب يا إيمان.
- إيمان !!! مالك يا بنتي إحنا صحاب من قبل أي موضوع ما تتكسفيش مني.
- والله مش أقصد بس مرتبكة و مش عارفة أعمل إيه؟
- ولا أي حاجة استخيري وربنا هيكرمك إن شاء الله ... أنا مافتحتكيش في الموضوع قبل كدا بناء على رغبة إسلام قالي لا أنا هدخل الباب من بابه وأشوف رأي يوسف الأول.

لا تدري سديم  ماذا تقول بعد ما سمعته؟ ....فلقد ألقى الله في قلبها شعوراً لم تشعر به من قبل بعد سماعها لتلك الكلمات... لم لا؟ وهو حاملٌ لكتاب الله ويرضي الله – عز وجل -.
انتهت المكالمة مخلفة فرحة عارمة تجتاح قلب سديم فترمي بجسدها على سريرها ...ثم قالت بعد تنهيدة:
- ياريتك كنتِ معايا دلوقتي يامريم عشان تفرحي معايا..
يزداد قلقها يوماً بعد يوم فهي لم تتصل بها منذ أن غادرت ولم ترسل لها أي رسالة تُطمئن قلبها فتقول:
- يارب طمني عليها ..

---

وفي اليوم المشهود ، وعلى العهد الموعود ، من الرب المعبود ، تلتقي أرواح تبتلت لرب الوجود.

يجلس إسلام ووالدته في غرفة الصالون مع يوسف ووالده ووالدته وبعد الترحاب:
- منورنا يا بني.
- بنور حضرتك ياعمي.
أومأ يوسف برأسه لإسلام ليبدأ في الحديث ولكن سكت إسلام فحياؤه يتغلب عليه.
- إسلام يابابا يبقى أعز أصحابي في الكلية  قالها يوسف محاولاً تشجيع إسلام فتابع الأخير قائلاً:
- ربنا يبارك فيك يا يوسف ... يوسف ياعمي يمكن هو صديقي الوحيد في الجامعة...... ثم بدأ إسلام بالحديث عن نفسه .... وبعد الانتهاء..
- ربنا يحفظك يا بني .... ما تقوم يايوسف تجيب أختك.
- حاضر يابابا.

طرقات على باب غرفتها:
- إيه يا بنتي؟ كل ده؟ الناس قربت تمشي وإنتى قعدالي هنا؟
- خايفة أوي يا يوسف معلش قولهم مش هتقدر تطلع.
فتبسم يوسف ضاحكاً من قولها ليجيب عليها:
- طيب إيه رأيك أقولهم هربت أحسن؟ .... يالا بلاش دلع.

تخرج سديم من غرفتها تمشي خلف أخيها على استحياء كأنها تختبئ وراء ظهره كأنها تحتمي به من شيء ما فهذه المرة الأولى التي يراها أحد بدون نقابها.....
تدخل سديم غرفة الصالون وتسلم على والدة إسلام وتذهب وتجلس بجوار والدتها وما زاغ بصرها من على الأرض من شدة خجلها..
لم يرفع إسلام نظره من الارض فور دخول سديم فالحياء صفة من صفات الرجال ...أُعجب الوالد من تصرف إسلام ليقول:
- طيب اتفضلي ياحاجة مع أم يوسف و نسيبهم يتكلموا براحتهم...ويطلب من يوسف أن يجلس بقرب منهم.
- بصوا اعتبروني خيال وسطكم يعني أطرش أعمى وأخرس كمان، قالها يوسف ممازحاً إسلام.
- تتردلك في الأفراح يا يوسف، قالها إسلام.

تبتسم سديم رغماً عنها فكلماته أذابت قلبها كما تذوب قطعة الجليد....
صمت يعم الغرفة لا أحد يتحدث تكفي النظرات أن تعبر عن مشاعرهم ..كلما نظرت إليه سديم وجدته ينظر إليها فترجع وتنظر إلى الأرض ..حتى تلاقت عيونهما في أحد المرات ليتوقف الزمن عند تلك اللحظة ، يشعر كل منهم بأن تلك النظرة أشعلت لهيب الحب بينهما ولكنهما فضلا الكتمان عن البوح.
اعتدل في جلسته ليقطع ذلك الصمت الذي عم أرجاء المكان ليبدأ بالتعريف عن نفسه قائلاً:
- أنا إسلام يا آنسة سديم صديق يوسف أخوكي .....يصمت قليلاً ثم يقول:
- هو الكلام بقى صعب أوي كدا ليه؟
تبتسم سديم رغماً عنها تلزم الصمت... ويكمل حديثه قائلاً:
- الحمد لله ربنا منّ عليا وحامل لكتابه وربنا يقدرني وأعمل بيه....من بدري إيمان كانت بتتكلم عنك لحد ما استخرت والحمد لله كلمتها فى الموضوع وهي فرحت بس قولتلها هقول ليوسف الأول والحمد لله يعني...

يطرق الفرح قلب سديم لتسمح له بالدخول مسرورة لذلك الأمر...
يطلب إسلام منها أن تتكلم قليلاً عن نفسها وعن ما تتمناه في حياتها...
تصمت لثوانٍ معدودة ثم تقول :
- أنا نفسي أرضي ربنا في حياتي كلها .... وكل اللي بتمناه إن ربنا يكرمني بحد يتقي ربنا فيا ويخاف على طاعتي وعبادتي والمسائل المادية مش في حسباني أساساً ..

أسعدت تلك الكلمات قلب إسلام مما جعله يتسمك بها أكثر...
تمر السويعات كأنها ثوانٍ معدودة ومعها ينتهي اليوم الذي خلد ذكراه في قلب كلٍّ منهما.

تبدي والدة إسلام إعجابها بسديم ووالدتها أثناء عودتها مع إسلام متمنية لابنها أن يكرمه الله ويتمم أمره على خير.

-------------------------------------------------------

تدخل سديم إلى غرفتها والسعادة تغمر قلبها لتقف بين يدي ربها تشكره على ما رزقها من فضله، انتهت من صلاتها لتنظر خلفها لتجد والدتها تحتضنها و تقول لها في سعادة بالغة:
- مبروك يا حبيبتي ربنا يتمملك على خير يااارب.
- الله يبارك فيكي يا ماما . ثم تقبل يدها.

يمر قرابة الأسبوع، ويتصل والد يوسف ليخبر إسلام على موافقة ابنته ...وتم تحديد موعد الخِطبة.

## الفصل السابع عشر

( يومٌ لن يُنسي )

يا لها من لمعة تبتهج لها النفس وترفرف السعادة مُحلقة في سماء أحلامنا، لمعة صفراء تدفؤنا، ليست كخيوط منبعثة من قرص متوهج يزين السماء الدنيا، إنما هي تلك الفصل المستديرة التي ترقد أسفل الإصبع ، فعندما تقع العين عليها تتملكنا ابتسامة لها مذاق خاص ، حقاً صفراء تسر الناظرين .
( جهاد الكريدي )

يطرق يوسف باب غرفة سديم لتأذن له بالدخول ثم يجلس أمامها ليطرح عليها سؤالا أخجلها:
- بصراحة كدا إيه رأيك في إسلام؟
لم تستطع أن تجيب من حيائها ولكن مع إصرار يوسف قالت:

- شخص كويس أحسبه على خير .....اكتفت سديم بتلك الكلمات.

ثم بدأ يوسف بالتحدث عن إسلام وما يفعله معه من نصائح له وتذكيره بربه....تستمع سديم لكلمات يوسف وقلبها يرقص على أوتار نبراته .. هكذا عطاء الله لمن حفظ قلبه ونفسه لله...

وفي اليوم الموعود

يصل إسلام وعائلته لمنزل المهندس جمال المصري ليرحب بهم الآخر ترحيباً يليق بتلك المودة التي أصبحت بينهم..
- ربنا يعزك يا عمي.... ده محمد جوز أختي وإيمان أختي.
- أهلا وسهلاً نورتونا يا بني .... أهلا أستاذ محمد.
- أهلا بحضرتك يا بشمهندس.

يتجه يوسف ليحضر سديم من غرفتها ليتفاجأ أنها ترتدي النقاب.
- إيه ده .....إنتي حتى لابساه يوم خطوبتك؟، قالها يوسف بعتاب لها.
- آه يا يوسف هو شافني مرة وخلاص وبعدين أنا أكشف وشي إزاي و جوز أخته بره ولا هو ولا حد تاني هيشوفني ..

شعر يوسف بخجل شديد من نفسه ولا يدري ماذا يقول؟ ولكنه أسرع في تدارك الموقف ليقول :

- بس إيه القمر ده .....الواد إسلام أمه دعياله بجد.
شعرت سديم ببرودة تجري في عروقها بدلاً من دمها فتنظر أسفل منها من شدة خجلها.

تخرج سديم من غرفتها بصحبة يوسف.... تغمر السعادة العائلتين فكان الجو عائلياً بناء على طلب إسلام جلست سديم على ذلك الكرسي بجانب إسلام .... يشعر كل منهما أن القلب لم يعد بمكانه من شدة فرحه استجمع قواه و نظر إليها ليرى عينيها يعتليها بريق من شدة سعادتها ...تبادلت ذلك الشعور معه فتركا العنان لعيونهما أن تتكلما بدلاً من ألسنتهما فتلك هي أقوى لغات الحب.
- طبعا قلبك هيقف دلوقتي............ قالتها إيمان وهي تهمس في أُذني سديم

تبتسم سديم وتشد علي يديها وتقوم بتهنئتها .....انتهت الخِطبة مخلفة سعادة تغمر الجميع .

--------------------------------------------------------

يستيقظ يوسف من نومه على اتصال صديقه فادي يطلب منه المجيء إليه في أمر هام...
يصل يوسف إلى فيلا فادي....
- قولِّي بقى إنت بتهرب مني ليه؟ ... قالها فادي بنبرة غضب.
- وأنا أهرب منك ليه يافادي؟ أنا بس كنت مشغول الفترة اللي فاتت.
- من صغرك وإحنا مع بعض في المدرسة مكنتش بتعرف تكدب...على العموم هستناك بالليل في حفلة عيد ميلادي ومافيش أعذار هظبطك النهاردة ...

لم يجد يوسف مخرجاً من ذلك الموقف فغلبته نفسه بالموافقة على ما طلبه منه فادي.

--------------------------------------------------------

يعلو رنين هاتفه وهو يستقل سيارته عائداً إلى بيته.
- السلام عليكم.... براحتك خالص أنا بس قولت أطمن عليك، قالها إسلام موجهاً عتاباً ليوسف.
- وعليكم السلام ..... العريس؟ معلش ياسمسم أنا قولت أسيبك بس وبعدين مش بشوفك في الكلية.
- معلش الشغل بقى وكدا .... يابني بطل بكش بقي... المهم أنا كلمت عمي والنهاردة أشوفك إن شاء الله.
- إمممممم مش عارف والله يا إسلام أصل رايح مشوار.
- مشوار إيه ده يا يوسف؟

حالة من الارتباك تظهر على يوسف فهو يعلم أن إسلام يعلم من هو فادي ويعرف ما كان عليه ففضل عدم إخباره علي أي شيءٍ .

-----------------------------------------------------------------

يصل يوسف إلى فادي ليجد من الحضور ما لاحصر له وأكثر الحضور كالعادة فتيات ...
بدأت نفس يوسف تضعف شيئاً فشيئاً ليجد كل ما تشتهيه نفسه نسي ذلك العهد الذي قطعه على نفسه بعدم تكرار ذلك الذنب ....ترى ما السبب في ضعف إيمانه؟ هل التزم فقط من أجل مريم ليرضي هواه أم لله؟
.... شيء فشيء غرق يوسف في بحر شهواته وملذاته.
- يوسف وحشتني من بدري ماشوفتكش.
تفاجأ يوسف تلك الفتاة التي تدعى سوزي تذكر ذلك الموقف الذي جمعه بها ظهرت أمامه في أبهى ما قد تراه عينه .... ضعفت نفس يوسف حتى أصبح كالأسير أمام نزواته وشهواته ليجد نفسه يلبي طلب سوزي في الصعود معها إلى غرفتها.....

## الفصل الثامن عشر

## ( النفس والشيطان )

يصل إسلام إلى منزل المهندس جمال المصري في الموعد المحدد يستقبله الوالد استقبالاً حاراً فلقد أحبه بسبب أخلاقه الحسنة والتزامه...يجلس الاثنان سوياً في غرفة الصالون ويدور الحديث بينهما .....دقائق معدودات و تدخل سديم في خجل شديد وتضع العصير على الطاولة ...

- اتفضل اشرب يابني ...
- حاضر ياعمي....
تجلس سديم في خجل شديد بجانب والدها لا يزيغ بصرها من على الأرض....يذهب الوالد ليجلس أمامهما في الغرفة المقابلة ليترك لهما الحديث...
- إزيك يا آنسة سديم؟
- الحمد لله بخير ...وحضرتك؟
- الحمد لله كويس....

بدأ إسلام الحديث عما يتمناه في أسرته المستقبلية وكيف يتصور أسرته و أطفاله....ومع كل كلمة كان يتكلمها كان قلب سديم يرقص على أوتار نبراته من شدة فرحها وتحمد الله في نفسها على عطائه..
ينتهي إسلام من حديثه ....ثم يسألها عن يوسف.
- ماتعرفيش يوسف فين؟
- لا هو قال لبابا نازل وهتأخر.
يشعر إسلام بريبة تجتاح قلبه قلقاً على صديقه...... يدخل الوالد حاملاً الكيك والشاي ويضعهم على الطاولة ...
- اتفضل يا حبيبي.
- جزاك الله خيراً ياعمي....بس بعد إذنك هستأذن أنا.
- ليه يا بني لسه بدري إنت لحقت؟
- معلش عشان عندي شغل الصبح بدري......اتفضلي يا أستاذة سديم حاجة بسيطة.

تمسك سديم بهديتها في حياء ولم تجب متشوقة أن تعرف ما بداخلها، لا لا ليس طمعاً فيما بداخلها ولكنها الهدية الأولى ممَّن ملك قلبها ..

- شكراً يابني... بس ليه تعبت نفسك
- ما فيش تعب ياعمي....أستأذن أنا..

يودع إسلام والد يوسف و سديم وأثناء رجوعه لم يهدأ باله عن التفكير في صديقه ترى أين أنت يا يوسف؟

هكذا قالها في نفسه ليقطع شروده صوت سائق السيارة التي كادت أن تصدمه.

- مش تحاسب يا أستاذ؟

يمسك بهاتفه ليتصل بيوسف ولكن الهاتف مغلق.

---

تجلس سديم في غرفتها أمام هديتها تتأملها وكيف بريقها اللامع ورائحتها الطيبة ...تبدأ سديم في تفقد هديتها لتجد ما قد يخطف قلبها ..

نقاب جديد مع مجموعة متنوعة من الشوكلاتة و باقة من الورد خطفت عقلها...يرقص قلبها من شدة فرحها .... تمسك بتلك الباقة لتأخذ شهيقاً منها ينعش رئتيها من جديد.

يجلس على مكتبه أمامه فنجان من القهوة شارد الفكر لا يهدأ له بال... ليقطع شروده صوت زوجته..

- جمال...ما لك يابابا سرحان في إيه؟
- ها... لا يا حبيبتي مافيش.
- إزاي بس؟.....قهوتك بردت.

لم يجد والد يوسف مفراً من الأمر فهي تعرفه وكيف لا وهي بجانبه قرابة العشرين عاماً؟..

- يوسف...شكله رجع زي الأول.....مش عارف ليه مش زي إسلام صاحبه؟

قالها والد يوسف بنبرة تعتليها الحزن والأسى لتواسيه زوجته قائلة :

- ربنا يهديه يارب.

---

يستيقظ من نومه ليجد نفسه مُلقى على السرير يغطي فراشه جزءاً من جسده وتك الفتاه على نفس حالته... لم يتذكر يوسف ماحدث بالأمس ولم يعاتب نفسه كما فعل في المرة الأولى ...تُرى هل غلبته نفسه أم أنه أصبح يتلذذ بمعصية الخالق؟.....هل أصبح على قلبه طبقة من الران تمنعه من محاسبة نفسه الأمارة بالسوء؟ .....ولكنه في النهاية أشعل تلك السيجارة التي وجدها بجانبه ...لم تكن من عادته التدخين ولكن أصبحت نفسه تطوق لفعل المنكرات....تستيقظ تلك الفتاة على رائحة تلك السيجارة لتنظر إلى يوسف وهي تبتسم......

يمسك والد يوسف الهاتف محاولاً الوصول إلى يوسف ولكن لا جدوى فالهاتف مغلق، والأمر أصبح خطيراً...لم يخبرهم يوسف أنه سيبيت خارج المنزل....

---

يبحث عنه في كل مكان بالكلية ولكن لاجدوى ....يقطع رنين هاتفه بحثه.
- إيه يا إسلام؟
- إيه يا إسلام ... أنت فين يا يوسف ومختفي من إمبارح وعمي قلقان عليك وقافل تليفونك؟
- مانا قولتلك عند فادي صحبي في إيه؟
- فادي!!!! لا أنت ماقولتليش.
لم يدرك يوسف أنه ذل بلسانه إلا على صوت صديقه وهو يقول:
- فادي تاني يا يوسف أنت مش بتحرم؟ ...... طيب إنت فين دلوقتي؟
- أنا مروح البيت تعبان شوية.
أنهي يوسف الاتصال بعد معاتبة إسلام له...ولكن الآخر قلبه ليس مطمئناً لذلك الأمر، وقد ظهر ذلك على صوت يوسف ...
هل يعقل أن يكون .... تتأرجح الافكار في عقل إسلام ليتذكر ما حدث لفادي وسبب سفره للخارج وخوف والده من أن يفضحه فهو ابن لصاحب توكيل سيارات في مصر ليجد نفسه يقول:
- مالهاش تفسير غير كدا.....ولكن أحسن الظن يا إسلام.

----------------------------------------------------------------

يغادر يوسف فيلا فادي مسرعاً متجها إلى بيته بعد أن هاتفه والده والأمر أصبح مقلقاً.
- ها ...طمنينى عملتي إيه...........قالها فادي موجهاً كلامه لسوزي.
- كل خير يا فادي... خلاص بقي خاتم في صباعي ومقتنع إنه غلط معايا زي ما كان بيقولي فوق...قالتها سوزي وهي تضحك بشدة.
- وهو معملش حاجة؟
- أبداً ولا ديه ولا المرة الأولى....حتى بعد ما شرب السيجارة ومبقاش في وعيه نام على طول.
- طول عمره خايب..... لسه أنا وراك يا يوسف لحد ما امحيك من على وش الدنيا.
شعرت سوزي للحظة أن فادي يخطط لشيء ما وأنها تساعده على ذلك ولكنها لا تعلم ما ينويه.

يصل يوسف إلى منزله ليجد والدته في انتظاره.... ترى والدة يوسف ابنها في حالة غير متزنة...يدق الخوف قلبها ولكنها استجمعت قوتها لتصفع يوسف على وجهه جعلته يستيقظ مما هو فيه.....تبكي الأم على ابنها فكانت دمعاتها أسرع من صفعتها ...انهمرت الأم في البكاء على ابنها الوحيد فمظهره يدل على تعاطيه لشيء ما ..
يحاول يوسف إرضاء والدته بتقبيل رأسها ويدها ولكنها لم تعطي له اهتماماً فقالت ونبرة الأسى تعتليها:
- روح فوق نفسك قبل ما أبوك يشوفك بمنظرك ده يجراله حاجة.

يتجه إلى غرفته متثاقلاً تحمله قدمه بصعوبة يبكي على حاله وعلى ما وصلت إليه والدته يلوم نفسه على فعلته ولكن لاجدوى تملكت منه نفسه الخبيثة.
- معقولة أنا التزمت عشانها؟
قالها يوسف معاتباً نفسه وهو يلقي بجسده على سريره ليغوص في نومٍ عميق.

--------------------------------------------------------

تتصاعد رنات هاتفه ليتفاجأ إسلام بأن المتصل هو والد يوسف ليسرع في الرد.
- السلام عليكم يا عمي.
- وعليكم السلام يا بني.
- عاوزك يا إسلام يا بني في موضوع بس بيني وبينك وبعيد عن الشغل والكلية والبيت.
- تحت أمر حضرتك ياعمي...

## الفصل التاسع عشر

## ( مكر ودهاء )

يصل إسلام إلى إحدى الكافتريات على ضفاف النيل ليجد والد يوسف في انتظاره ..يبدو عليه القلق.

يجلس إسلام بعد أن ألقى السلام على والد يوسف يبدأ الأخير بالحديث.
- معلش يابني أنا عطلتك بس الموضوع ده إنت المناسب ليه؟
- ماتقولش كدا ياعمي أنا زي يوسف.
- يوسف....يوسف تعبني أوي يا إسلام.
- ليه ياعمي؟ حصل إيه؟

يفرغ والد يوسف ما يحتويه صدره من ألم بسبب يوسف.....وفي نهاية الأمر يطلب منه أن ينقذه مما هو مقبل عليه.
- ياعمي يوسف بالنسبالي أكتر من أخ وربنا يعلم وإن شاء الله أنا معاه والله المستعان.
- ربنا يبارك فيك يابني.
اطمأن قلب والد يوسف قليلاً مما قاله إسلام.

-----------------------------------------------------------------

يعلو رنين الهاتف ليجيب متلهفاً قائلاً:
- عاش من سمع صوتك ياديدي.
- معلش يا فادي كان عندي شوية مشاكل مع ماما في البيت .... قالتها هايدي ثم تابعت حديثها قائلة:
- أخبار الخطة إيه؟
- عال العال أووي قرب يستوي المرة الجاية هزودله العيار وسوزي قايمة بالواجب هخليه يجيلك راكع.
كانت كلمات فادي تحمل الحقد والكره والانتقام من يوسف ... جمعهما الكره والحقد سوياً في صدفة لم تكن تجمعهما هكذا فهي تعرفه منذ أن كان يعيش بمصر وتسعى خلف كل من معه أموال فعشقها للدنيا جعلها تستغني عن حيائها وعفتها وكرامتها...
استمعت سوزي لما قاله فادي وتلك المؤامرة التي يقوم بها بالاشتراك مع هايدي لتدمير يوسف، ياله من مكر ودهاء! ... ولكن مَن هايدي التي تعاون فادي؟ هكذا سألت حالها.......

**وبعد مرور إسبوع**

يصل يوسف إلى الجامعة ليجد إسلام ينتظره.
- إيه يا يوسف؟ وحشني يابني أسبوع يا يوسف؟ كدا تتهرب مني ماشوفكش قالها إسلام وهو يمزح مع يوسف.
- معلش يا إسلام مشغول شوية مع بابا في الشغل وكدا ..... قالها يوسف ويعلم إسلام أنه يكذب عليه.
جلس الصديقان سوياً ليتحدث إسلام مع يوسف محاولاً معرفة مايخفيه عنه ولكن لا جدوى، أصرَّ الأخير على الهروب من فضول إسلام ..
يقطع حديثهما رنين هاتف يوسف ... لحظات ويترك إسلام وحيداً غارقاً في بحر أفكاره متسائلاً: تُرى من الذي اتصل به؟.

يذهب يوسف إلى المكان المتفق عليه ليقابل فادي ويعطيه ما طلب منه تلك السيجارة التي أوقعت يوسف في شباكها ...وقع يوسف ضحية لهؤلاء الذئاب تُرى هل سينجو؟....
وفي الليل......
يدخل يوسف إلى بيته متسللاً إلى غرفته حتى لا يراه أحد ويعكر صفو دماغه ....ألقى بجسده المنهك على سريره .....

يستيقظ من نومه ولا يدري كم الساعة الآن لم يعد يبالي للوقت ضُيعت صلاته وهجر مصحفه وترك ذكره وأصبح غريقاً في بحر شهواته ...طنين يؤلم رأسه كطنين النحل الدوي لم يهدأ حتى دخل ليلقي على جسده الماء البارد علَّه يهدئ من ألمه.
يخرج يوسف من غرفته مرتدياً ثيابه الأنيقة ...يلقي السلام على عائلته ويسرع بالخروج حتى لا يوقفه أحد.....يعتصر قلب والدته من أجله فهي التي تعلم ما به ولا تستطيع أن تخبر أحد بذلك الأمر.

---

يعلو رنين هاتف إسلام ..
- السلام عليكم ياعمي.
- وعليكم السلامى يابني ... لسه نازل أهو.
- ماشي تمام ياعمي أنا هكلمه.
أنهى يوسف المكالمة ثم اتصل بيوسف.
- السلام عليكم يا يوسف.
- وعليكم السلام يا إسلام.
- عاوز أشوفك محتاج أتكلم معاك في موضوع.
- معلش يا إسلام عندي معاد دلوقتي ومتأخر عليه.

أنهى يوسف حديثه وأقفل الهاتف....نبراته لم تُطمئن إسلام فهو يعلم صديقه.

---

يصل يوسف إلى ذلك المكان المشؤوم بسرعة البرق لم لا؟ وقد أصبح لا يهتم إلا بتلبية نداء شهواته، تبدأ الحفلة من جديد ولكن تشعر سوزي بريبة تجتاح قلبها على يوسف من تلك المؤامرة التي يديرها فادي وهايدي...هل حقاً أحبته لتلك الدرجة رغم أنه لم يلمسها كما خُيل له؟ ، شعرت بالخطر عليه فأسرعت بالجلوس بجانبه لمنع فادي من وضع أي شيء ليوسف...اكتفى يوسف بشرب تلك السيجارة فهي كفيلة لتدميره...وما بين الصخب والنصب يظهر إسلام في وجه يوسف ليتفاجأ الاخير من هو المنظر..

توقفت الموسيقى ينظر إسلام ليوسف نظرات كادت أن تقتله ..تسقط تلك السيجارة من يد يوسف من هول تلك النظرات ....ثوانٍ معدودة من الصمت القاتل ليقطع ذلك الصمت صوت فادي:

- أهلا بعم الشيخ إسلام اقعد بيتك ومطرحك.
- بص يافادي أنا ماليش كلام معاك ومش جايلك أنا كلامي مع الاستاذ، وينظر تجاه يوسف.

شعر يوسف بالإحراج من كلام إسلام ليزيد فادي غيظه ويقول:

- والأستاذ مش صغير ولا أنت ولي أمره.
- أه ولي أمره، قالها إسلام بتلقائية ليتفاجأ برد يوسف القاتل.
- ولي أمر مين يابابا ...أنت نسيت نفسك ولا إيه ولا عشان خلاص خطبت أختي بقيت ولي أمري ...فوق يا إسلام واعرف إنت إيه وأنا إيه؟ أنا يوسف ابن الباشمهندس جمال المصري ...ولا انت شكلك مناسبنا طمع بقى ...

تتعالى ضحكات الجميع من سخرية يوسف لصديقه إسلام ...شعر إسلام بمن يذبحه ولكن بسكين بارد تمزق أوتار حنجرته......تمالك إسلام نفسه حتى شعر بقدميه تأخذه للخارج ....ظل يمشي بين الطرقات وحيداً غير مصدق ماسمعه للتو من يوسف ...خانته دموعه لتسقط على خديه..ويسأل حاله:

- معقولة يوسف يقولي كدا......أنا مش عاوز النسب ده خـــــــ..

لم يكمل كلماته لتصطدم بجسده النحيل تلك السيارة المسرعة ليرتطم جسده بالأرض معلنا صوت تحطم عظامه ...

انطلقت السيارة مسرعة مخلفة وراءها إسلام وهو غريق في دمائه....

------------------------------------------------------------

جلس يوسف يعاتب نفسه على ما فعله بصديقه يشعر بالندم حيال ما فعله ..

- أيوة بقى هو ده يوسف اللي أعرفه.
- فادي بقولك إيه ابعد عني السعادي أنا مش طايق نفسي.

تدرك سوزي الوضع وتعلم أن فادي يخطط لشيء ما فطلبت من يوسف أن يصعد ليرتاح قليلاً..

شعوره بالندم سيطر عليه ليخرج هاتفه ليتصل بصديقه لعله يدرك ماقد حطمه للتو.

يعلو رنين هاتفه ولكن يأبى أن يجيب، ظل يوسف يرن حتى أجاب ولكن من هذا:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام إنت مين؟
- حضرتك صاحب التليفون ده عمل حادثة وإحنا بيه في المستشفى.

يقع الخبر كالصاعقة على يوسف كالصاعقة التي أودت بحياته لم يُخيل له في مرة أن مكروهاً يصيب صديقه.

يستقل سيارته مسرعاً بعد أن علم أين هو وتتساقط دموعه ويردد بحزن قاتل:
- أنا السبب.....أنا السبب.

## الفصل العشرون

## ( ندم وبكاء )

ظل يوسف يردد تلك الكلمات إلى أن وصل المشفى......
انطلق مسرعاً إلى قسم الاستقبال ليسأل عن صديقه....شعر بأن لسانه توقف عن الكلام من شدة هلعه فكل مايطرأ في باله هو موت صديقه وأنه السبب في ذلك....
شعر يوسف بشيء من الراحة عندما أعلمه قسم الاستقبال أن صديقه ما زال على قيد الحياة ولكن في غرفة العمليات .....حالة من الارتباك تسيطر على يوسف ولا يدري ماذا عليه أن يفعل؟ ...
لم تحمل قدماه أكثر من ذلك فجثا على ركبتيه أمام الباب المؤدي إلى غرفة العمليات..وكأنه شُل عن الحركة...ظل يوسف شارد الفكر يتذكر صديقه ومحبته له، تذكر كل ما جمعه على خير معه، تذكر كلماته القاسية التي خرجت منه كالسهم ووقعت في قلب صديقه والإحراج الذي سببه له وسط أصدقائه ...تجمدت الدمعات داخل عينيه رافضة البكاء لقسوة قلبه ولكنه أطلق العنان لنفسه بالبكاء على حاله وعلى ما وصل إليه صديقه بسببه ...
انتفض من مكانه فزعاً بعد أن ربت الطبيب على كتفه....
- ها يا دكتور طمني إسلام بخير؟
- حضرتك تقربله إيه؟
- صاحبه وزي أخوه كدا.

ينفجر يوسف بالبكاء كأنه بركان خامد معلناً لحظة انفجاره مما سمعه من كلام الطبيب.... أخبره الطبيب أن حالة صديقه في وضع خطر... أُصيب بكسر في الجمجمة مما أدى إلى نزيف داخلي في المخ بسبب شدة الاصطدام وارتطام جسده بالأرض مع كسور في بعض الأضلع اليُمني.
- دلوقتي هيكون تحت الملاحظة في العناية المركزة ادعيله ربنا يتم شفاؤه على خير .....قالها الطبيب وهو يربت بيده على كتف يوسف ....
وقف يوسف وسط المشفى مشلولاً لا يدري ما يفعله الآن ولكن كل ما خطر بباله أن يخبر والده....ولكن ينظر إلى ساعته وقد قارب الوقت منتصف الليل لكنه لا يملك خياراً آخر ....يمسك بهاتفه ويتصل بوالده
- السلام عليكم ....قالها يوسف ونبرته لم تُطمئن قلب والده.
- وعليكم السلام ....ما لك يابني؟
- بابا أنا في المستشفى ..إسلام عمل حادثة وحالته خطيرة وأنا مش عارف أعمل إيه؟

قالها يوسف وهو يبكي ....انتفض الوالد من مكانه من هول ما سمعه.
- مستشفى إيه يابني؟ ..
أسرع والد يوسف في تغير ملابسه لتستيقظ زوجته متسائلة:
- في إيه ياجمال؟ ...رايح فين في الوقت ده؟
استقل سيارته قاصداً المشفى بعد أن أخبر زوجته بما حدث وأوصاها ألا تخبر سديم بأي شيء ..ترك زوجته وهي تبكي وتدعو الله أن ينجي إسلام فلقد أخذ مكانه غالية بين قلوبهم جميعاً..

انتفض من شروده بعد أن ربت والده على كتفه..
- طمني يابني هو فين دلوقتي؟

يرتمي يوسف بين أحضان والده يبكي ويقول:
- أنا السبب يابابا أنا السبب ...
أطال يوسف البكاء بين يدي والده وهو يردد تلك الكلمات ...مرت عدة دقائق وبعدها هدأ يوسف ثم جلس مع والده وبدأ يقص على والده ماحدث بينه وبين إسلام ....
انفعل الوالد لذلك الأمر بشدة فهو يعلم تمام العلم أن إسلام لم يتقدم لابنته طمعا في أموالها فأسرع قائلاً:
- إنت إزاي تفكر كدا في صحبك؟ .
شعر يوسف بالندم والأسى على ما بدر منه تجاه صديقه داعياً الله أن يتم شفاءه على خير.
يتصل يوسف بمحمد زوج إيمان بعدما أخبره والده أنه لابد أن يخبر عائلته...
حالة من الفزع تسيطر على قلب محمد بعد أن أخبره يوسف بما جرى....استأذن من عمله ليمسك بهاتفه ويتصل بزوجته :
- السلام عليكم ...إيمان اجهزي حالا أنا جاي البيت هنوصل مشوار سوا.
- وعليكم السلام...مشوار إيه؟ ومال صوتك؟.
- أما أجيلك..اجهزي بس.
أغلق هشام الهاتف تارك الشكوك تداعب قلب إيمان والقلق يسيطر عليها ..يصل هشام إلى بيته ليجد إيمان كما طلب منها ...اقترب منها وأمسك بكلتا يديها واضعاً قُبلة على جبينها.....
انهارت إيمان بين يدي زوجها بعد أن أخبرها بما حدث لأخيها لم لا وهو أخوها وأبوها؟، بل كانت تخاف كأنه ولدها ....كان لها ذلك البئر الذي ترمي بأسرارها فيه ...
دقائق قليلة وهدأت بين ذراعي زوجها من شدة إجهادها ...ذهبا سوياً إلى والدتها ليقع عليها الخبر كما وقع على ابنتها ....اطمأن قليلاً بعد أن أخبرها محمد أن إسلام تعرض لبعض الكدمات فقط..
وفي الطريق إلى المشفى تتصل إيمان بسديم ظناً منها أنها علمت ماحدث:
- السلام عليكم إزيك ياسديم؟، قالتها إيمان وصوتها يُوحي بالبكاء.
- وعليكم السلام ...مالك يا إيمان في إيه؟
علمت إيمان أن سديم لم تعرف بعد بما حدث لإسلام ...ثم صمتت لثوانٍ قليلة وأجابت:
- طيب ياسديم هرجع أكلمك عشان محمد جنبي.

أغلقت سديم الهاتف ولكنها لم تتوقف عن التفكير...نظرت إلى الساعة فتجدها قد قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل مما زاد قلقها فتمتمت قائلة:

- قلبي  اتقبض ليه كدا....يارب استرها.
قامت سديم من فراشها  لتتوضأ وتقف بين يدي ربها ...... استوقفتها شهقات بكاء والدتها من داخل الغرفة مما زاد من قلقها ....لم تستطع أن تنتظر أكثر من ذلك فاتجهت إلى تلك الغرفة لتعرف ما يبكي والدتها....دلفت إلى الغرفة بعد أن سمحت لها والدتها.
- مالك يا ماما في إيه؟
- لا يا حبيبتي مافيش..
لحظات قليلة حتى يعلو صوت هاتف الأم مما زاد من قلق سديم ...أخذت الأم هاتفها وأجابت في غرفة أخرى.....رجعت الأم إلى إبنتها وعلى وجهها علامات الحزن والقلق..
- مين ياماما اللي اتصل بيكي؟
- ده بابا.
زاد قلق سديم مما سمعته وتسأل نفسها وأين أبي في ذلك الوقت؟  فكل ما دار ببالها أن أمراً أصاب أخاها
- ماما ...يوسف حصله حاجة؟
- لا يا حبيبتي يوسف بخير ..بس
- بس إيه؟
حالة من البكاء الهستيري سيطرت على سديم فور سماع ذلك الخبر ليُغشى عليها بعد لحظات قليلة... تصرخ الأم عندما رأت ابنتها لا حراك لها.....

---------------------------------------------------------------

تصل عائلة إسلام إلى المشفى والفزع يسيطر عليهم جميعاً.
- طمنوني ابني جراله إيه؟، قالتها والدة إسلام ودمعاتها تسبق كلماتها.
- بخير يا أمي ...هو بس في العناية تحت الملاحظة، قالها يوسف بنبرة ندم
سمح الطبيب لوالدة إسلام وأخته أن تدخل تراه من خلف الزجاج بعد أن أشفق عليها من حالتها ... مُلقى بجسده على السرير لا حراك له، ليس له حول ولا قوة، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، تغمر أسلاك الأجهزة جسده الهذيل، تصدر صفيراً يدل على أنه مازال على قيد الحياة..
لم تتمالك والدته نفسها من هول المنظر فأخرجتها إيمان من الغرفة ....

يصل الوالد إلى بيته بعد أن اتصلت به زوجته وأخبرته بما حدث .. يشعر الوالد بالقلق على ابنته:
- يا بنتي خليكي ارتاحي شوية وبكرا هوديكي، قالها الوالد بعد أن استعادت ابنته وعيها.
- أرجوك يابابا وديني أنا بقيت كويسة خلاص. قالتها سديم وهي تبكي.

تسرع سديم في تغير ملابسها بعد أن وافق والدها على اصطحابها إلى المشفى ....

تصل سديم ووالداها إلى المشفى لترتمي بين يدي إيمان وهي تبكي:
- هو عامل إيه دلوقتي يا إيمان؟

اكتفت إيمان بالبكاء مع ضمها إليها بشدة ...
أسرعت سديم متجهه نحو والدة إسلام وتُطمئنها قائلة:

- إن شاء الله هيبقي كويس ياماما.
- يارب يابنتي يارب.

حالة من البكاء تسيطر على الجميع ....يجلس يوسف مؤنباً حاله على فعلته..
يسمح الطبيب ليوسف أن يرى صديقه من خلف الزجاج ولكن يطلب منه ألا يطيل مكوثه في العناية

ينظر يوسف إلى صديقه ويبكي على حاله وعلى ما تسبب فيه لصديقه ..
يتكئ برأسه على زجاج الغرفة ويقول:
- سامحني يا إسلام ... أنا السبب.

أخذ يوسف يبكي ويردد تلك الكلمات حتى قطع بكائه ذلك الصفير المدوي........

## الفصل الواحد والعشرون

### ( فراق ووداع )

ذهبت عنى يا خليل الروح إلى الأبد، كل مفارق ينتظره عائلته ولو طال البعاد أمداً ، ولكنى أعلم أن مكانك عالٍ ولم يتسع لأحد، نورك يضئ في أعلى الجنان يارفيق الدرب، وظلمة ذنوبي تفحمت كالحطب، باتت الدنيا مظلمة وأنا السبب في تغير الطريق، اااااه على رحيل يدمي قلبي، اااااه على عتاب بات يمزقني، ألبستك الكفن بجسد واهن، وقدمتك بيدي للقبر ساكناً ، لم يعد القلب ثابتاً والعقل فارق كالصديق، يقتات الوجع من روحي على مفارقها، ياغائب وحاضر في الوجدان أخبرك، انفطر القلب على هواء لم أقتسمه معك، أشتاق لك فلن يتملكني خليل سواك، أشتاق لك فعُد ولو كانت روحي فداك.
( جهاد الكريدي )

يعلو صوت صفير الأجهزة الغرفة بكاملها مما استدعى تدخل الطاقم الطبي المختص..ينظر يوسف إلى محاولة الأطباء في إنعاش قلب صديقه مستخدمين جهاز الصدمات الكهربائية .. يرى جسده الهذيل ينتفض بفعل الصدمات الكهربائية ولكن لاجدوى..
تُخرج الممرضة يوسف من الغرفة بعد أن أشار لها الطبيب...لم يتمالك نفسه وهو يقول في نفسه " يوسف مات خلاص "....لحظات قليلة ويخرج الطبيب وعلامات الأسى والحزن تُخيم على وجهه ليعلن للجميع خبر وفاة يوسف..
تصمت الألسنة و تتكلم العيون معلنة الحداد على فقدان إسلام ...تسقط الأم مغشيّاً عليها فور سماعها الخبر ...تنهار إيمان من البكاء وتذهب مع والدتها في إحدى الغرف للاطمئنان عليها ...تقف سديم بلا حراك فهي إلى الآن لم تصدق ماسمعته للتو ...تضمها والدتها إلى أحضانها لتنفجر سديم من البكاء على فراق ما تمنت أن يكون زوجها ....يجلس يوسف على ذلك الكرسي فلم تتحمل قدماه هول الخبر لا يعرف شيئا سوى البكاء يلوم نفسه على ما فعله بصديقه فتلك كانت آخر ذكرى تجمعه به وقد كانت سبباً في فقدانه.

يذهب محمد للاطمئنان على والدة إسلام فيجد تلك المحاليل تتدلى من يدها لتهدئتها من هول الصدمة...ترتمي إيمان بين ذراعيه وتبكي علي فراق أخيها.
- كدا إسلام مات خلاص يا محمد ...يعني خلاص مش هشوفه تاني؟
- ادعيله بالرحمة ياحبيبتي... دي إرادة ربنا - سبحانه وتعالى - قالها هشام والدمع يذرف من عينيه.

ما أصعب الفراق يأخذ منا ما هو غالٍ وثمين ليترك لنا الدمع والألم ، نقف والصمت يتغلب علينا لا نملك أمامه قوة لردعه...

---

يقف يوسف يشهد غُسل صديقه ولا تملك قدماه القوة الكافية لحمله...تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها ذلك الأمر والأصعب أنه شهده في صديقه ....يرى يوسف المُغسل وهو يقلب صديقه يميناً ويساراً ولا حول له ولا قوة ...ترقرقت عينا يوسف بالدمع ولم تستطع الجفون أن تمنعها فأعلنت النزول مخلفة ألماً يعتصر قلب يوسف يشعر بالذنب على فعلته التي لام نفسه عليها ...تذكر يوسف أنه سيكون مكان صديقه في أحد الأيام ..تذكر معاصيه وأفعاله كيف سيواجه بها الله؟ ها هو يرى وجهه صديقة كالقمر ليلة البدر والابتسامة تسكن شفتيه ...." ماذا سيكون حالك يا يوسف؟ " هكذا سأل حاله ولكن لم يجد لنفسه إجابة تُرضيه.... كان هناك من يرمقه بنظره منذ أن دخل غرفة الغُسل...يضمه إليه والده محاولاً أن يخفف عنه ولكن استمر يوسف بالبكاء شعر بأن قلبه يُغسل من الران الذي غطَّى قلبه... انتهى المُغسل من عمله ليبدأ في تكفين إسلام وقبل أن ينتهي يطلب يوسف منه أن يقبل صديقه لآخر مرة..

اقترب يوسف من صديقه وشعر بأن نوراً يخرج من وجه صديقه ثم نظر إليه وقبل جبينه وقال:
- سامحني بالله عليك ...والله ما كنت أقصد أزعلك أبداً... عرفت متأخر قد إيه إنت كنت خايف عليا.

انهار يوسف من البكاء هاهو يودع صديقه فتلك هي آخر مرة سوف يراه فيها ..

حملوا جثمانة إلى المسجد للصلاة عليه ...صلاة لاركوع فيها ولا سجود ..
وقف الإمام أمام جثمان إسلام وقال:
- صلاة الجنازة أربع تكبيرات التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب التكبيرة الثانية النصف الأخير من التشهد التكبيرة الثالت الدعاء للمتوفى وهو ذكر والإخلاص في الدعاء والتكبيرة الرابعة الدعاء لعموم المسلمين الأحياء منهم والأموات ...

تجلس والدة إسلام على ذلك الكرسي لم تعد قدماها تتحملها قُصم ظهرها بفقدان صديقه ...تكاد تستطيع إيمان أن تقف للصلاة على أخيها ... غابت سديم ووالداها عن صلاة الجنازة بعض أن تعرضت لصدمة عصبية فقدت إثرها النُطق وذهبا بها إلى المشفي ..
الله أكبر... التكبيرة الأولي قالها الإمام ومن ورائه يوسف يصدر نحيب البكاء..هزَّت التكبيرة فؤاد يوسف
الله أكبر...التكبيرة الثانية يبكي محمد على فراق إسلام طالما شعر أنه أخوه الصغير.
الله أكبر...التكبيرة الثالثة تبكي إيمان ووالدتها وتبدأ كلٌّ منهما في الدعاء للفقيد ..كان نعم الابن البار لوالدته ونعم الأخ لأخته..
الله أكبر... التكبيرة الرابعة ومعها هاج الجميع في البكاء على إسلام فلقد كان محبوباً من أقاربه وجيرانه وأصدقائه ...الكل يبكي على فراقه فكل من يراه كان يحبه...وهذا هو حب الله لعبده أن يحبب فيه عباده..

انتهت الصلاة ورُفع جثمان إسلام نحو السيارة ومنها إلى مثواه الأخير ..شعر الجميع أن جسده يطير من فوق الحضور ...كان عدد الحضور كبيراً جداً انطلقت السيارة مسرعة نحو المقابر حيث مثواه الأخير ...أصر يوسف أن يكون بصحبة صديقه في السيارة ....يجلس يوسف بجانب صديقه باكياً نادماً على مافعله:

- سامحني يا إسلام..أنا عارف إنك حاسس بيا دلوقتي...والله ما أقصد أهينك أبداً سامحني ...

تصل السيارة إلى وجهتها...ينزل يوسف من السيارة يحمل جثمان صديقه مع أقربائه ليضعوه في قبره ....

- خلاص يا إسلام مشيت وسيبتني لوحدي ..مشيت ياصاحبي....وإنت زعلان مني ...للأسف محدش بيعرف بقيمة الحاجة إلا لما تضيع منه ....ااااه يا إسلام...لسه مش مصدق ...حاسس إني بحلم ...مع السلامة يا إسلام.

قالها يوسف وهو مع صديقه في قبره يودعه وداعه الأخير ...يسرع محمد في إخراجه من القبر ليرتمي بين ذراعيه معلناً البكاء.

يقف الجميع لدقائق يدعون لإسلام بالرحمة والمغفرة ...ارتفع نحيب يوسف من البكاء مع الدعاء لصديقه وفي تلك اللحظة خطر فى عقل يوسف سؤالاً طرحه على نفسه:

" ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ "

يبكي يوسف على حاله داعياً الله بصدق في تلك اللحظة قائلاً:

- والله يارب عائد إليك....اقبلني يارب عندك.

---------------------------------------------------------------

تجلس والدتها بجانبها على سريرها محاوله أن تعطيها شيئاً تأكله ولكنها تأبى ...لم تتوقف عينا سديم عن البكاء ...تمر تلك الذكريات القليلة التي زرعها إسلام بحنانه بداخلها ..

فالذكريات ماهي إلا مواقف مررنا بها ربما تكون سبباً في رسم تلك البسمة على شفاهنا أو ربما تكون سبباً في تلك الدمعة التي تسقط من بين جفوننا..

يدخل والدها ويوسف متلهفَيْن ليطمئنَّا عليها..

- مالك يابنتي...قوليلي مش أنا بابا حبيبك ...طمنيني بس عنك، قالها الوالد وهو يحتضن ابنته باكيا عليها.

كانت الصدمة شديدة عليها فقط بعد شهر من الخِطبة يرحل إسلام عنها تاركاً لها تلك الذكريات.

يقف يوسف ينظر إلى أخته وفي خاطره تتردد تلك الكلمات التي تذبحه:

- أنا السبب أنا السبب.

---------------------------------------------------------------

في المساء يذهب يوسف ووالده إلى العزاء ليقفا بجانب محمد.. يقف يوسف بجانب محمد يأخذ عزاء صديقه ويقول في نفسه " بدل ما أنا واقف في فرحك باخد عزاك "

انتهى العزاء ومعه ينتهي أول يوم على فقدان إسلام ... يصعد يوسف لتعزية والدة إسلام بعد أن طلب من محمد ذلك...

- البقاء لله يا أمي.
- الدنيا والدوام لله يا بني...الحمد لله أقول إيه غير الحمد لله؟ ماليش غيرك يارب يصبرني ماليش غيرك يارب يصبرني.
تسقط دمعات يوسف حُزناً على والدة إسلام.
- طمني يابني أختك عاملة إيه دلوقتي؟
- ادعيلها يا أمي لسه زي ماهي.
- ربنا يصبرها يابني يارب ...ابقى تعالى اسأل عليا يايوسف إنت من ريحة الغالي....دايما كان يحكيلي عنك ...ماتعرفش يابني كان بيحبك إزاي.
كانت كلمات والدة إسلام تزيد الجرح في قلب يوسف.
- حاضر يا أمي من دلوقتي اعتبريني ابنك التاني.
ربتت والدة إسلام على كتفيه وقالت:
- في أمانة يابني إسلام سا يبهالك لقيتها في مكتبه.

تعجب يوسف من ذلك و بدأت الأسئلة تطرق عقله ..قطع شردوه صوت محمد وهو يقول:
- اتفضل يا يوسف الأمانة بتاعتك .....

## الفصل الثاني والعشرون.

## ( وصيتي )

يصل يوسف إلى المنزل بعد أن سيطرت عليه حالة من التفكير بعد أن أخذ ذلك الصندوق من محمد....
يذهب إلى غرفة أخته ليطمئن عليها ولكن يجدها على نفس حالتها..
- السلام عليكم ..... الدكتور قال إيه ياماما؟، قالها يوسف لوالدته بعد أن أغلق الباب على أخته.
عندها صدمة عصبية ...و مع الوقت هتتحسن ....
ذهب يوسف إلى غرفته بعد أن أنهى كلامه مع والدته ليعرف ماقد أخفاه صديقه له.

---

يدخل فادي غرفته بعد أن أمسك بهاتفه تاركاً سوزي بمفردها مما زاد الريبة في قلبها حتى لحقته لتعرف ما يخفيه عنها ..
- يابنتي أنا لغمت كاس العصير بتاعه ولسه هيشربه أخدته سوزي على الأوضة بعدها جاله تليفون وماشوفتهوش بعدها ......ما تقلقيش وحياتك أنا وراه وأجيبهولك راكع لحد عندك .....

أيقنت سوزي أن فادي وهايدي يدبران أمراً ليوسف مما أيقظ الخوف في قلبها تجاه يوسف ...
لقد أحبته سوزي دون أن تشعر فرغم حالته التي كان لا يعي فيها بشيء إلا أنه رفض أن يقربها أو، يلمسها ...ترجع سوزي مسرعة فور إنهاء فادي مكالمته.

------------------------------------------------------------------

يجلس يوسف على مكتبه والحيرة تملأ رأسه .....وقبل أن يخرج الصندوق تذكر كل ما فعله إسلام من أجله وكم كان قاسياً معه في تلك المرة ...
وقبل أن يفتح يوسف الصندوق يجد مكتوباً عليه من الخارج " خاص بيوسف جمال المصري ".

يبدأ يوسف في فتح الصندوق ليجد ذلك العطر الذي يحبه يفوح منه والذي يذكره دائماً بصديقه ...أفرغ يوسف محتوى الصندوق تماماً وبدأ يتفقد ما أفرغه ...
مجموعة من الصور القديمة التي جمعت بينهما وورقة مكتوب عليها "وصيتي لك " وورقة مكتوب بها أسماء دروس ومواعظ لبعض المشايخ ...

يبدأ يوسف في فتح تلك الورقة ليقرأ وصية صديقه له:
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته....
" صديقي وأخي الحبيب يوسف تحية طيبة وبعد..عندما تقرأ تلك الكلمات سأكون أنا ذهبت عن هذا العالم ..طالما اشتقت للقاء ربي رغم قلة أعمالي إلا أني أثق بأن الله سيقبلني..كنت أتمنى أن نعمل سوياً في الدعوة إلى الله نكون ثنائياً نشُد بعضنا إلى الجنة ...ولكن هذا قدَّر الله يا حبيب أن تكمل بمفردك ..أتمنى يا يوسف أن تكون مثالاً يحتذى به من قبل الشباب ...أتمنى أن تكون ممن يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أتمني منك أن تدعو الناس لرب الناس وتعود لله، تحب ربنا وتحبب الناس في ربنا....تتغير وتغير الناس للأفضل ...
شباب الجامعة مسؤولون منك يا يوسف....الإلحاد سيطر على عقولهم ...تخيل شباباً يدعون أن لا معبود بحق ولا توجد آلهة ...ادعُ يايوسف بالحكمة والموعظة الحسنة كما قالها ربنا في كتابه..
أثق يا يوسف أنك سيكون لك باع في تغير الشباب وسوف يحب الله عملك ويستخدمك لدينه ... لم أنسك في سجودي ولا قيامي من الدعاء لك... لا تدري كم كانت محبتي لك ...كنت أبكي لله أن يهديك ويرد إليك رُشدك ...
يوسف أُقسم عليك ألا تصاحب أي فتاة أُخرى ...لا تتكلم معهم ...لا تصاحبهم ...لا تدري ياصديقي أن هذه أعظم فتنة ....هكذا أخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - اترك قلبك لزوجتك التي كتبها الله لك، اربط على قلبك ياصديقي، ألجم نزواتك وشهواتك بإيمانك، واحفظ نفسك لزوجتك ....
اسمك على اسم نبي الله يوسف انظر ياصديقي عندما دعته امرأة العزيز في غرفة واحدة وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله ...انظر إلى إيمانه...وفي بداية السورة الله يخبر نبينا محمداً – صلى الله عليه وسلم - نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك ...بمعنى أن الله فضّلها على كثير مما أوحى لنبينا ....تذكر يا يوسف بما كان يفكر فيها نبي الله يوسف - عليه السلام - ...خوفه من الله – تعالى - ....تذكر أنت يا يوسف خوفك من الله عصينا الله وأمهلنا ليس لضعف منه والعياذ بالله ولكن لحِلمه علينا ...لنرجع ونتوب إليه فكم من عفوه! وكم من حلمه! وكم من كرمه! وكم من جوده! وكم من ستره علينا! وكم من رحمته بنا!.. ارجع وتب لله يا صديقي...

يتابع يوسف القراءة بعدما أوقفته نوبة من البكاء ....
اترك يا يوسف شهواتك وملذاتك لله ..من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، اترك لله وسوف يعطيك الله فوق ما كنت تتمنى ويرزقك بمن تقر عينك...
في النهاية يا صديقي عدني أنك سترجع إلى الله، وسامحني إن كنت أغضبتك في مرة.

صديقي إذا توفيت قبلك عدني أن لا تبكي ، وأن تخفى أغراضي عنك وتذكرني في صلاتك بالدعاء وتختم لي القرآن وتزورني في قبري....

لقد وعدتني ياصديقي فأوفِ بوعدك، ابدأ مع الله حياة جديدة دون معاصٍ.
أحبك في الله.
إسلام "

انتابت يوسف نوبة بكاء مع نحيب كادت أن تقضي عليه ها هو الآن يعلم كم كان يحبه صديقه ولكن بعد أن فقده ...طال بكاء يوسف ومعه يشعر بأنه يُغسل من ذنوبه ....
دقائق قليلة مرت كأنها ساعات كثيرة على يوسف .....قام وتوضأ ليعلنها لله توبة نصوحاً..يعلن فيها رجوعه إلى الله ...أطال يوسف الوقوف بين يدي الله ومعه أطال البكاء وعند سجوده بكي قائلا:
" يارب خذني إليك لا تتركني في بحر شهواتي وملذاتي ...يارب أعنِّي على نفسي وشيطاني ...يارب اقبلني عندك ...يا رب أنا عائد إليك ...أنا تائب إليك...أستغفرك ياربِّ فاغفر لي يارب العالمين ".

شعر يوسف بالخوف من الله ووعيده فهذه المرة الأولى التي يشعر بهذا الشعور ...
أنهى يوسف صلاته، وبعدها خلد إلي نومٍ عميق .....
أيقظ يوسف من نومه صوت المؤذن يعلن عن صلاة الصبح....يشعر يوسف بأنه ذلك العبد التائب العائد إلى الله ....
يذهب يوسف للصلاة في المسجد المجاور له...وفي طريقه يسأل حاله كم اشتاق المسجد له! تذكر يوسف معاصيه من قبل فترقرق الدمع من بين جفونه ...رق قلب يوسف بعد أن كاد يكون أشد قسوة من الحجارة ..
يدخل يوسف المسجد ويلاحظه الإمام فلقد غاب عن المسجد فترة ليست بالقصيرة ..
أنهى يوسف الركعتين وبعدها ذهب للإمام ليسلم عليه ...
- السلام عليكم.
- وعليكم السلام إزيك يا أستاذ؟، المسجد نور والله، قالها الإمام مع ابتسامة ينشرح لها القلب.
- شكراً لحضرتك ...
أُقيمت الصلاة واصطف المصلون و بدأ الإمام في ترتيل القرآن بصوته العذب...
شعر يوسف أن كلام الله يعنيه هو فلقد قرأ الإمام " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله..."
بكى يوسف في سجوده طالباً من الله المغفرة ..
انتهت الصلاة و بعدها أخذ يوسف ركناً من المسجد وجلس وحيداً...
لاحظ والده ذلك الأمر ففضل أن يتركه وحيداً ولكنه طلب من الإمام أن يتحدث معه.
جلس الإمام مع يوسف ليبدأ الحديث بينهما.
- أنا تحت أمرك يا يوسف اتكلم برحتك وأنا سامعك.

- لا ..العفو يا شيخنا بس مش عارف ابدأ منين.
- طيب بص ..بلاش شيخنا وكدا اسمي أحمد وعندي 26 سنة مش عجوز يعني ومش متجوز ورقم بطاقتي ........ تعمد الإمام أن يمزح مع يوسف ليطمئن قلبه، وهذه من حكمة الدعوة أن يجد الداعي المدخل المناسب للمدعو.
تبسم يوسف ضاحكاً من قول إمام المسجد وبدأ يفرغ ما في قلبه ..شعر بأنه يزيل ما بقي له من ذنوب.
أخذ يوسف يقص على الشيخ أحمد ما مر به منذ دخوله الجامعة ومصاحبته للفتيات والكلام معهن وجميع مامر به ...منهياً كلامه قائلاً :
- هو ربنا ممكن يغفر لي بعد كل اللي عملته ده؟

---

## الفصل الثالث والعشرون

## ( حياة جديدة )

بكي الشيخ أحمد على بكاء يوسف ..يشعر بصدق توبته من حديثه....هدأ قليلاً ثم رتل قائلاً:
" وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات ".
- بس أنا عصيت وارتكبت ذنوب كتير ...
ليكمل الشيخ أحمد الآية قائلاً:
" ويعلم ماتفعلون " ثم تابع قائلاً:

- من رحمة ربنا على عباده يا يوسف إن ربنا سمَّى نفسه الغفار الغفور الرحيم التواب...الله يدعو عباده ليتوبوا فيتوب عليهم ويغفر لهم بل يبدل سيئاتهم حسنات ربنا قال " يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ".
" يريد الله أن يتوب عليكم " ....فلا بد من الرجوع إلي الله .... الله يحبك ويريد لك التوبة فاقبل عطاء الله لك ..
- طيب أعمل إيه عشان أحفظ نفسي؟
- عليك بالصحبة الصالحة والبيئة الصالحة والمنهج الصالح تلك أسباب صلاح النفس ...
إوعى ترجع لصحبة فادي صاحبك ده واستغفر على اللي عملته مع سوزي ....وألجم نفسك بإيمانك يا يوسف ..النفس تحب الفجور قبل الطاعة ولكن إن خالفتها فربنا أعد لك الجنة ....
"فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى".
يا نفس توبي فإن الموت قد حانا..واعصي الهوى فالهوى مازال فتّانا
يا نفس، ألا تريدين الجنة؟، والله لأقهرنك على طاعة مولاكِ ، فإني بذلك أُكرمُكِ لا أهينك، فإني إن أطعتك يانفس وقعتِ في قعر النار ، والرسول يقول: " يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلي نفسي طرفة عين"، وربك يقول " ونفس وما سواها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح

من زكاها".
فإني ورائكِ يا نفس بالكرباج ، وربك خلفك بالمرصاد، لأدخلنك الجنة بلا خزى ولا أصفاد.
ولأخالفن الهوى والشيطان وأترك حظي من الدنيا حتى أنال حظي في الآخرة.
اقرأ يا يوسف على نفسك كلام الله - تبارك وتعالى - وحصنها بالذكر والقرآن فستجد نعيماً دائماً ولذة بداخلك أعظم من لذة أهل المعاصي بمعاصيهم..تحصن بربك، واتق الله في سرك وعلنك، وأحسن فيما بقي يغفر الله لك ما مضى؛ فيكتبك الله عنده من المقبولين، وإياك يايوسف أن يراك الله على ما يكره، وإن وقعت فقم واستغفر وتب، وارجع إلي ربك من جديد.
أنهى الشيخ أحمد حديثه ليجد يوسف في حالة من البكاء علم الشيخ أن تلك هي التوبة الصادقة فربت على كتفه ليبشره قائلاً:
-- اعلم يا يوسف أن تلك الدمعات لها قدر عند الله - تبارك وتعالى - ..الآن الله يفرح بتلك التوبة الصادقة، ولكن أحذِّر نفسي وإياك من ذنوب الخلوات فهي تأكل الحسنات كما تأكل الدابة المنسأة.
أحد الصالحين ذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل وقال: سمعت خطيب مسجد يقول تلك الأبيات، فما رأيك يا إمام؟.....فقال: وماهي - يرحمك الله -؟.
فقال الرجل: ...
إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تقل .... خلوتُ ولكن قل عليا رقيبُ
ولاتحسبن الله يغفل ساعة ...... ولا أن ماتخفيه عنه يغيبُ
الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين...فلماذا تجعل الله أهون الناظرين إليك
فدخل الإمام أحمد غرفته وأغلق على نفسه وظل يكرر تلك الأبيات ويبكي بكاءً شديداً.
فتابع الشيخ أحمد حديثه قائلاً:
- ده حال اللي قبلنا يا يوسف فأين نحن الآن؟.

بكي يوسف حتي احتضنه الشيخ أحمد معلناً توبته لله.
- والله راجعلك خلاص يارب والله تبت ليك خلاص.
أنهى يوسف جلسته مع الشيخ أحمد ليترك الشيخ وحيداً في المسجد:
- ماتعرفش يا يوسف أنينك ده أعظم عند الله من تسبيح المسبحين ...اللهم ثبته يارب، قالها الشيخ متمنياً ليوسف الثبات والاستقامة.
يرجع يوسف إلى بيته فيجد والده في انتظاره فيسرع يوسف في تقبيل يد والده راجياً منه أن يسامحه ويعفو
- سامحني يا بابا والله أنا خلاص اتغيرت ماتزعلش مني.
- الحمد لله يا بني ...فرحتي ما تتوصفش بيك النهارده ...ربنا يسامحنا جميعاً يارب أهم حاجة يابني ماتعملش زي المرة اللي فاتت لا قدر الله وترجع تاني.
- لا يابابا ماتخفش المرادي بجد ....موت إسلام - الله يرحمه - فوقني أووي.
تدخل الأم حاملة في يدها فنجاناً من القهوة قد أعدته لزوجها.
- الحمد لله يارب استجبت لدعائي .. الحمد لله يارب   قالتها الأم وهي تبكي ويوسف بين ذراعيها.
قبل يوسف يد والدته ورأسها طالباً منها أن تسامحه وتعفو عنه فيما مضى ..
عمت الفرحة أرجاء المنزل بتوبة يوسف وعودته إلي الله .....
يذهب يوسف ليطمئن على أخته ....كم تمنت سديم أن تراه تائباً راجعاً لله!.

يدخل يوسف إلى غرفة أخته فيجدها على غير عادتها ...ينظر إليها ولا يصدق ما تراه عينه ... تكاد الصدمة أن تفقده وعيه ..

- تعالى ادخل يا يوسف ..... قالتها سديم.

دلف يوسف غرفتها وجلس أمامها متعجباً كيف هذا وقد تركتك أمس في عالم الأموات؟

- ماتستغربش أوي كدا يا يوسف ...الحمد لله الذي رد عليّ عافيتي، قالتها سديم وهي مطمئنة النفس.

- طيب إزاي أنتِ إمبارح كنتي في دنيا تانية؟

تنهدت قليلة ثم قالت:

- إمبارح يايوسف شوفت رؤيا إن شخص معرفهوش لابس عمامة بيضا وقميص أبيض بياخد بإيدي وإنه بيحميني من حاجة وبس سابني ومشي وقالي هرجعلك بس تكوني أما تجهزي ..بس وصحيت على أذان الفجر ......

ابتلعت غصتها وقالت:

- مش هنكر إن قلبي دق لإسلام - الله يرحمه - واتمنيته وحسيت بجد بكرم ربنا ....بس ربنا اسمه المدبر وأكيد ربنا ليه حكمه في كدا يمكن كنت تعبته بعد الجواز أو أي حاجة ...كان شاب بصراحة أحسبه على خير ولا أزكي على الله أحداً ربنا يتغمده برحمته.....

يمسح يوسف تلك الدمعات التي أسقطتها سديم على وجنتيها ...

- ربنا هيكرمك بالأفضل ياحبيبي والأحسن - إن شاء الله -.

ثم تنهد قليلاً ليترك العنان لقلبه ليبوح عما بداخله:

- أنا عارف إنك تعبتي مني ومن أفعالي عمري ماكنت الأخ الحنين ليكي، عمري ماقولتلك مالك في إيه؟ زعلانه من إيه؟ ، بالعكس كنت أنا سبب في زعلك حتى مريم صحبتك أما حبيتها وقررت ألتزم في الأول سافرت لإني ما استحقهاش .....عارفة موت إسلام صحّى فيا حاجات كتير جدا ماتت جوايا ...شيطاني ونفسي كانوا أقوى مني وإسلام - الله يرحمه - مكنش بييأس معايا لإنه كان بيحبني لدرجة إنه كان بيتصدق باسمي عشان ربنا يهديني كل ده عرفته بعد أما مات ...

بكى يوسف على فراق صديقه ثم تابع قائلاً:

- عشان كدا أنا عاوز أبتدي حياة جديدة مع ربنا ومع نفسي ومعاكي ومع بابا وماما ...عاوز أعيش حياة جديدة ... تنهد يوسف قليلة ثم ابتلع غصته ونظر إلى سديم وقال:

- إنتي بالذات ممكن تسامحيني على كل حاجة عملتها معاكى؟ ...وتريقتي عليكي وعلى نقابك بدل ما أكون ليكي سند؟ ...بدل ما أشجعك كنت بكسرك .....لم يستطع أن يكمل حديثه فترك العنان لدمعاته تعبر عما يشعر به من الأسى ...ثم تابع قائلاً:

- أوعدك هعوضك عن كل حاجة فاتت ... قالها يوسف ثم قبَّل سديم.

لم تتمالك سديم نفسها من شدة الموقف ..اختلطت مشاعرها ما بين السعادة والحزن.

فسعادتها اكتملت برجوع يوسف إلى الله ولكن يتفطر قلبها على أخيها لأن قلبه ينبض باسم صديقتها مريم ولكن هيهات هيهات أين مريم؟ الآن تخشي حفصة أن يكون أصابها مكروه فلا تملك لها غير الدعاء.

- خلاص بقي يا يوسف .....أول حاجة تجبهالي أيس كريم عشان أسامحك وكل ماتزعلني تجيبلي حاجة وبعدها هنسى علي طول .....قالتها سديم محاولة تهدأته بمزاحها.

اعتدل في جلسته قائلاً:
- حاضر ياسديم ...أنتِ تؤمري بس .....ممكن نروح نفطر مع بابا وماما وحشتني اللمة.

اكتملت فرحة الأبوين عندما رأيا ابنتهما بصحة جيدة لتعم السعادة أركان المنزل.

---

يصل يوسف إلى الجامعة ويلاحظ الجميع وجه التغير الذي طرأ عليه ...لم يبالِ بأصدقاء السوء.... توجه إلى مكان المحاضرات والعيون تلاحقه غير مصدقة أن هذا يوسف ..أصبح التزامه بحضور المحاضرات من اهتماماته الأولية .....
انتهت المحاضرة ومعها يُرفع أذان الظهر ...
يتجه يوسف إلى المسجد الذي لم يدخله من قبل ....و ما زالت العيون تلاحقه فلم يصدق أحد أن هذا هو يوسف ....ولكن أمره بين الكاف والنون وليس ذلك علي الله بعزيز ...

## الفصل الرابع والعشرون

## ( بداية مع الله )

أنهي يوسف صلاته ليتفاجأ بمن يلقي عليه السلام:
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
قالها يوسف وهو ينظر نحو من ألقى عليه السلام ....تفاجأ يوسف بذلك الوجه الذي يشع منه نوراً...وتلك اللحية التي تزيد من هيبته...شعر يوسف بارتياح لذلك الشخص فلقد ألقى الله في قلبه محبة له..
- أنا أول مرة أشوف حضرتك...بس والله حبيتك في الله وما شاء الله وشك تحس فيه نور ....
- أنا؟ ...ربنا يكرمك ده بس من ذوق حضرتك....أنا يوسف في ثالثة مدني.
شعر يوسف كأن الله أرسل له من يعينه علي طاعته...
- وأنا أواب ... في ثالثة هيدروليك .... وبلاش حضرتك ديه إحنا صحاب ولا إيه؟
- آه طبعا إن شاء الله ..يشرفني طبعا ..بس معلش يعني إيه معني اسمك؟
- من غير معلش ماتخافش، قالها أواب مازحاً ....ثم تابع قائلاً:
- أواب يا يوسف يعني كثير الرجوع إلى الله وديه صفة سيدنا داوود ...بس اسم مش على مسمى ربنا يسامحنا.
طال الحديث بين يوسف و صديقه الجديد أواب ....شعر كل منهم بأنه وجد ضالته التي كان يبحث عنها..

---

سرعان ما تصل الأخبار إلى فادي عن طريق تلك الشيطانة التي تدعى هايدي.....كان فادي أسيراً في حبها يفعل كل شيء من أجلها ...كانت تُمنيه من نفسها ...ولكن هذا ليس هدفها بل هدفها هي تدمير يوسف عن طريق تلك الدمية التي تستخدمها التي تدعى فادي.

- طيب أنا عملت اللي عليا ...عاوزاني أعمل إيه تاني؟ قالها فادي بنبرة ترجٍّ.

- معرفش أتصرف ..فكر في اللي هان حبيبتك ولا أنا مش حبيبتك قالتها هايدي بنبرة جعلت ذلك البركان الخامد يثور بداخل فادي ....

---------------------------------------------------

استكملت سديم عافيتها وتذهب إلى جامعتها فلقد اقتربت الامتحانات ... قابلت هناك صديقتها إسراء ولكنها لاحظت شيئاً غريباً عليها.

- مالك يابنتي في إيه؟

- مافيش... مصطفى عاوز يجي يتقدم بس خايف ليترفض قالتها إسراء بنبرة تغمرها الحزن.

- إنتى لسه بتكلميه عالفيس ...مش اتفقنا تسيبي كل حاجة على ربنا، قالتها سديم معاتبة لإسراء.

- هو بعت رسالة من إيميل جديد عشان عملاله بلوك ...هو طلب مني كدا بس مردتش عليه.

- بصي قوليله إحنا اتفقنا إننا هنسيب الأمر كله لله وهو لو واثق في ربنا وبيحبك بجد هيعمل كدا.

تعلم سديم مدى حب إسٍراء لمصطفى ومدى صدق الآخر في طلبه ولكن رضا الله أقرب.

--------------------------------------------------------------

يتجدد اللقاء كل يوم بين يوسف وصديقه الجديد أواب ...أصبح المسجد مكانهما المفضل.

- على كدا يا أواب نفسك في إيه؟

- نفسي أدعو إلى الله ..أبقى داعي إلى الله ...نفسي ربنا يرشدني إلي الطريق ده....ثم أتبعه يوسف قائلاً:

- و أنا كمان نفسي ألف العالم أدعو إلى الله ..نفسي أعرف أتكلم عن ربنا بس.

- إزاي ديه بقي بتاعة ربنا إحنا ندعي ربنا يعلمنا بس .....قالها أواب ليوسف ثم أتبع قائلاً:

ناقص أسبوعين على الفاينال ربنا يستر قلقان أوي.

يطمئنه يوسف ويقول:

- ربنا مش هيضيع تعبك يا أواب ..

-------------------------------------------------------------------

تصل إسراء إلى منزلها ثم تقوم بإرسال رسالة إلى مصطفي تخبره بما قالته لها سديم ......من ناحية أخرى يري مصطفي رسالتها مما زادته تمسكاً بها....

تتصل إسراء بسديم لتخبرها عما فعلت.

- صدقيني ياحبيبتي ربنا هيكرمك والله.

- الحمد لله ضميري مرتاح عشان برضي ربنا.

بعد مرور شهر يجلس يوسف وأواب في المسجد ..زادت المحبة بينهما إلى أبعد الحدود بدأ يوسف بالحديث قائلاً:

- معقولة آخر يوم امتحانات وهتيجي الأجازة خلاص.

- شوفت بقى ....بس عاوزين نستغلها صح إن شاء الله.

- الله المستعان يا أواب.

وبعد توديع الصديقين بعضهما ..يعلو صوت رنين هاتف سديم لتجد المتصل أخاها.

- السلام عليكم ....حبيبي طمني عملت إيه؟

- وعليكم السلام ..الحمد لله ياسديم امتياز إن شاء الله ..المهم إنتى فين؟

- لسه هخرج من الكلية.

- طيب أنا عزمك على الغدا ...ممكن تتكرمي وتقبلي عزومتي المتواضعة.

تعم الفرحة قلب سديم فهي لم تصدق ماسمعته للتو...

- بجد يا يوسف .....الله بقي ...مستنياك ياحبيبي أهو.

يصل يوسف ويقف أمام بوابة الكلية ..تخرج سديم بعد أن هاتفها أخوها يخبرها أنه بالخارج، ولكنها تجد يوسف واضعاً يده خلف ظهره كأنه يخفي شيئاً ما .... تفاجأت سديم بباقة من الورد التي تعبر عن مدى حبه لها ليتفاجأ يوسف بفعل غير تلقائي منها عندما ارتمت بين ذراعي أخيها....

قبّل يوسف رأس أخته ثم قام بفتح باب السيارة لها:

- اتفضلي يامولاتي.

تقوم سديم بتقمص دور الأميرة وتركب بجانبه وتقول:

- بسرعة ياولد جعانة بدل ما أرفدك.

تتعالى ضحكات يوسف من كلام أخته لينطلقا قاصدين وجهتهما ولكن كانت هناك عيون تلاحقهما

- شايف اللي أنا شايفه؟، قالها أحد الشباب ناظراً إليهما:

- آه شوفت .....وعملالي فيها الشيخة.

يغلي الدم في عروق ياسر من سماعه لحديث أصدقائه لينفجر قائلا:

- يا جدعان ده أخوها يوسف يعني مش حد غريب.

- وإنت عرفت إزاي يا عم ياسر؟

- أختي صحبتها و كنت بفكر أتقدملها بس عندهم ظروف فأجلتها شوية.

-------------------------------------------------------------------------

وفي أحد الأيام يدخل يوسف مسجد غير مسجده الذي أعتاد الصلاة فيه لأداء صلاة العشاء .....أُقيمت الصلاة وبعدها قام أحد المشايخ وكأنه سيقول شيئاً ما ..بدأ الشيخ في الكلام عن الله وعظمة الله وقدرته قائلاً:

- الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ....والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ..أعظم ما في خزائن الله هي الهداية فمن أراد الله أن يهديه هيَّأ له الأسباب وكلٌّ منا مسؤول عن دينه ..تخيل أخي وحبيبي في الله أنك ستحاسب أمام الله و تُسأل عن دين الله فأخبرني بالله عليك ماذا

أعددت لهذا اليوم؟ ....
شعر يوسف بأن هذا الكلام له وحده ...أجهش يوسف نفسه بالبكاء من كلام ذلك الشيخ وبعد أن أنهى كلامه والدعاء ....
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام، ربنا يجازي حضرتك خير على الكلام ده.
- ربنا يتقبل يارب .... أنا اسمي أويس ( أويس بطل روايتي الأولي أحببته في الله )
- ما شاء الله وأنا يوسف ياشيخ أويس ....

بدأ أويس يتحدث مع يوسف حتى تآلفت قلوبهما .......

## الفصل الخامس والعشرون
## ( مَكيدة )

تابع أويس كلامه عن قدرة الله وعظمته وأسباب صلاح النفس .... شعر يوسف بأن شيئا ما يجذبه لأويس يريد أن يسمع المزيد شعر بأن الكلام عن الله هو داء لكل دواء ....تكلم أويس عن رحمة الله وعفوه ومغفرته ....ترقرقت عينا يوسف بالدمع نادماً على ما فعله.
عاد يوسف إلى منزله يفكر في كلام أويس له ويسأل نفسه: ماذا أعددت يا يوسف للقاء الله؟ ...
يسمع يوسف طرقات على باب غرفته .... تدخل سديم حاملة في يديها كوباً من العصير.
- عصير كمان شكلك عاوزة حاجة؟ قالها يوسف مبتسماً.
- بصراحة آه ....نفسي نخرج سوا، الأجازة طويلة وعاوزه أغير جو.
- بس كدا .....إنتي تؤمري يا سديم.
- ربنا يباركلي فيك يا أجمل يوسف في الدنيا.
أخذ الاثنان يتبادلان الحديث سويا ولكن تتفاجأ سديم بسؤال يوسف بعد أن اعتدل في جلسته:
- مافيش أخبار عن مريم؟، قالها يوسف متمنياً أن يسمع ما يروي ظمأ قلبه.
- لا، يا يوسف.
شعرت سديم بأخيها وأصرت أن يبوح لها عما بداخله قائلة:
- إحكيلي يا يوسف، إيه اللي شدك لمريم بالطريقة دى مع إنك مش بتحب البنات اللي من نوعيتها ودايماً كنت تقولي متكبرة؟ ....
تنهد يوسف ثم قال:
- حيائها ياسديم اللي شدني ليها إصرارها وتمسكها بدينها ...عارفة إنها كانت سبب إني أحب النقاب وإنتى عارفة أنا مكنتش بطيق أي واحدة بنقاب إزاي؛ لإني كنت فاكر إنهم لابسينه للزينة أو عادات وتقاليد ومحدش بيديله حقه إلا ما رحم ربي ....بس هي مختلفة حسيتها ملكة اتمنيتها تبقى زوجتي أم أولادي قولت هي ديه اللي هتصون عرضي...استحقرت نفسي أوي أما شافتني مع البنت في الكافيه

..عرفت وقتها إنها عمرها ماهتفكر في واحد زي ... بس بدأت ألتزم وكانت نيتي غلط قولت عشان أعجبها بعدين حصل اللي حصل.
- حيلك...حيلك يا بني ..كل ده جواك؟ كفاية يايوسف.

ابتسم يوسف رغماً عنه معبراً عما يشعر به قائلاً:
- دى حاجة بسيطة بس ...وبعدين إنتى مش جيبتي العصير يالا من غير مطرود عاوز أنام قالها يوسف وهو يشير نحو الباب مازحاً.

---------------------------------------------------------------------

وفي المساء يعلو رنين هتف يوسف ليعلن عن أن فادي هو المتصل ...ينزعج يوسف من اتصاله ويعزم على عدم الرد عليه ولكن كان إصراراً كبيراً حتى ملَّ يوسف فقام بالرد عليه:
- إيه ياعم المهم؟...بتتقل عليا ليه؟، قالها فادي ونبرته يعتليها غضبٌ جامح.
- إهدي بس كدا ...ولا بتقل ولا حاجة.
- طب عدي عليا عشان عاوزك في موضوع على إنفراد ...ماتقلقش ما فيش حد معانا.
اطمئن يوسف قليلاً ووجدها فرصة مناسبة ليخبر فادي عما طرأ عليه.

وبعد أن أغلق هاتفه معه يتصل فادي بتلك الشيطانة التي تدعي هايدي ليعلمها أن الليلة هي نهاية يوسف لتقوم الأخرى بالدلال عليه وتمنيه من نفسها حتى ينفذ لها ما خططت ...
سمعت سوزي ما دار بين فادي وهايدي على الهاتف لتسمع بعدها خطوات متجهة نحوها لتسرع الأخرى بالعودة إلى ما كانت عليه.
- سوزي ..بابا لسه قافل معايا وهو جاي شوية مش عاوزه ييجي يشوفك هنا.
شعرت سوزي فور سماعها بالخطر على يوسف.
انطلقت مسرعة متجهة إلى أحد الفنادق وفي طريقها تمسك بهاتفها تتصل بيوسف لتخبره عن تلك المكيدة التي أعدَّها فادي له ..ولكن لم يجب يوسف عليها لتتصل بعدها لتجد أن الهاتف أُغلق.

يجلس يوسف مع فادي بعد أن وصل إلي الفيلا ليقوم الآخر بوضع شيء ما في كأس العصير ثم قدمها ليوسف ....

بدأ الحديث بينهما وفي كل مرة يصر فادي على يوسف أن يشرب العصير ويعرض عليه تلك الأشياء التي كان يعرضها عليه من قبل ...وفي كل مرة يبدي يوسف رفضه حتى شعر أن كأس العصير بها شيء ما ...اشتد الحديث بينهما حتى ثار فادي وأصبح كالثور الذي يسيطر عليه غضبه ليقول:
- إنت سبب دماري ولازم أدمرك.
- تصدق أنا غلطان إني جيتلك فعلاً ....ومن فضلك اقطع علاقتك بيا، قالها يوسف تاركاً فادي في بحر غضبه وحيداً ...
تسقط تلك الكلمات علي فادي معلنة انفجار بركان الغضب الذي يسكن فادي ليخرج ذلك المسدس من خصره ... يشير به نحو يوسف ...
- يوسف، قالها فادي والغضب والحقد يعتلي صوته ليلتفت يوسف إليه مطمئناً إليه لا يتوقع أن منه ذلك

الأمر ..
تخرج بضع رصاصات من مخرجها لتعلن استقراراها في جسد يوسف ليسكن غريقاً في دمائه.

---------------------------------------------------------------------

لم يهدأ لها بال حتى وصلت إلى الفيلا بعد أن قررت العودة إليها ...زاد قلقها ذلك الصمت الذي يطغى على المكان، وفور دخولها من باب الفيلا تجد يوسف غارقاً في دمائه وبه نفس بطيء ....لم تتمالك أعصابها فبدأت بالصراخ لا تعرف ماذا تفعل؟ .. لتمسك بهاتفها أخيراً وتتصل بالإسعاف.

يزداد القلق في قلب الأم مع تأخر يوسف على غير عادته ...يخبرها حدسها بأن هناك أمراً قد حدث لابنها لتخبر زوجها قائلة:
- يوسف إتأخر ..متتصل بيه كدا ياجمال تشوفوا فين.
يقوم الوالد بالاتصال بيوسف، ولكن يجد هاتفه مغلقاً مما زاد من قلق والديه...

يصل يوسف إلى المشفى غارقاً في دمائه ...ليسرع الأطباء في إسعافه ولكن يؤكد الطبيب دخوله لغرفة العمليات في الحال لإخراج تلك الرصاصات من جسده ..

- إتفضلي حضرتك يا فندم على الحسابات.

قالتها الممرضة لسوزي ظناً منها أنها أحد أقاربه لا تعرف سوزي ماذا تفعل؟ ...لحظات وتصل الشرطة إلى المشفى بعد أن ألقت القبض علي فادي ..
أخبرت سوزي الشرطة بكل ما تعرفه وما سمعته من حديث بين فادي وهايدي ...
- هتعملو إيه مع فادي؟ قالتها سوزي وهي تشعر بالخوف منه.
- لسه أما نشوف حالة أستاذ يوسف وعلى أساساها هيتم تحديد نوع التُهمة ده غير المخدرات اللي لقيناها معاه يعني مطول معانا.
اطمأنت سوزي مما سمعته للتو ....تقوم سوزي بفتح هاتف يوسف بعد أن أعطت الممرضة جميع متعلقاته الشخصية ...
لم تمر ثوانٍ معدودة ليعلو رنين هاتف يوسف ..
- السلام عليكم ...إيه يا بني؟ قلقتنا عليك كل ده.
- أنا مش يوسف يا أونكل.
شعر الوالد بشيء في قلبه فور سماع صوت تلك الفتاه ليستجمع قواه ويقول:
- أمال يوسف فين يابنتي؟ ..
أخبرت سوزي والد يوسف عما حدث ليوسف ليسرع الوالد بالجلوس على أقرب كرسي بجانبه ويقول:
- إبني يا رب ...يارب نجيه يارب ...لم تتمالك الأم نفسها فور سماعها لتلك الكلمات لتصرخ قائلة:
- إبني ماله ياجمال؟ ...إبني ماله ياجمال؟

تسمع سديم صرخات من داخل غرفة والديها لتدخل دون أن تبالي بأن تطرق الباب لتجد والديها في حالة بكاء....
- يوسف ما له ياماما؟ يوسف ماله؟.
لم تتمالك سديم نفسها، أيعقل أن تكون هذه نهاية أخيها؟ أيعقل أن تحرم سديم من أخيها بعد أن تغير معها؟.

دقائق معدودة ويصلون جميعاً إلى المشفى وحالة الذُعر تعلو وجوههم ..
يدخل الوالد وهو في حالة يرثى لها ليسأل عن ابنه؛ ليخبره قسم الاستقبال أنه داخل غرفة العمليات..
يتوجه الأب إلى غرفة العمليات ليجد فتاة تجلس أمام باب الغرفة ...يلاحظ بيدها متعلقات يوسف؛ ليسرع الوالد نحوها.
- إبني جراله إيه يا بنتي؟
تقوم سوزي بسرد ما حدث بين فادي و يوسف حتى وصل إلى المشفى.
- شكراً يا بنتي ربنا يبارك فيكي، قالتها الأم شاكرة سوزي علي ما فعلته.
يخرج الطبيب من غرفة العمليات.
- ها يادكتور؟ طمني.
- الحمد لله، خرجنا الرصاصتين بسلامة ...بس هيقعد في العناية تحت الملاحظة عشان نطمن عليه.

تمر قرابة ال 6 ساعات ليستعيد يوسف وعيه وتم نقله إلى أحد الغرف مما سمح الطبيب لعائلته بالاطمئنان عليه.
- حمد لله على سلامتك يا بني.

قالتها الأم والدمع يترقرق فى عينيها ممسكة بيده .... يقف والده بجانب السرير بعد أن اطمأن على ابنه.
تقوم سديم بتقبيل يد أخيها قائلة ببكاء:
- ربنا ما يحرمنيش منك أبداً ياحبيبي.
شعرت سوزي بالإحراج من ذلك الموقف فهمَّت بالخروج من الغرفة ولكن يلاحظ الوالد ذلك الأمر ليقول:
- إستني يابنتي، رايحة فين؟
- هقف برة يا أونكل ... الحمد لله على سلامة يوسف.
- سوزي يا بني هي اللي طلبت الإسعاف وجابتك هنا ربنا يحميها لأهلها.
قالتها الأم مما زاد تعجب يوسف من صنيعها ...تقترب سديم منها ويجلسان سوياً ...تقوم سديم بكشف وجهها لتتفاجأ سوزي من جمالها متعجبة لها: كيف تُخفي ذلك الجمال عن أعين الناس؟ ... تبدأ سديم بالحديث مع سوزي لتجد الأخرى راحة لم تشعر بها من قبل .... يطلب الطبيب من العائلة المغادرة لراحة يوسف ...يهم الجميع بالرحيل ولكن استأذنت سوزي والد يوسف للاطمئنان عليه.
- حمد لله على سلامتك يا يوسف، ربنا يتم شفاءك على خير.
ينظر لها يوسف ولا يعرف أيشكرها على صنيعها له أم أنه يشعر بذلك الذنب كلما رآها؟
تقترب سوزي من أُذني يوسف لتقول:
- اطمن يايوسف ما حصلش بينا أي حاجة ...أنا مكنتش أعرف إن فادي مخطط لكل ده ..كنت بسمع كلامه من غير ما كنت أعرف هو بيعمل كدا ليه؟ ...مش بكدب عليك ..بس والله يا يوسف إنت مالمستني ولا غلطت معايا، كل ده كان من ضمن الاتفاق بين فادي وهايدي.
تعجب يوسف مما سمعه للتو ليستجمع قواه ليقول:
- بجد يا سوزي أنا ماغلطش معاكي؟
تسقط الدمعات على وجنتي سوزي لتقسم له مرة أخرى على عدم فعتله.
تخرج سوزي من الغرفة وهي تمسح دمعاتها مما زاد تعجب الأم لذلك الأمر.

- تحبي يا بنتي نوصلك فين؟ قالها الوالد.
- لا يا أونكل أنا هروح الفندق.
تلاحظ سديم الارتباك على سوزي فتطلب من والدها بعد أن انفردت به قائلة.
- بابا شكلها مالهاش أهل هنا ...ممكن تيجي تبات معانا شكلها غلبانة.
- طيب يابنتي اعرضي عليها وشوفي رأيها.
وافقت سوزي على المبيت بعد أن أصرت سديم عليها ...تغمر الفرحة قلب سوزي فلقد أحبت سديم فور أن رأتها.....
تجلس سديم وسوزي سوياً يتحدثان كأنهما صديقتان منذ زمن بعيد لتبدأ سوزي بالحديث.....

## الفصل السادس عشر

## ( ذكريات أليمة )

- أنا عمري ماحسيت براحة زي كدا.

قالتها سوزي وهي تشعر بالأسى علي عمرها الذي أفنته مابين شهواتها وملذاتها ثم تابعت قائلة:
- تعرفي أنا بندم إني وصلت للمرحلة ديه؟..عارفة ياسديم؟ ماما شبهك كدا لابسه نقاب ..... بابا موظف غلبان أوي وطيب وعمري ماحرمني من حاجة بس من ساعة ماعرفت الفيس بوك من أيام ثانوي ربنا يسامح اللي كانت السبب وأنا بدأت طريق الضياع شاب ورا شاب وكلامماينفعش يتقال ولقيت الموضوع عادي .....
بكت سوزي على ما فعلته وما اقترفته من معاصٍ .. ثم تابعت قائلة: ....
بعدين دخلت الجامعة والموضوع كبر أوي ...بنت الأرياف القطة المغمضة لقت نفسها وسط مجتمع متفتح ميعرفش يعني إيه حرام وحلال؟ ....سكنت في المدينة الجامعية وكان معايا في الأوضة بنت كانت سبب في اللي وصلته .... تتكلم في التليفون وحب وخروج وعايشة حياتها ...غيرت منها مش هنكر عرضت عليا أخرج معاها وافقت كنت بتمني أشوف الدنيا اللي بتحكيلي عنها خرجنا واتفسحنا والموضوع أصبح عادي بالنسبالي ...بقيت أكدب على أهلي عندي كورسات في الأجازة ومانزلش البلد وأقعد أشوف حياتي مكنتش بشوف أهلي غير كل فين وفين وكل ده وأنا بخون ثقتهم فيا ....بعدين اتعرفت علي فادي في حفلة من سنتين ....عجبته بس للأسف معرفش إنه زي باقي اللى عرفتهم ..اطمنت ليه وإديته كل حاجة كأنى مراته بعدين بدأ يستخدمني كوسيلة عشان أوقع يوسف ...بس والله يا سديم أخوكي مالمسنيش ولا أنا قدرت أجي جنبه ...حسيته مختلف عن أي حد عرفته كنت بشوفه مختلف عن أي حد تاني لحد ماعرفت فادي وهايدي ناويين علي إيه قولت أعمل حاجة صح في حياتي ....نفسي أرجع سعاد الطفلة البريئة اللي كانت تتكسف من خيالها كرهت سوزي اللي طلعوها عليا عشان يبقي اسم عصري كرهت نفسي ياسديم ...نفسي أرجع لربنا أوي نفسي أبقي زيك ...تفتكري ربنا يسامحني.
بعدها انهارت سوزي من البكاء لتحتويها سديم بين ذراعيها مطمئنة إياها.
- هدي نفسك يا حبيبتي ...ربنا بيسامح وبيغفر كل الذنوب.

تنهدت سوزي ثم بلعت غصتها قائلة:
- يعني يا سديم لو طلبت من ربنا يسامحني ويغفرلي اللي عملته هيسامحني؟
- إن شاء الله ...مش بس كدا ده هيبدل سيئاتك حسنات ..بس ياحبيبتي تبقى صادقة في توبتك لربنا.
ثم تابعت سديم حديثها عن التوبة إلى الله والرجوع إلى طريق الاستقامة والصلاح ...أقبلت سوزي على ربها معلنة توبتها إلى الله ...
تقف سوزي بين يدي الله وفي سجودها تنهار بالبكاء راجية من الله أن يتوب عليها ويغفر لها ما مضي وأن يعصمها فيما بقي ...

------------------------------------------------------------

مر على يوسف أربعة أيام تقريباً وما زال في تحسن يوماً بعد يوم ....ليسمع طرقات على باب غرفته.
- شيخ أويس إتفضل ...إتفضل، قالها يوسف بسعادة بالغة محاولاً الاعتدال في جلسته.
- ألف سلامة عليك يا أستاذ يوسف لا بأس طهور - إن شاء الله -.
جلس أويس بجانب يوسف على ذلك الكرسي ليبدأ الحديث بينهما.
- بس حضرتك عرفت إزاي؟
- إنت مش وعدتني هتيجي تاني يوم من مقابلتنا في المسجد وكنت عارف بصدق نيتك بس قلقت لما عدى يومين ماجتش فسألت عليك خادم المسجد لحد ما وصلت لعنوان بيتك ..بس وبعدها عرفت كل حاجة من بواب العمارة.
غمرت السعادة يوسف من زيارة الشيخ أويس له ...ثم أخذ أويس يتحدث معه عن رحمة الله وعفوه وقدر وجزاء أهل الابتلاء عند الله وحب الله لعباده المبتلين وحديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه" أو كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم طمأنه قائلاً:
- بص يوسف ربنا تبارك وتعالي يفرح بتوبة العبد فرحة كبيرة جداً ...أكتر من واحد الدابة بتاعته ضاعت وسط الصحراء ولقاها ومن شدة فرحه غلط وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، الله أشد فرحاً يا يوسف من العبد ده ....يقطع حديث الشيخ أويس طرقات على باب الغرفة ...يدخل والدا يوسف وسديم معهما، ويلقي الأب السلام على الشيخ أويس.
- السلام عليكم يا بني.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...حمد الله على سلامة يوسف، ربنا يتم شفاؤه على خير.

قالها أويس على استحياء شديد ناظراً بوجهه إلى الأرض ...ودّع أويس يوسف تاركاً إياه مع عائلته ...شعر والد يوسف بسعادة من كلام يوسف عن الشيخ أويس وعن اهتمامه به زيارته له.
- خلاص يا بني ربنا كرمك بصحبة صالحة حافظ عليها.
- المشكلة يابابا إنه مش من منطقتنا، ده هو في رحلة دعوية واتعرفت عليه في مسجد جنبنا كدا بس حبيته جدا في الله.
- ما شاء الله، يا بني ربنا يكرمه يارب.
تقطع سديم حديثهما قائلة:
- بلاش دلع بقي يا يوسف وقوم روح معانا ...ماتخافش مش هقولك خرجني.

يضحك يوسف حتى شعر بألم في مكان العملية ليقول:
- هتموتيني ....ومش هتلاقي حد يخرجك.
بعد الشر عليك يابني ماتقولش كدا ....ربنا يبارك لي فيكم، قالتها الأم.
- الدكتور قالي إنه ممكن يكتبلك على خروج النهارده.
شعر يوسف بسعادة بالغة فور سماع ذلك الخبر من أبيه ولكن للحظات حتى تغيرت ملامح يوسف مما لفت إنتباه الوالد قائلاً:
- مالك يا بني وشك اتغير ليه كدا؟
- فادي يابابا ...مكنتش أتوقع إنه يكرهني لدرجة الموت كدا.
- عشان يا بني مكنش صحبك ....وأهو خد جزاءه.
- هما وصلوا معاه لإيه يابابا.
صمت الولد للحظات ثم قال:
- بعد ماعمل اللي عمله معاك راح يقابل واحده اسمها هايدي ....اتخانقوا مع بعض وللأسف ضربها بالمسدس وماتت وقبضوا عليه عند واحد صحبه.
وقع الخبر على يوسف كالصاعقة عندما علم أن وراء ما وصل إليه هايدي ...
- طب سوزي حصل معاها حاجة؟
تنظر إليه سديم مطمئنة إياه وتقول:
- ماتقلقش سوزي - إن شاء الله - هتبقى أحسن من الأول هي تعتبر شاهد في القضية ....وكانت بايتة معايا إمبارح .....وعاوزه أقولك إنها غيرت من لبسها ولو شوفتها مش هتعرفها والحمد لله رجعت جامعتها وربنا يثبتنا وإياها....
يشعر يوسف بسعادة بالغة مما سمعه من أخته متمنياً الثبات لسوزي ...

---

يخرج يوسف من المشفى وهو بصحة جيدة ...كانت الفرحة عارمة في منزله....تكاد سديم تطير فرحاً بعودة أخيها.
- حمدلله على سلامتك يا حبيبي.
- الله يسلمك ياسديم.
قالها يوسف وهو يقبل رأس أخته ....جلس يوسف معهم قليلاً ثم ذهب إلى غرفته ليرتاح قليلاً:
جلس يوسف على مكتبه يسترجع ما مر عليه من تلك الأحداث التي نجاه الله منها.
تذكر يوسف كلام صديقه إسلام وصيته له بالكلام عن الله.
يقطع شروده رنين هاتفه ليجد المتصل رقماً لا يعرفه ...تردد يوسف قليلاً ولكنه يجيب قائلاً:
- السلام عليكم مين؟ ....

## الفصل السابع عشر

( بداية مع الله )

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ....أويس يايوسف معاك.

تختلط مشاعر يوسف ما بين الدهشة والفرح ليقطع شروده صوت أويس:
- يوسف إنت معايا؟
- اه يا شيخنا معلش ...حضرتك بخير؟
يطمئن الشيخ أويس على يوسف ووعده بأن يأتي إليه ليزوره في المنزل....أخذ أويس رقم هاتفه من قسم الاستقبال في المشفى ليطمئن عليه ....
جلس يوسف على مكتبه بعد أن أنهى مكالمته يفكر قليلاً ...ألقى الله - تبارك وتعالى- حب أويس في قلب يوسف ....

جلست سديم على حسابها على موقع التوصل الاجتماعي منتظرة تلك الرسالة التي تطمئنها على صديقتها مريم ...ولكن لا جدوى فحسابها قد أُغلق تماماً...
ظلت تنتقل من بين صفحاتها حتي وصلتها رسالة من صديقتها إسراء تخبرها أن مصطفى قد تحدث مع والدها طالباً تحديد موعد للزيارة ...
غمرت السعادة سديم متمنيه لصديقتها أن يتم الله لها الأمر على خير .
نخشي جميعاً تلك اللحظة عندما نفترق عمن نحب سواء كان الأمر اختيارياً أم إجبارياً...
تتذكر سديم إسلام - رحمة الله عليه - ...لم تتمالك نفسها حتى دمعت عيناها ليس بيدها ولكن هذا ما أملاه إليها قلبها ...سرعان ما ذكرت نفسها برضا الله - سبحانه وتعالى - وأن الله - تبارك وتعالى - يدبر الأمر من فوق سبع سماوات .....
يعلو رنين هاتفها لتسرع في الرد:
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بنت حلال كنت لسه هكلمك.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...حبيبتي يا سديم القلوب عند بعضها.
- طمنيني عنك يا إيمان وماما عاملة إيه؟
- الحمد لله ياحبيبتي .....بخير والله بتسلم عليكي.
- الحمد لله.....ماتعرفيش حاجة عن إيمان
- ربنا يطمنا عليها يارب.
قالتها إيمان بنبرة منكسرة تواري ما بداخلها ....أنهت سديم مكالمتها وبعدها قامت تصلي لربها لعل ضجيج قلبها يهدأ قليلاً.

---

يصل الشيخ أويس إلى منزل يوسف في الموعد المحدد ...يجلس الاثنان سوياً في غرفة الصالون ويبدأ يوسف بالتحدث قائلاً:
- والله ياشخ أويس ربنا أعلم بفرحتي قد إيه.

- جزاك الله خيراً يا حبيبي...أنا اللي فرحان إني اتعرفت عليك ....طمني عنك عن أحوالك.
تنهد يوسف قليلاً ثم ابتلع غصته وبدأ يقص على يوسف مع حدث بينه وبين فادي...
من ناحية أخرى تدخل والدة يوسف على زوجها في مكتبه حاملة في يديها القهوة لتجده ..
- أنا قولت نشرب القهوة مع بعض.
- تسلم إيدك ياحبيبتي ربنا مايحرمنيش منك ....يوسف لسه في أوضته؟
- لا ....قاعد مع الشيخ أويس في الصالون.
- بجد ماقولتليش ليه كنت أبقى فى استقباله .....
قالها والد يوسف بنبرة اهتمام ثم همَّ والد يوسف ليرحب به ولكن تقاطعه زوجته قائلة:
- سيبهم شوية لوحدهم يوسف بيتكلم معاه.
- آه فعلا عندك حق هما شباب ويقدروا يفهموا بعض.

ظل الشيخ أويس يستمع إلى يوسف باهتمام شديد حتى أنهى حديثه قائلاً:
- واديني قدامك أهو ياشيخ أويس.
- ربنا يحفظك يارب ....بص يا أستاذ يوسف في الدنيا ديه ربنا وضعلنا اختبارات ومنها الأحوال اللي إنت اتعرضت ليها ولازم ننجح فيها عشان نعدي فيها ونزداد قرب من ربنا ...أي حال بيمر علينا بيرفع من درجاتنا وبيزود قربنا من ربنا وعشان كدا لازم الواحد يشوف صحبة صالحة تعينه على طاعة ربنا والالتزام بسنة الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -.
- طيب ياشيخنا والله أنا نويت بجد إني أتوب وأقرب لربنا وأرجعله.
- تمام ربنا يعينك على نيتك الطيبة .... بص النهاردة تصلي ركعتين بدمعتين الساعة اتنين واسأل ربنا يدلك على طريق الهداية والصحبة الصالحة اللي تعينك على الوصول ليه.
أنهى أويس زيارته تاركاً خلفه سعادة غمرت قلب يوسف ...لم يشعر يوسف بالوقت الذي مر عليه وهو يسمع عن الله ...فما أجمل الحديث عن الخالق والمالك والمهمين على هذا الكون!، يرادوك شعور لا تصفه ألسنة ولا تعبر عنه أي كلمات ...

تجلس الأسرة سويا على مائدة العشاء ليبدأ الوالد حديثه موجهاً كلامه إلى يوسف.
- بس شكله ابن حلال الشيخ أويس يايوسف.
- أه يابابا ماشاء الله عليه ربنا يباركله.
يذهب يوسف إلى غرفته بعد أن أنهى عشاءه يفكر في كلام أويس له وما قاله له.

---

تسكت الألسنة، تقف الكلمات عاجزة، يجف الحبر، تتكسر الأقلام، تنتهي الورقات ولا يبقى شيء نستطيع به التعبير عن تقصيرنا في حق المولي الكريم ....
في غرفة مظلمة وسط بيته كان يوسف يقف صافّاً قدميه لله - تبارك وتعالى - ، كانت كل خلية في جسده تبكي وكل جارحة وعضو في جسده يعترف، يسبق الدمع دعواته ....
يارب اليوم جئتك وفي داخلي كلام كثير لا أدري ما أقول...يارب أعلم أنك أنعمت عليَّ كثيراً، أعطيتني

الصحة والصحة والبصر والجمال، أعطيتني يارب رزقاً كبيراً، ولكن يارب أقولها بكل حرقة وألم أنا مقصر يارب ...أنا جئتك يارب اليوم أعترف إليك ، أنا جئتك اليوم ذليلاً فهل ستقبلني؟ فهل سترحم ذلي وافتقاري إليك؟ ...من يرحم ضعفي وعجزي؟ ، إلهي عصيتك كثيراً وكنت عليَّ حلمياً...نظرت إلى الحرام وسمعت الحرام وأكلت وشربت الحرام وحلمك يزداد عليّ ، يارب أنا نادمٌ على كل معصية فعلتها ...يارب أنا تائب من كل كبيرة ارتكبتها ... يارب أنا عائد إليك بعد ما هربت منك ....غرني حلمك وعفوك ...ظننت يارب أن السعادة في المعاصي ...فجأه قلت لنفسى: من الذي أنعم عليَّ؟ ، من الذي يستر عليَّ؟ ، من القادر عليَّ؟ ...إنه أنت ياالله ...أنا عائد إليك يارب فاقبلني ...أرجوك أتوسل إليك ...فأنت الرحيم...أنت الكريم...أنت الحليم ...من يغفر الذنوب سواك؟ ...من يعفو عن الخطايا سواك؟ أدعوك يا كريم أن تغفر لي ذنوبي .

ظل يوسف يبكي حتى ابتلت سجادة صلاته من كثرة بكائه...أطال السجود يعترف لربه بتقصيره وذنوبه يناشد ربه بالتوبة عليه وأن يغفر له ما مضى ...
أنهى يوسف صلاته وجلس في نفس مكانه ليبدأ بالاستغفار كما قال له أويس حتى رُفع أذان الفجر ...
يذهب يوسف لإيقاظ سديم للصلاة ليجدها مستيقظة متأهبة للصلاة...ينظر إليها نظرة تحمل الكثير من المعاني التي تعجز الكلمات عن وصفها لتقابله الأخرى بابتسامة ذات معانٍ مشابهة.

يذهب يوسف ووالده إلى المسجد وبعد انتهاء الصلاة يجلس يوسف مع الشيخ أحمد إمام المسجد.
- فينك يا يوسف مكنتش باين ليه المدة اللي فاتت؟
- معلش يا شيخ أحمد كان عندي ظروف والحمد لله عدت ...هتلاقيني هنا على طول - إن شاء الله -
- ربنا يثبتك يارب...كان نفسي نقعد وقت أكبر وقت مع بعض بس أنا مسافر.
- مسافر؟!!!! مسافر فين ؟
تنهد الإمام ثم قال:
- الكلية رشحتني أتولى مسؤولية مسجد في دولة عربية ..لأني من أوائل الدفعة ...كل سنة بتتعمل قرعة بين الأوائل وبيروح سنة ويرجع تاني ....حاولت أعتذر بسبب ظروف أمي وكدا ولكن منفعش عشان الوقت قرب.
تظهر ملامح الحزن على وجه يوسف ليسمع الإمام يقول:
- يا يوسف إن شاء الله سنة وراجع تاني هنتقابل - إن شاء الله -.
- إن شاء الله ...طيب السفر إمتى؟
- إن شاء الله آخر الأسبوع.
يودع كل منهما الآخر ويذهب يوسف إلى منزله ليتصل بالشيخ أويس ....ولكن لا أحد يجيب ...مرت عشر دقائق ويتصل أويس بيوسف.
- السلام عليكم بتأسف جداً يا يوسف معلش كنت بحضر شنطتي ومكنتش سامع التليفون.
- وعليكم السلام ...ولا يهمك يا شيخنا ...بس شنطة إيه حضرتك مسافر ولا إيه؟
- حاجة زي كدا ...الحمد لله رايح أنا ومجموعة من الشباب رحلة دعوية في الصعيد.
- رحلة دعوية ؟!؟!؟

# الفصل الثامن عشر
## ( الطريق إلى الله )

بدأ أويس يقص على يوسف تفاصيل تلك الرحلة الدعوية وكيف أن الله - تبارك وتعالى - يجعلهم سبباً في هداية الشباب ..أطال أويس الحديث عن تفاصيل الرحلة الدعوية وقلب يوسف تملأه السعادة من حديثه ثم قاطعه يوسف قائلاً:

- هو أنا ينفع آجي معاكم؟

لم يتمالك أويس نفسه من فرط السعادة التي شعر بها فور سماع كلام يوسف ليجيبه بنبرة تملأها السعادة:

- ده أنا أشيلك فوق راسي.

ثم بدأ أويس يشرح له كيفية الإعداد لهذه لرحلة وترتيب أغراضه التي سوف يحتاجها ثم أنهى أويس كلامه قائلاً:

- والأهم من ده كله طبعا لازم بابا يوافق.

طرقات على باب غرفة المكتب ...يدخل يوسف بعد أن سمح له والده ليبدأ يوسف بالحديث:

- بابا..حضرتك فاكر الشيخ أويس؟

- آه يابني ...وده يتنسي؟

- طيب يابابا أنا كلمته بطمن عليه قالي إنه رايح رحلة دعوية في الصعيد وكدا ومعاه مجموعة شباب وقولتله طب أنا ينفع آجي؟ ......رحب جدا بس قالي الأهم بابا يوافق.

اطمأن قلب والد يوسف فور سماع اسم أويس ...... شعر بسعادة بالغة من تلك الخطوة التي أقبل عليها ابنه.

- طيب يابني مافيش قلق ....وأنت عارف ظروف البلد والأمن.

- يابابا الشيخ أويس قالي مافيش أي قلق؛ لأن كلامنا كله عن ربنا ومابنسبش قلق لأي جهة أمنية.

وبعد تفكير لدقائق معدودة.

- طيب يابني بس هبقي معاك لحظة بلحظة بالتليفون، قالها والد يوسف والسعادة تملأ قلبه.

- بجد يابابا؟ .....ربنا مايحرمنيش منك.

يسرع أويس بالاتصال بالشيخ أويس ليخبره بموافقة والده ....لتعم السعادة قلب أويس فور سماع ذلك الخبر ..

- حضر نفسك بقى وجهز حاجاتك اللي قولتلك عليها.

أنهى يوسف مكالمته ليستعد لتجهيز أغراضه.

طرقات على باب غرفه أويس ...تدخل سديم لتجد يوسف يقوم بتجهيز أغراضه والسعادة تغمره

- إيه يايوسف إنت مسافر؟

- آه ياسديم ....رايح رحلة دعوية مع الشيخ أويس؟

- بجد ما شاء الله ...الله أكبر اللهم بارك ....ربنا يجعلك صالح مصلح يايوسف.

قالتها سديم وعيناها ترقرق بالدمع طالما كانت تدعو الله أن يهدي أخاها ...

انتهى يوسف من تجهيز أغراضه...ليقوم بتوديع أسرته ...فهذه المرة الأولى التي يفترق يوسف عنهم...
تبكي والدته مودعة إياه ويقبل يدها ويقول:
- ادعيلي ياماما ...ادعيلي ربنا يقبلني عنده.
- ربنا يكرمك ويثبتك يابني
يودع يوسف سديم قائلاً:
- خلي بالك من نفسك...عشان لما أرجع هخرجك وادعيلي.
ترمي سديم بنفسها بين ذراعي أخيها لتبكي قائلةً:
- ربنا يرجعلك بالسلامة يااارب.
يقف يوسف أمام والده يودعه مقبّلاً رأسه قائلاً:
- ادعيلي يابابا ...وسامحني إن شاء الله هطمنك.
- ربنا يكرمك يابني ....إن شاء الله يابني.

يلتقي يوسف بالشيخ أويس في أحد المساجد ليجد مجموعة من الشباب مع الشيخ أويس.
- أحب أعرفكم ياشباب ...ده يوسف إن شاء الله جاي معانا.
وبعد أن رحب به الشباب جلس يوسف يستمع لكلام الإيمان ولماذا نترك أموالنا ودُنيانا من أجل الله؟
شعر يوسف بسعادة بالغة وسط الشباب....
- إن شاء الله هنفطر بعدين ننطلق إن شاء الله    قالها أويس موجهاً كلامه للشباب.

------------------------------------------------------------

مر على غياب أويس عن منزله قرابة الشهر ومع هذه المدة كان يتصل بوالديه ليطمئن عليهم ويقص عليهم مامر عليه ....
وفي أحد المساجد يجلس يوسف سانداً ظهره على أحد سواري المسجد.
- مالك يا يوسف؟ قالها معتز أحد شباب المجموعة الدعوية.
- مش مصدق يامعتز الخير اللي ربنا أكرمني بيه ...مكنتش متخيل إن في يوم من الأيام أنا يوسف أقف قصاد الناس وأتكلم عن قدرة وعظمة ربنا ......كان نفسي إسلام صحبي الله يرحمه يشوفني.
- الله يرحمه ....هو هتلاقيه حاسس دلوقتي ....وبعدين يا يوسف ده اختيار ربنا ....ربنا نظر في قلبك فوجد فيه شئ صالح ومهما كانت ذنوب الواحد فينا وإحنا شباب ربنا يغفر لنا وبيستر علينا.
- الحمد لله على ستره.

ويقطع حديثهما كلام أسامة صديقهما.
- إيه ياشباب بتتكلموا فيه؟
- تعالى اقعد يا أوس أوس تعالى، قالها يوسف ثم تابع قائلاً:
- بما إنكم كدا متجمعين عاوز أقولكم حاجة ...أنا والله بجد بحبكم في الله جداً..وعاوزين أما نرجع نتقابل على طول.... مكنتش أتوقع إني أشوف شباب زي العسل كدا زيكم.
- حبيبي ربنا يبارك فيك يارب أنا اللي سعيد إني عرفتكم، قالها معتز.
- خلاص بقي لاحسن كدا هعيط، قالها أسامة ممازحاً إياهما.

يالا ياشباب عندنا زيارات برة  كل واحد فيكم ياخد واحد معاه وعاوز المنطقة تشتكي منكم ماشي.
قالها أويس ممازحاً الشباب ....جلس أويس وسط مجموعة الشباب يقص عليهم فضل الزيارات.
- بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله....الحمد لله يا شباب ربنا اختارنا وسط ناس كتير وجمعنا في أحد بيوته وأذن لينا بالكلام عنه وواجب علينا شكر النعمة ...وشكر النعمة بالتحدث عنها ..عشان كدا بنطلع زيارات برة لكل الناس ...اللي بعيد عن ربنا واللي قريب والفقير والغني كل الناس .... سيدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بيزور سيدنا أبو بكر مرتين في اليوم مع إنه كان معاه طوال اليوم ولكن النبي يعلمنا أهمية الزيارة في الله والفضل ياشباب كبير جدا ....لازم قبل أي عمل صالح نعمله أعرف أجره وأستحضر النية وهي لعلك ترضي يارب وكمان عشان يبقي عندنا الشوق والرغبة للقيام بالعمل مرة أخرى ....النبي يبشرنا " من زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طيبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلة"  أو كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -.
 وكمان الله يقول في حديث قدسي " عبدي مرضت فلم تعدني ...قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ولوعُدته لوجدتني عنده..." أو كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -.
ده غير سبعين ألف ملك يستغفروا لك حتى المساء لو الزيارة كانت بالنهار وسبعين الف ملك يستغفروا لك حتى الصباح لو الزيارة في المساء .....غير والأهم من ده كله الزيارة تجيب محبة ربنا ياشباب ربنا يقول في حديث قدسي " وجبت محبتي للمتزاورين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ والمتحابين فيّ " أو كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - وربنا ياشباب ينادي ياشباب: " أين المتحابون؟ فيّ أين المتجالسون فيّ؟ أين المتباذلون فيّ؟ أين المتزاورون فيّ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " ها مين بقي عنده استعداد يزور الشباب اللي زيه ويكلمهم عن رحمة ربنا.

استعد جميع الشباب للخروج إلى الزيارات .....والسعادة تغمرهم جيمعاً..فما أجمل الصحبة الصالحة التي تعينك علي الوصول إلى الله!.....

---------------------------------------------------------

وعلى مائدة الغداء.
- بابا، يوسف وحشني أوي.
- والله يابنتي وحشنا كلنا  ...ربنا يرجعه بالسلامة، قالتها الأم.
- ماتعرفش يابابا جاي إمتي؟
- لا يابنتي لسه ماقالش.
- كدا بقاله كتير أوي.
- لا يابنتي مش كتير ....بعدين من نبرة صوته واضح إنه مبسوط وفرحان ..حتى كلامه بقي مختلف.

طرقات على باب المنزل لتقوم الأم بفتح الباب  ....تتفاجأ بمن يقف أمامها ونور الإيمان قد أنار وجهه ولحيته تزيده جمالاً وإشراقاً ..لم تتمالك الأم نفسها من كثرة البكاء لترتمي في أحضان يوسف معلنة البكاء ....يمسح يوسف بيده على رأسها ويقبلها ليسمع صوت سديم تقول:
- مين ياماما علي الباب؟ ........

# الفصل التاسع عشر

## ( حياة جديدة )

- يوسف جالك يالمضة. قالها يوسف مازحاً.
لم تتمالك سديم نفسها فور سماع صوت يوسف .....تتفاجأ الأسرة من شكل يوسف الجديد...
أصبحت اللحية المهندمة تزين وجهه ، ازداد وجهه نوراً وإشراقاً فأصبح مظهره يطمئن له القلب.... كلما نظرت إليه يزداد قلبك إيماناً ....

يجلس يوسف مع أسرته في غرفة الجلوس وتعم السعادة أركان المنزل.
غياب دام أكثر من شهر عن المنزل..ولكن أتى بثماره...هاهو يوسف اليوم يبدأ حياة جديدة مع الله...ينظر إليه الجميع غير مصدقين من هذا التغير ويقولون في أنفسهم أهذا يوسف ؟ أهذا الذي كان وكان ...
ولكن رحمة الله وسعت كل شيء.
البيئة الصالحة، الصحبة الصالحة، المنهج الصالح أسباب صلاح النفس.
- وحشتني أوي يابابا.
- أنتِ أكتر يا أمي.
- إحكلنا يايوسف عملت إيه في الفترة اللي فاتت ديه؟ قالتها سديم.
- قبل ما أبدأ أحكي ممكن بس كل واحد يقبل مني الهدية البسيطة ديه؟
تغمر السعادة الجميع من تصرف يوسف ويبدأ يقص عليهم ما مر به وتلك الفترة التي كانت سبباً كافياً في تغير حياته نحو الأفضل وتوفيق الله له في فهم أمور دينه..ثم تابع حديثه قائلاً:
- وفجأه لقيت الشيخ أويس بيقولي إنت النهارده هتكلمنا عن ربنا والحمد لله ربنا كرمني وقدرت أتكلم عنه..كانت أول مرة صعبة بس بعدين الحمد لله بقى الكلام عن ربنا متعة ربنا يديمها علينا...تصدق يابابا فيه بعض القرى في الصعيد ماتعرفش حاجة عن ربنا والحمد لله صححنا مفهوم اعتقادهم.
أنهى يوسف حديثه وتنظر إليه والدته بعين الرضا...لقد استجاب اله لدعائها وهاهي تراه أمامها كما تمنت.

يجلس يوسف مع أخته سديم في غرفتها.
- ماتعرفش يا يوسف أنا فرحانة بيك قد إيه ...حاسة إنك رفعت راسي.
- بجد ...كل ده عشان إيه بقي؟
- يابني إنت ماتعرفش يعني إيه أخ سند ليك...كنت بدعي ربنا أوووي إنه يهديك..فرحانة بيك أووي ..بقيت عسول باللحية

تتعالى ضحكات يوسف من سماع تلك الكلمات الأخيرة من أخته ثم ينظر إليها قائلاً:
- لا ياسديم فهمت ...عشان كدا جاي أقولك سامحيني على كل حاجة حصلت معاكي بسببي...صدقيني هعوضك عن كل حاجة فاتت ...هبقي ليكي السند بجد.

تبكي سديم من كلام يوسف لها ...شعرت بصدق كلماته لترتمي بين ذراعيه ليربت بيده على كتفها قائلاً:
- خلاص بقى مش عاوزين عياط ..
- ماشي ...ها ناوي عليه إيه يا يوسف؟
- إن شاء الله هكمل الطريق لحد ما ربنا يرضى عني.

أنهى يوسف حديثه مع سديم ليذهب إلى غرفته.

يجلس يوسف على مكتبه ليسأل نفسه: "ماذا بعد يايوسف "؟
يجلس يوسف يفكر فيما سوف يفعله فيما بعد ليقطع شروده صوت رنين هاتفه.
- السلام عليكم ....أخيراً عرفت أوصلك.
- وعليكم السلام ...أواب حبيبي والله وحشني.
- إيه يا بني؟ كل ما أكلمك ألاقي التليفون مقفول.
- اه معلش ...مكنتش بفتحه كتير.
- إشمعنى يعني.
- كنت في رحلة دعوية بس إيه ماقولكش والله كان نفسي تبقي معايا حاجة فوق الخيال يا أواب والله.
يضحك أواب قليلاً ثم يقول:
- قديمة يا يوسف.
- هي إيه اللي قديمة؟
- الرحلة الدعوية.
- ليه بقى ياعم أواب؟
- الحمد لله طلعتها قبل كدا ومواظب عليها مع مشايخ المسجد اللي جنبي.
- بجد ...طيب ليه ماقولتليش؟....دحنا هنعمل أحلى شغل في الجامعة.
- كان نفسي يايوسف بس أنا نقلت ورقي.

تقع تلك الكلمات على يوسف كالصاعقة ثم تابع:
- ليه يابني كدا؟
- والدي الشركة نقلته فرع الإسكندرية وأصر ياخدني معاهم قالي ماينفعش تقعد لوحدك هنا.
- خير يا أواب ...ربنا ييسر لك الأحوال إبقى طمني عنك.
- إن شاء الله يا حبيبي وإن شاء الله نطلع رحلة دعوية مع بعض.

أغلق يوسف الهاتف والحزن يملأ قلبه....كان يعتمد يوسف على الصحبة الصالحة في الجامعة ولكنه أصبح وحيداً الأن ....كأن الله - تبارك وتعالى - يريد ليوسف أن يكمل طريقه بمفرده دون اللجوء للمخلوق بل ليلجأ إلى الخالق - تبارك وتعالى - ..... أنهى يوسف تفكيره ليخلد إلى النوم قليلاً ليرتاح.

يذهب يوسف مع والده لأداء صلاة الصبح كتفاً في كتف ..يشعر والده بسعادة لا يتسع لها قلبه.
دخل يوسف المسجد ...المسجد الذي كان انطلاقاً لتوبته إلى الله...الله الذي منّ عليه بالهداية ...الهداية التي لا يعطيها الله إلا لمن أحب ..

أُقيمت الصلاة وقدموا يوسف ليؤمهم فمنذ سفر أحمد إمام المسجد لتلك البعثة والمسجد بلا إمام راتب ...التمسوا في يوسف هيئة الدين...
لحية سوداء مهندمة، قميص أبيض ( جلابية ) قصير فوق الكعبين يزيده جمالاً، يغطي رأسه بقلنسوة بيضاء ..
الله أكبر.
بدأ يوسف في الصلاة ومن فضل الله عليه أكرمه الله بصوت عذب تقشعر منه الأبدان...كأن الله رزقه مزماراً من مزامير أل داوود...كان الخشوع يعتلي صوته مما جعل المصلين يبكون خلفه ...
أنهى يوسف صلاته وختمها بالأذكار ...أقبل الناس عليه ليسلموا عليه ووالده ينظر إليه بفرحة عارمة ...
يعود يوسف ووالده إلى المنزل، يتفاجأ والد يوسف بطلب يوسف قائلاً له: .....

## الفصل الثلاثون
## ( ذكريات )

- عاوز أنزل مع حضرتك الشغل.
سُرَّ والد يوسف بذلك الطلب ....طالما كان يتمنى أن يخفف عليه عبء العمل والمسؤولية.
- يا بني ديه شركتك من بعد ما ربنا يقضي أمره.
- ربنا يبارك في عمرك يا بابا.

---------------------------------------------------------------------

مرت فترة الإجازة ويوسف ما بين عمله ومسجده ودعوته، بل اجتهد في طلب العلم والتحق بإحدى معاهد إعداد الدعاة....كان يوسف واسع الأفق، ذكياً بالفطرة يدون كل كلمة تخرج من فم المشايخ.

اجتهد يوسف وأتم حفظ ما يقرب من خمسة عشر جزءاً من كتاب الله...كانت دعوته أن يجعله الله من حملة كتابه الذين يعملون به في الدنيا ....لم يعد يوسف كما تعودنا عليه من قبل...أصبح صاحب خُلق...يحبه جميع العاملين في شركة والده ...لم يصدقوا أن هذا الذي كان يتكبر عليهم من قبل.....بل أحبه جميع العاملين لتواضعه لهم .....

بدأ العام الداسي الجديد .....عام واحد يفصل يوسف عن التخرج فتلك هي سنته الأخيرة في كليته .....

تلاحق يوسف نظرات الطلاب غير مصدقين أن هذا هو يوسف ....شكله يجبر من يراه أن يحترمه لم لا وقد منّ الله عليه بالهداية؟ ....يمشي يوسف قاصداً المدرج ينظر إلى الأرض غاضاً بصره ...
- سبحان مغير الأحوال ...بقي ده يوسف جمال المصري اللي مكنش سايب بنت في حالها؟
قالها أحد الشباب ليرد عليه الأخر قائلاً:
- الحمد لله الذي هداه ...والله فرحتله جدا ربنا يثبتنا وإياه.

---------------------------------------------------------------

وبعد انتهاء المحاضرة.
- المحاضرة كانت طويلة أوي، قالتها إسراء موجهة حديثها لسديم.
- على أساس كنتي مركزة، إنتى نمتي نص المحاضرة.
- كان لازم أفصل من الدكتور شوية....عمال يرغي ومش راضي يسكت.
- طيب استغفري..ماينفعش تقولي بيرغي.
- أستغفر الله ....أنا بحبك أوي ياسديم، بحمد ربنا إنه كرمني بيكي ...كان نفسي أتعرف على مريم قبل ما تسافر.

تتفاجأ إسراء ببكاء سديم لتسرع الأولى بضمها إليها وتقول:
- مالك ياسديم بتبكي ليه ياحبيبتي؟
- مريم وحشتني أوي يا إسراء ...حتى معرفش عنها أي شيء من ساعة ما سافرت .....خايفة يكون حصلها حاجة لا قدر الله.
- خير يابنتي ماتقوليش كدا ....هي مش بتفتح فيس واتس أي حاجة توصلك ليها.
- الفيس كانت مسحته بسبب موضوع كدا، والواتس ما بتفتحش من ساعة ماسافرت ....قربنا على سنة ومعرفش عنها حاجة هتجنن عليها...
يقطع حديثهما رنين هاتفها لتنظر إلي المتصل وتُرسم البسمة علي وجهها من خلف نقابها لتجيب قائلة:
- السلام عليكم ياحبيبي.....آه خلصت ....ماشي هستناك ...في حفظ الله.
أغلقت الهاتف لتنظر إليها إسراء وعلامات التعجب على وجهها لتضحك سديم وتقول:
- بلاش أحب أخويا ولا إيه ؟
- لا يا ختي حبيه ...ربنا يباركلك فيه.
- آمين .....همشي أنا بقى عشان جاي ياخدني.

تودع سديم إسراء لتلتقي بيوسف أمام بوابة الكلية ....
وفي طريقهم للعودة يلاحظ يوسف شرود سديم كأن أمراً يشغل بالها وفكرها ليقطع شرودها صوت يوسف:
- ممكن أعرف إيه اللي شاغل بال البرنس سديم؟
تضحك سديم من كلمات أخيها لها ثم تنظر إليه نظرة توحي بالحزن وتقول:
- مريم يا يوسف.
تتفاجأ سديم بوقوف السارة على جانب الطريق بطريقة ملفتة.
- مالها مريم؟ ...حصل لها حاجة؟ قالها يوسف بطريقة توحي بفزعة.
- لا يابابا هي إن شاء الله تكون بخير ...أنا معرفش عنها حاجة من ساعة ما سافرت ....أنا والبنات جيبنا سيرتها وهي وحشتني أوي.

يسند برأسه على كرسي السيارة ليطلق تنهيدة يصحبها مشاعر وعواطف تنبع من قلبه لو ترك لها العنان لأذابت تلك القلوب التي سكنت وجدانه.
تلاحظ سديم الحالة التي أصابت أخاها ..تمسك بيده كأنها تشد بأزره وتقول:
- إنت لسه فاكرها يا يوسف؟.
ينظر إليها يوسف وتظهر تلك الابتسامة الجذابة من بين لحيته مما تزيده وسامة ليقول:

- هو أنا إيمتى نسيتها عشان أفتكرها؟
- لا لا لا لا ده الموضوع كبير أوي .....احكيلي يالا أنا سامعة.
- أحكي إيه يا بنتي؟ إنتى عبيطة ياماما ....وبعدين إنتى صغيرة على الحاجات ديه. قالها يوسف مازحاً:
- صغيرة!!!!! عشان خاطري يا يوسف أنا حبيبتك.

تتحرك السيارة ويبدأ يوسف بالبوح لأخته عما يكتمه بداخله منذ أن رآها فهو لم ينسها أبدا ليبدأ يوسف قائلاً:
- عمري ما نسيتها لحظة واحدة ياسديم ...من أول لحظة أما عرفت إنها سافرت الدنيا اسودت في وشي...في الأول التزمت عشانها بصراحة والشيطان قدر يضحك عليا في النقطة ديه ... بعد ماعرفت إنها سافرت بقيت أروح لفادي بحجة أقدر أنساها...بس كنت بكدب على نفسي مفيش بنت قدرت تخطف قلبي زي ماهي عملت مع إنها ولا استجابت معايا ولا حتى فيه شيء مشترك بينا ولا أعرف رأيها فيا أو يمكن أما تشوفني دلوقتي فكرتها تتغير ..عارفة ياسديم حسيتها جنبي يوم أما فادي ضربني بالمسدس...هتصدقي لو قولتلك كنت حاسس إنها جنبي في العمليات ....ماتستغربيش من كلامي بس ديه حقيقة... والحمد لله عندي يقين بالله إنها هتبقي زوجتي في يوم من الأيام لإنها واخدة كل دعائي في صلاتي وسجودي وقيامي ....عمري ماحبيت بنت غيرها.

ظلت سديم تستمع إلي أخيها وهي تبكي في صمت تام حتى إنه لم يشعر بها....تفاجأت سديم بمشاعر أخيها التي كانت بداخله ...شعرت بأنه بركان عاطفي وأعلن عن لحظة انفجاره ...شعرت بصدق كلماته لم لا وكان قلبه مصدراً لتلك الكلمات الرقيقة؟.
- إنتى سكتي ليه؟ أنا خلصت ....قالها يوسف ثم نظر إلى أخته ليجد دمعاتها قد بللت نقابها.
- إنت أحن واحد شوفته ....إنت نقي أوي من جواك يايوسف.
- آه الحمد لله عارف، قالها يوسف بمزاح مخلفاً ابتسامة على وجه أخته.
- ربنا يجمعك بيها قريب يا يوسف.
- عقبال أما اطمن عليكي وربنا يكرمك بزوج صالح.

تقف السيارة أمام المنزل ليسرع يوسف في النزول وفتح باب السيارة لأخته قائلاً:
- اتفضلي يا مولاتي.

كان هناك من ينظر إليهم ولكن دون قصد ........

## الفصل الواحد والثلاثون
## ( قد صدقت الرؤيا )

يمر بنا الوقت وتتحقق فيه أحلامنا كما لو شئنا.. فما أعظم أن تترك شيئاً من أجل الله فقط لحبك لله بل الأفضل من ذلك هو ثقتك في موعود الله فلو علمنا تدبير الله لنا لاطمأنت قلوبنا...

تمر الأيام على يوسف ومع مرور كل يوم يزداد تعلق يوسف بربه ولا يخلي دعائه من ذكرها ...نعم إنها هي التي أسرت فؤاده.
- اللهم إني أحببت فيك أحداً من عبادك..فاللهم إن كنت ترى لنا الخير فاجمعنا سوياً...وإن كان أحداً منا سبباً في هداية الآخر فاجمعنا سوياً....يارب تركتها لأجلك فاجمعني بها إنك على كل شيء قدير.

ينهي يوسف صلاته ومعها يرفع أذان الفجر .... لينطلق هو ووالده إلى المسجد ..تبدأ الصلاة ويبدأ يوسف في ترتيل آيات الله بصوته العذب ...وبعد أن أنهى صلاته يستدير يوسف ليعتدل في جلسته ليجد الشيخ أحمد إمام المسجد في صفوف المصليين....اعتلت الدهشة وجه يوسف عندما رآه أمامه ليقوم على الفور ليعانقه من شدة حبه له ....

يجلس أحمد ويوسف بمفردهما بعد أن رحب المصلون بعودة الشيخ أحمد.

- باسم الله ما شاء الله .....ماتتصورش فرحان بيك وليك قد إيه.

- الحمد لله هذا فضل الله عليَّ يا شيخنا.

- بلاش بقى شيخنا وكدا ....إحنا صحاب.

- بس أعطِ كل ذي حق حقه ياشيخ أحمد.

- ابتدينا نتكلم بالحُجج بقى وشوية شوية أحاديث، قالها أحمد مازحاً.

- خلاص يا أحمد ده شرف ليا أكيد.

- إحكيلي بقي يا يوسف ...إيه اللي غيرك كدا وما شاء الله لحية وعمامة وقميص قصير.

أخذ يوسف يسرد ماحدث له وكيف الله منّ عليه بالهداية وأصبح شخصاً آخر ....غمرت السعادة قلب أحمد فهو يعرف ماكان عليه يوسف وهاهو يراه شخصاً آخر ...نعم إنها قدرة الله إذا أراد الهداية لشخص ما فلا أحد يستطيع أن يضله ...

- الحمد لله ...شايف من قراءتك إنك متقن ماشاء الله وصوتك الله أكبر.

- الحمد لله وحده ده فضل الله عليَّ ..بسعى إنى أختم إن شاء الله .. أسأل الله أن يجعلني من العاملين به ....والتحقت بمعهد إعداد دعاة وأهو الحمد لله.

- ماشاء الله عليك ي ايوسف ....بعد كدا مش هعرف أكلمك، قالها أحمد وهو يومئ برأسه ليوسف مازحاً.

- العفو العفو يامولانا ...أنا تلميذك ....صحح إنت جيت إمتى.

- جيت إمبارح الصبح....وكنت معدي قصاد بيتك بس أخدت بالي إن زوجتك معاك، قولت أسلم عليك وقت تاني.

- زوجتي !!!!

قالها يوسف متعجباً ثم تابع حديثه قائلاً:

- هو إنت جوزتني إمتى.

- إمبارح أما نزلت من العربية وفتحت البـــ ...

يقطع حديث أحمد ضحكات يوسف مما زاد تعجب أحمد.

- هو اللي بيفتح باب العربية لازم يكون متزوج ....لا ياشيخنا دي أختي كنا جايين من الجامعة.

لا يدري أحمد ماذلك الشعور الذي راوده عندما سمع كلام يوسف ..حتى هو تعجب من حاله؛ ليسأل نفسه: " ماهذا الشعور الذي يراودني " ليقطع شردوه صوت يوسف.

- سرحت في إيه يامولانا؟.

- ها ... لا مافيش ...ربنا يسعدك يارب زي ما أسعدتني كدا.

ودّع كل منهما الآخر على أن يلتقيا من جديد ..

---

مر أسبوعان على مجيء أحمد من بعثته ....وكعادتهم يجلسان سوياً عقب صلاة الفجر ...
لاحظ يوسف ارتباك أحمد على غير عادته كأنه يريد أن يبوح له بشيء ما...
- مالك يا أحمد .. ملاحظ إنك متور شوية في حاجة؟.
- ها ... لا مافيش.....أقصد فيه .....بس .....بس.
- بس إيه يا أحمد قلقتني.

صمت أحمد قليلاً ثم ابتلع غصته وقال:
- يوسف....أنا طالب إيد أختك.
صمت تام يملأ أركان المسجد...مما يزيد من ارتباك أحمد ليسرع قائلاً:
- خلاص يا يوسف اعتبرني ماقولتش حاجة.
لاحظ يوسف نبرة الحزن التي تعتلي صوت أحمد ليسرع في اطمئنانه:
- ليه يا أحمد بتقول كدا؟ ...إنت شخص أحسبك على خير ولكن الأمر مش بإيدي لازم أعرف رأيها وأكيد الرأي الأول والأخير لبابا.
شعر أحمد من كلام يوسف بطمأنينة تجتاح قلبه ليقول:
- أكيد طبعا ده حقكم ....أنا قولت أمهدلك الموضوع وإنت تفاتح فيه والدك وأهلك.
- إن شاء الله خير يا مولانا.....ربنا يقدم اللي فيه الخير.

ينهي يوسف جلسته مع أحمد قاصداً منزله ....فاليوم هو الجمعة و قد اعتادوا الأفطار باكراً في هذا اليوم المبارك .....
- اتاخرت ليه يابني.
- معلش ياست الكل كنت قاعد مع الشيخ أحمد.

وعلى مائدة الإفطار.
- ماشاء الله مين اللي محضر الفطار الحلو ده؟، قالها والد يوسف.
- سديم اللي حضرت كل الفطار لوحدها .....ربنا يفرحني بيها يارب وأشوفها في بيتها.
قالتها الأم وهي تنظر إلى ابنتها.
- شكلها قربت ياماما، قالها يوسف مازحاً.
- هي إيه اللي قربت يابني؟
- معدتي ياماما قربت تنفجر من كتر الأكل ....كذا مرة أقولها يابنتي البسي جوانتي وإنتي بتعملي الأكل عشان بيبقي مسكر من إيدها.
احمرت وجنتا سديم مما زادها جمالاً لترد قائلاً:
- بحبك وإنت بكاش أوي كدا.
ينظر الوالد إليهما والسعادة تكاد أن تقفز من عينيه ليدعو إليهما قائلا:
- ربنا يحفظكم ويحببكم في بعض ياولاد.

جلس يوسف مع والده في غرفة الصالون يحتسيان الشاي بينما سديم ووالدتها مشغولتان في تنظيف الأطباق ...وجدها يوسف الفرصة المناسبة للحديث...
- بابا في موضوع عاوز أفاتح حضرتك فيه.

- اتفضل يابني.
- الشيخ أحمد.
- ماله يابني حصله حاجة؟
- لا يابا با هو بخير .....هو عاوز ييجي يتقدم لسديم.

---

طرقات على باب غرفتة سديم لتسمح ليوسف بالدخول.
- هاتنامي ولا لسه؟
- لا ورايا لسه سورة الكهف وهريح شوية قبل الصلاة.
- طب أنا قولت أجي أرخم عليكي شوية ممكن؟
- اه طبعا ممكن اتفضل بيتك ياخويا.
يضحك يوسف على مزاح أخته ليجلس أمامها ويبدأ الحديث:
- بدون مقدمات لأني تعبان وعاوز أريح قبل الصلاة....في واحد صحبي طلب إيدك مني.

تفاجأت سديم من كلام يوسف مما زاد ارتباكها ثم بدأت بالبكاء لتذكرها المرة الأولى ..... سرعان ما كفكفت دموعها....
- ممكن أعرف بتعيطي ليه؟
- عادي يا يوسف بعيط.

فهم يوسف الأمر ...فلقد تذكرت إسلام وكيف كانت سعادتها؟ ....يضمها يوسف بين ذراعيه ويقول:
- فاكرة الرؤيا اللى شوفتيها بعد وفاة إسلام الله يرحمه؟
- أه فاكراها طبعا .....إيه خلاك تقول كدا؟
- قد صدقت الرؤيا، قالها يوسف وهو ينظر إليها مبتسمة.
- مش فاهمة يايوسف.
- الشيخ أحمد إمام المسجد طلب إنه ييجي يتقدم ليكي.

ومن أصدق من الله قيلا؟ .....ومن أوفى من الله - تبارك وتعالى -؟ ...يلبي دعاء عباده ولو بعد حين ..

## الفصل الثاني والثلاثون
## ( روح سكنت الفؤاد )

فما ظنكم برب العالمين ؟ أيعقل أن يبخل الله على من ضحي من أجله؟.... لا والله فهو الجواد الكريم.

قامت ووقفت بين يدي الله بعد أن توضأت لتستخير الله في أمرها ...لم تجعل أحداً في قلبها إلا الله ...اكتفت بحب الله وتعلقها به لتقول في سجودها :
- اللهم أنت أعلم بي من نفسي ..تعلم ما لا أعلمه عن نفسي فيارب اخترلي ولا تخيرني.
أنهت صلاتها وشعرت بطمائنينة تجتاح قلبها ثم جلست تدعو الله أن يوفقها في أمرها

---

يجلس أحمد مع والدته يخبرها عما قاله ليوسف.
- يابني أنا قولتلك هما هيلاقوا حد أحسن منك فين؟
- يا أمي الموضوع مش كدا ....أنا خايف ليظنوا إني طمعان في مالهم....ربنا يسر.

قالها أحمد بعد أن تنهد ليدخل غرفته يصلي لله ويستخيره في أمره فالحيرة تملأ قلبه ولا راحة إلا في الوقوف بين يدي الله ....لم يرها إلا مرة واحدة ولكنها شعر بأن روحها سكنت فؤاده.

مر ما يقرب من ثلاثة أيام ولم يظهر أحمد بعد في المسجد مما زاد قلق يوسف عليه فبادر بالاتصال به.
- السلام عليكم ....إيه يامولانا مش باين ليه؟
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.....معلش يايوسف كنت في البلد أنا وأمي.
- ليه كدا في حاجة؟
- لا أبدا المشاكل المعتادة ...الله المستعان.
- طب جاي إمتي وحشتني وعاوز أشوفك.
- إن شاء الله جاي النهارده أشوفك الفجر إن شاء الله ...ليه في حاجة؟
قالها أحمد متمنياً أن يسمع مايسكت ضجيج قلبه.
- خير ياشيخنا....أما نتقابل.
أنهي يوسف مكالمته تاركاً أحمد في حيرة من أمره فلم يعطه رداً يوحي بالرفض أو القبول.

---

وفي المساء وعلى مائدة العشاء.
- ها يابنتي عاوزين نرد علي الشيخ أحمد قولتي إيه؟
أخجلها كلام والدها لتجيب على استحياء قائلة:
- اللي حضرتك تقول عليه يابابا.
نظرت سديم في طبقها من شدة حيائها ....يلاحظ يوسف الموقف ليقول:
- بابا بيقولك رإيك إيه...مش هاتي اللي في الطبق.

تعلو البسمة وجهها ثم تنظر إليه في خلسة وتقول:
- رخم أوووي.
- خلاص يابابا أكلمه وأقوله موافقين؟
- آه يابني على بركة الله...هو ما شاء الله دين وأخلاق نحسبه على خير.

وبعد انتهاء الصلاة يجلس يوسف مع أحمد في غرفته التي بالمسجد.
- خير يا يوسف كنت عاوزني في حاجة؟
- حاجة ؟....حاجة إيه.....نسيت، قالها يوسف مازحاً ليسرع أحمد قائلاً:
- يوسف....الله يبارك فيك أنا أعصابي متوترة ومش ناقص.... وبعدين يا أخي اعتبرها من فرج عن أخيه كُربة من كُرب الدنيا.
لم يتمالك يوسف نفسه من شدة الضحك ليقول:

- بقينا بنتكلم بالحديث أهو ....على العموم  هتيجي إمتي عشان الرؤية الشرعية؟
كان كلام يوسف كافياً لأن يرقص قلب أحمد على نبرات صديقه.
- بجد...يعني وافقت؟
- أه يا أبو حميد ....هتجي إمتي إن شاء الله عشان أبلغ بابا؟
- النهاردة ..... قالها أحمد لينفجر يوسف من الضحك ويقول:
- تعالي دلوقتي أحسن ....يابني اتقل كدا أنت شكلك أول مرة وخام.
- أه والله أول مرة ومعرفش بيعملوا إيه في المواقف ديه.
- إنت جيت للخبرة .....أنا هبوظك  أقصد هعلمك.
ضحك أحمد ويوسف حتى أنهكهما الضحك واتفقا على أن يكون الموعد الخميس القادم.

---------------------------------------------------------------------

- ماما أنا متوترة أوي.
قالتها سديم وقد نال الارتباك منها ما نال.
- اطمني ياحبيبتي ربنا يقدم اللي فيه الخير.
ومن ناحية أخرى يجلس أحمد ووالدته مع يوسف.
- منورانا ياحاجة ....منورنا ياشيخ يوسف
- ده بنوركم يا باشمهندس ...جزاك الله خير.

ينتمي أحمد إلى عائلة كبيرة  من صعيد مصر ولكن فضل والده - رحمه الله - أن يأتي بهم إلى القاهرة بعد أن أخذوا حقه من ميراث والده  بحجة أن نصيبه أخذه في الإنفاق علي تعليمه وتعليم ابنه ففضل الانفصال بعائلته عنهم بعيداً عن أي مشاكل....والدته هي كل ما تبقي من عائلته الكبيرة بعد وفاة والده وهو في الجامعة فهي امرأة على الفطرة السليمة تشعر بطمأنينة كلما نظرت إليها.
- أمال فين عروستنا يا أبو يوسف؟....قالتها والدة أحمد.
- حالاً ياحاجة .....قوم يايوسف شوف ماما وأختك.
طرقات على باب غرفة سديم.
- إيه ياماما الناس بقالها كتير برة.
- أختك يابني متوترة وخايفة.
- طيب حضرتك سيبهالي وقدمي العصير بعد إذنك.
يجلس يوسف أمام أخته ويمسك بيدها ويقول:
- مافيش ياحبيبتي داعي للتوتر والارتباك ده ...استعيني بالله.
- مكسوفة أوي يايوسف ....حاسة إني مش قادرة أقف.
- معلش ياماما هي رؤية شرعية وده شرع ومحلله إنه يشوفك ...صح.
- صح.

يدخل يوسف غرفة الصالون ومن خلفه أخته كأنها تتوارى خلفه..جلست بجانب والدها بعد أن رحبت بوالدة أحمد ترحيباً يليق بعمرها الذي ليس بالصغير ....أحبتها والدة أحمد فور أن رأتها .....ألقى الله - تبارك وتعالى - حبها في قلبها عندما رأتها .....ثوب طويل وفضفاض يخفي أنوثتها ...جوانتي....خمار

طويل يزيدها جمالاً...كانت كالقمر ليلة الرابعة عشرة من الشهر ...
يجلس العروسان بمفردهما بعد أن سمح لهم والد يوسف ....غمرت المحبة بين والدة يوسف ووالدة أحمد تتعجب منه العقول كأنه كانت بينهم علاقة منذ الطفولة، لتكملا حديثهما في غرفة أخرى...
يجلس يوسف ووالده في الغرفة المطلة على غرفة الصالون مما يسمح لهم برؤيتهم ...

صمت يعم المكان ....يكتفي كل منهما بالنظر إلى الارض خجلاً من الآخر ولكن روح طيبة تسكن أركان الغرفة يشعر كل منهما بسعادة تجتاح قلبه .... يبدأ أحمد بالحديث بعد أن ابتلع غصته.
- السلام عليكم يا آنسة سديم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ....اكتفت سديم بتلك الكلمات.
فكر أحمد سريعاً لابد أ ن يكسر ذلك الحاجز ....بدأ أحمد يتكلم عن نفسه ودراسته وأحلامه وطموحاته ...تفاجأت سديم عندما قال لها: إنه في مرحلة الإعداد للدكتوراه وأنه كَرس حياته كلها للدعوة والعلم والعمل.
شعرت سديم بعطاء الله لها ولكنها عزمت أن تصارحه في بداية الأمر فقالت:
- هو يوسف قال لحضرتك شيء عني؟
- أه يافندم قالي اسم حضرتك ودراستك؟
أبتسمت سديم رغماً عنها ...شعرت أنه نقي القلب ....سليم الفطرة لم يهلك مشاعره من قبل.
- طيب تسمحلي أكمل.
- طبعاً يا افندم.
- أنا حضرتك كنت مخطوبة من سنة أو أكتر بشوية ..وخطيبي توفي في حادثة بعد شهر من خطوبتنا ...ديه أهم نقطة حضرتك لازم عارفها لأن ما بُنى علي باطل فهو باطل وعشان أكون صادقة مع ربنا ثم حضرتك مش هكدب عليك أنا أتأثرت بوفاته رغم أن خطوبتنا دامت شهر واحد إلا أنه كان صاحب أخلاق ودين أحسبه على خير ولا أزكيه على الله ...بس تأكد حضرتك إن بعدها قلبي كان لله وبس بمعنة إني مكنتش غير إزاي ربنا يرضي عني ويكرمني.
ظل أحمد يستمع إليها و كل عضو في جسده يشعر بصدق كلماتها ....أيقن أنها ذات نقاء نادرٍ من نوعه فهذا وعد الله " الطيبون للطيبات "
انتهت الزيارة التي نقشت في قلب كل من أحمد وسديم جملة تعبر عن معانٍ كثيرة وهي:

" روح سكنت الفؤاد "

## الفصل الثالث والثلاثون
## ( ارتواء بعد ظمأ طويل )

ما أجمل أن تشعر أن قد ارتويت بعد ظمأ طويل .....هكذا شعرت سديم بعد انتهاء الرؤية الشرعية ... أقفلت باب غرفتها بعد أن توضأت لتقف بين يدي الله تشكره على عطائه اللامتناهي ...تذكرت تلك الرؤية وكأنها تراها رأي العين أمامها لأن هذا هو موعود الله لمن يستعفف...." وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتي يغنيهم الله من فضله "

--------------------------------------------------------------------

- إيه رأيك يا أمي؟ قالها أحمد لوالدته بعد أن وصلا إلى المنزل.
- والله يابني أنا حبيتهم أوي وحبيت سديم أوي حسيتها بنتي اللي مخلفتهاش ربنا يكتبهالك يارب.
- آمين يارب.

شعر أحمد أن الدنيا لا تسع فرحة قلبه كأن الله ألقى في قلبه محبتها من قبل أن يراها كأنها كانت تراوده في أحلامه لتعبث بقلبه المشتاق للقاء تحت رضا الرحمن ...
قبَّل أحمد يد والدته ثم دخل غرفته ليخلو بمن أنعم عليه بجميع النعم ....هيأ نفسه وفي سجوده:
- اللهم يا مالك الملك ....يا أكرم من سُئل، أنت من ألقيت حبها في قلبي ..ولكن يا إلهي تعلم أن حبك فوق كل حب في قلبي فيارب إن كانت خيراً لي فقدرها لي ياخالقي....
أنهى أحمد صلاته ليخلد إلى نوم عميق عله يعيد تلك الذكريات في منامه.

مرت أيام قليلة ويأتي ذلك الخبر الذي كان ينتظره أحمد على أحر من الجمر ....
تم تحديد موعد الخطبة ومعها غمرت الفرحة قلببين، عفَّا أنفسهما من أجل رضا الرحمن ....

اجتمعت الأسرتان على الموعد وكان اللقاء عائلياً كما يسمونه بناء على رغبة سديم وأحمد.
ثيابه المنمقة مع لحيته المهندمة مع نور الإيمان الساطع من وجهه تزيده جمالاً فوق جماله
يقترب يوسف من أحمد مازحاً إياه قائلاً:
- ما اتفقناش على كدا ياмولانا، كدا هتاكل الجو.
كتم أحمد ضحكاته رغماً عنه واكتفى بتلك الابتسامة المتسللة من بين لحيته ليجيبه بعدها قائلاً:
- الليلة ليلتي استحملني يامولانا ....وبعدين ما أنت لبس السُّنَّة واخد منك حتة أهو عمامة وقميص ومظبط نفسك.
- ما أنت عارف يامولانا مابقتش ألقي نفسي غير في اللبس ده الحمد لله ...بس الجامعة بروح بلبس عادي
- عقبالك يايوسف أما أحضر فرحك قريب يااارب.....قالها أحمد وهو يحتضن يوسف.

لحظات ويرفع الستار معلناً دخول ملكة الحفل....تتألق بذلك النقاب الذي يخفي جمالها مع فستان يجعلها تشبه السندريلا ....

شعر أحمد بارتباك فور جلوسها على ذلك الكرسي الذي بجانبه... لا يدري مايفعله في تلك اللحظة ....مشاعر مختلطة ما بين الحياء والسعادة والارتباك والتوتر، أ يعقل أنها بجانبي؟ هذا ماراود أحمد بداخله ...من ناحية أخرى كان قلب سديم يتراقص من شدة سعادتها ....ترتسم تلك البسمة فوق شفتيها من خلف نقابها ...
يلاحظ والد يوسف حياء أحمد الشديد وعدم رفع بصره من موضعه على الأرض فأعجب به...كان القرآن قد هذب شبابه وتقوى الله ملأت قلبه والخوف والرجاء من الله قد نالا من قلبه.
انتهى اليوم اليوم الشهود مخلفاً سعادة ملأت جميع القلوب ....سطَّر ذلك اليوم كلماته بداخل قلبي أجمد وسديم ....ألقى الله في قلبيهما محبة تتعجب منها العقول.

طرقات على باب غرفتها.
- اتفضل يا يوسف تعالى.

يجلس يوسف أمامها على سريرها.
- عارفة إن محدش هيرخم عليكي زي.
- عادى بقي أخويا ولازم أستحمله.
تتعالى ضحكات يوسف.
- ماشي يا ستي..ها قوليلي مبسوطة ؟
احمرت وجنتا سديم لتكتفي بالصمت.
- مش اتفقنا ياماما إننا أصحاب ....لو مش حابة خلاص أنا مش بتطفل.
- تطفل إيه بس .... إحنا أخوات .... اعتدلت سديم في جلستها ثم تابعت قائلة:
- مش عارفة يايوسف أوصف شعوري ....حاسة إني طايرة، حاسة بكرم ربنا أوي وعطائه ...تخيل أحمد فيه كل المواصفات اللي طلبتها من ربنا وأكتر كمان .....
لم تستطيع أن تكمل أكثر من ذلك فقد خانتها دمعاتها معلنة البكاء ....ضمها يوسف إليه ليكون لها ملجأ للأمان ليربت على رأسها قائلاً:
- خلاص بقي النهاردة ليلة مش محتاجين فيها عياط....ربنا يسعدك ياحبيبتي هو ابن حلال وهو أول واحد دلني على طريق الهداية الحمد لله....
شعرت سديم بسعادة مما سمعته من يوسف.
- قومي اتوضي واشكري ربنا على كرمه ....وادعيلي ياسديم.
- حاضر يايوسف....هو أنا ليا مين غيرك أدعيله؟

---

أوشكت امتحانات يوسف أن تبدأ؛ فتلك هي السنة الأخيرة ويحصل على بكالوريوس في الهندسة المعمارية ليكون قادراً على إدارة شركة والده ....اجتهد يوسف في الآونة الأخيرة عما كان عليه فيما مضي مما زاد من شهرته في الجامعة ومع تفوقه في المشاريع المطلوبة وإتمامها على أكمل وجه سكن قلب أساتذته مما أدى إلي إعجابه بنفسه ولا يدري أن هذا يمكن أن يكون ابتلاء من الله ليرى صنيعه فيه .....قام يوسف في إحدى الليالي بعد أن أتم مذاكرته بتصفح حسابه ليجد إشعاراً جديداً بقبول طلب رسالة من حساب آخر ....لا يدري أيقبل أم لا؟ ظلت نفسه تحدثه بما تشتهيه فهل سيُلبي أم لا؟....

## الفصل الرابع والثلاثون

## ( لاتتبعوا خطوات الشيطان )

الكثير منا لا يعرف من هو عدوه الحقيقي فكيد الشيطان ضعيفٌ، أما العدو الحقيقي فهو النفس وما تأمر به من عصيان لخالقها

تصفح يوسف حسابها وقلّب فيه كيفما شاء ...تصفح يوسف محتوى الرسالة ليجد:
- السلام عليكم...جزاك الله خيراً أخي الفاضل على ماتنشره على صفحتك، جعله الله في ميزان حسناتك ولكن عندي سؤال ...عاوزة أدعي صحبتي للنقاب والالتزام أعمل إيه؟ وجزاك الله خير.

شعر يوسف بغصه في حلقه مع تسارع في دقات قلبه ولا يعرف لمَ كل هذا ....يفكر يوسف في الرد أم الحذف بالكامل؟ ولكن سهَّل الشيطان الأمر ليقنعه في الأخير أن يرد عليها بحجة أن هذا في مصلحة الدعوة وسوف أجيبها لا أكثر ...

نجح الشيطان في نصب شباكه لتقوده نفسه إلي تلك الشباك .....فالشيطان يفتح لك أكثر من باب ظاهره الطاعة ولكن باطنه فتنة عظيمة .....
بدأت أصابعه تداعب لوحة المفاتيح ليرسل لها في النهاية ما كتبه.
دقائق معدودة حتى تفاجأ يوسف برسالة أخرى.
- جزاك الله خيراً.
- وإياكِ.

بدأ الشيطان في نصب شباكه ليوسف ....فالممنوع مرغوب ...خاصّة أن أعظم الفتن كما أخبرنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - هي أشد خطراً بل كانت أعظم فتنة في بني إسرائيل ....
طال الحديث بينهما حتى أفاق يوسف من غفوته على آذان الفجر ....ضاع عليه قيامه ووتره ووقوفه بين يدي الله .....

مر ما يقرب من عشرة أيام ويزداد تعلق يوسف بتلك الفتاة ....لم يشعر يوسف بخطوات الشيطان التي تجره إلى بحر الشهوات من جديد بعد أن تاب الله عليه ......يزداد العُحب في نفس يوسف من مدح تلك الفتاه له ولا يدري المسكين ماهو مُقبل عليه ....فمهما كان إيمانك لا تأمن على نفسك مكر الشيطان والفتنة فلا يغرنَّك ثباتك، فكم من عابدٍ بات مؤمناً أصبح كافراً والعياذ بالله! ...ولكنّ الله لا يتخلى عن عباده ويقبل توبتهم - سبحانه وتعالى - ....

أهمل يوسف دراسته بل وصل الأمر إلى إهماله وتغيبه عن صلاة الفجر مما زاد القلق في قلب والديه
- يوسف هو في حاجة يابابا شغلاك؟ قالها والده على مائدة الإفطار.
- ها .....لا يابابا المذاكرة بس.
- أحمد سألني عليك النهاردة و إمبارح بيقولي بقالو فترة مش بشوفوا الفجر.
- معلش يابابا تعب المذاكرة ساعات بصلي في البيت.
- ماتخليش حاجة تشغلك عن طاعة ربنا يايوسف، قالتها والدته.
- حاضر يا ماما دعواتك.

---------------------------------------------------------------

وفي إحدى الليالي طال الحديث بين يوسف وتلك الفتاة التي قلبت حياته إلى ما كان عليه من قبل ...أصبح الحديث له مذاق من نوع آخر ...ها هو الشيطان يلقي بشباكه لتصارحه الأخرى قائلة:
- يوسف ....إنت بقيت حاجة أساسية في حياتي بحس إني لازم أطمن عليك.
- ربنا يخليكي يارب...أنا بردو نفس الكلام.
- يوسف.
- نعم.

- أنا حبيتك أوي ومعرفش ده حصل إمتي وإزاي.
شعر يوسف بأن سهماً أُطلق من كبد قوس المعصية ليستقر في قلبه لينشر سمه في جميع أنحاء جسده.
اعتدل سويف في جلسته ولا يدري كيف يرد؟ ....أ يُعقل أن يكون قد أحبها ولم يرها؟ ....
- أنا شايف إننا لازم نقفل دلوقتي.
- يوسف ...عشان خاطري لو بتعزني ماتقفلش.
ضَعُف يوسف من كلماتها ليلبي طلبها .....كانت رغبته بالبقاء أشد إلحاحاً من الفرار بنفسه من بحر الفتنة الذي وقع فيه ....
بدأت مشاعر يوسف تذوب من كلماتها المسممة التي تبثها في قلبه ...أصبح يوسف أسيراً لشهواته ونزواته، لم لا وهو شاب في مقتبل العشرين من عمره تراوده فتاة عن نفسه؟ ...ولكن أين أنت من اسمك يايوسف؟ ...أين أنت من قصة نبي الله يوسف؟ ...
تذكر يوسف ربه في تلك اللحظة ليبدأ في صراع بداخله فنفسه تطيق إلى عصيان خالقها، تشبع رغباتها ولكن يسعى يوسف جاهداً لمنعها ولكنه مع كل مرة ينهار أمام تلك الفتاة من كلماتها المعسولة بالسُّمِّ ...أعلن يوسف استسلامه لنفسه بعد أن أرسلت له صورة لها ليست بالمُخلة ولكن تفاجأ يوسف من جمالها ليبدأ يوسف بالبوح عما في قلبه .....

ينتفض يوسف من مكانه بعد أن دخل والده عليه بعد أن طرق الباب لتظهر على يوسف حالة من الارتباك الذي يلاحظه والده مما زاد قلقه على ابنه ....فهم الوالد الأمر ولكن لم يرد أن يسبب الإحراج ليوسف ليسرع في تدارك الموقف قائلا:
- يابني كفاية مذاكرة ...كدا بترهق نفسك وعينك من اللاب.
تفاجأ يوسف من كلام والده وشعر بخجل داخل نفسه مما كان مُقدماً عليه ليجيب قائلاً:
- حاضر يابابا أنا كنت هقفل وأقوم أصلي الفجر.
- طيب هسبقك أنا.
ينظر يوسف إلى نفسه محتقراً نفسه على ما كان مُقبلاً عليه ....أحقا يا يوسف جعلت الله أهون الناظرين إليك؟....أحقا خجلت من أبيك ولم تخجل من ربك المطلع على كل شيء الذي يعلم السر وأخفى ...
لم يفكر يوسف إلا في شيء واحد وهو أن يحذف حسابه نهائياً والابتعاد عمَّا قد يصيب قلبه بالفتنة .....
شعر يوسف بحب الله له لعدم توفيه واستمراره في فعل ذلك الذنب .....
قام يوسف واغتسل ثم توضأ ليذهب إلى المسجد الذي قد فارق صلاة الفجر فيه لفترة لا تقل عن عشرين يوماً
أنهى يوسف صلاته ويلاحظ أحمد أمراً عجيبا عليه مما زاد فضوله قائلاً:
- مالك يايوسف؟ ...بقالك فترة مش بتيجي تصلي الفجر معانا وشكلك متغير ليه كدا في حاجة؟ ....افتكر إننا صحاب صارحني يمكن أساعدك .....

## الفصل الخامس والثلاثون

( إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين )

عجباً أن ترى مع الخوف أمناً..ومع الليل شعلةً من يقينِ... ماقسى قلبه ولكن لديه دمعة لم تجف بين الجفونِ...خشيةٌ في الفؤاد تعصر دمعاً...دوبته على مطاف الحنينِ...رق في خشيةٍ ففاضت عليه رحمةُ الله في حمى مأمونِ...كلما أقبل الدُّجى وطواهُ ....أشرقت منه سجدةٌ من جبينِ... في خشوع الدُجي عرفتك يارب وفي نجمه وفيضِ السكونِ...جلَّ في صمته فكان بياناً في قلوب وعته أو في جفونِ...هدأ الناس غيرُ قلبٍ شجيٍ هبَّ من لهفةٍ وشوقٍ دَفينِ...مدَّ كفّيه في ثنايا الليالي رعشات مُبللات الحنينِ...وهبت للنجومِ رعشةَ شوقٍ وأعادت انفلاتَ الشجونِ..في شعاعٍ يموجُ بين ثنايا هُدَفيقٌ من الدعاءِ الحزينِ

اكتفى يوسف بالبكاء أمام أحمد ثم قال:

- ادعيلي بالله عليك.

لم يطمئن أحمد لذلك الأمر ولكنه استسلم أمام إصرار يوسف على عدم البوح بما في قلبه ...
رجع يوسف إلى منزله حزيناً بائساً لم يفكر في شيء غير كيف يُرضي الله - تبارك وتعالى -؟ ..
دلف يوسف إلى غرفته بعد أن اعتذر عن تناول الإفطار مع عائلته ....ألقى بجسده المنهك على سريره يفكر في أمر واحدٍ فقط:

هل أنت غاضبٌ عليَّ الآن يا الله ؟

ولكن أنت من أنقذتني من بحر شهواتي ولم أغرق فيه.

تساؤلات تشغل بال يوسف حتى إنه لم يستطع النوم ...لحظات وأمسك يوسف بهاتفه ليتصل بأحد المشايخ

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إزيك يا شيخ صلاح؟
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...حبيبي وحشتني جداً..فينك يايوسف مختفي ليه؟
- معلش يا مولانا الامتحانات و مضغوط شوية ....ينفع أجي لحضرتك المسجد محتاج أقعد مع حضرتك
- أوي أوي ياحبيبي....عندي لقاء مع شباب في المسجد عندي كنت هكلمك تيجي تنورني.
- العفو ياشيخنا أنا بتعلم منكم ....خلاص إن شاء الله جاي.

أنهى يوسف حديثه مع الشيخ صلاح.....ليتذكر توبة الشيخ صلاح وما كان عليه وكيف بدَّل الله حاله من أحد فناني الأفلام السينمائية الذي يمتلك إحدي أكبر شركات السياحة إلى الشيخ صلاح البَّكاء صاحب القلب الرقيق ....لم يصدق يوسف تلك القصة التي رواها له أحد الشباب أثناء رحلته الدعوية مع الشيخ أويس حتى سمعها بأذنه من الشيخ صلاح نفسه...ألقى الله محبة الشيخ صلاح في قلب يوسف والعكس فقد أحبه الشيخ صلاح كثيراً.......

---

يلتقي يوسف بالشيخ صلاح في مسجده ليتفاجأ بعدد الشباب الموجود...سُرَّ يوسف برؤية الشباب وبدأ التعرف عليهم......بدأ الشيخ صلاح في الكلام عن التوبة والإنابة ورحمة الله - سبحانه وتعالي - وكيف يبدل الله السيئات حسنات ....شعر يوسف أن الله يرسل له رسالة بأنه هو التواب الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده سبحانه ...وبعد الانتهاء يجلس الشيخ صلاح مع الشباب ليتناولوا العشاء سوياً في المسجد ....

يجلس يوسف مع الشيخ صلاح بعد انتهاء اللقاء لايدري من أين يبدأ؟ فهو لا يقدر أن يبوح بما فعله وما كان مُقبلاً عليه....

لاحظ الشيخ صلاح أن هناك أمراً ما يشغل يوسف .....

- ها يا يوسف طمني عن حالك مع الله؟

لم يدرِ يوسف ماذا يقول؟

- حاسس إني منافق يا شيخنا..نفسي وشيطاني وقعوني في معصية ...وكانت العواقف هتبقي أكتر لولا حلم ربنا وستره..

بكى يوسف حتى أنهكه البكاء ثم قال:

- نفسي أحافظ علي إيماني ...أعمل إيه ياشيخ صلاح؟ ...

مسح الشيخ صلاح دمعات يوسف المتسللة من بين جفونه ليقول له:

- يوسف يابني أهم حاجة تعرف أعدائك وتحاربهم...يعني نفسك وشيطانك و هواك هما أكبر الأعداء وبالأخص دلوقتي إنت أكبر عدو للشيطان لأنك بتدعى لربنا ..إنما هو بيدعي للبعد عن ربنا ...بتيجي إنت سبب في هداية شاب من الشباب وهو مجتهد عليه بالذنوب والمعاصي وإنت تيجي في فترة قليلة الله يجعلك سبب في هدايته ....فبالتالي ياحبيبي هو هيوقعك و هيوقعك ...الشيطان بيسلط شيطان واحد على اللي بيصلي ما بالك إنت داعي إلي الله الشيطان يعمل معاك إيه ...

أحفظ نفسك في البيئة الصح...اقفل على نفسك أي باب يفتحلك معصية لله تذكر يا يوسف " وشاب نشأ في طاعة الله "...لماذا خصّ الله الشاب؟ ...لكثرة شهوات الدنيا عليه في الفترة ديه ....إنت شاب والفتن شديدة عليك ...عليك بالصيام وقيام الليل وناجي ربك...اطلب منه المغفرة وهو هيفرح برجعوك ليه ومهما عملت قوم وارجع تاني قوم وارجع تاني ....إن الله لا يمل حتى تملّوا...

شعر يوسف براحة غمرت قلبه بعد سماع كلام الشيخ صلاح له وعزم وأقسم ألا يرجع من جديد فكم من بعيد يود القرب من الله! وكم من قريب يود أن يُقبض على طاعة مولاه!....

---------------------------------------------------------------------

وصل يوسف إلى منزله ويلاحظ الجميع تلك الابتسامة التي ترتسم على شفتيه...أصبح أفضل مما كان عليه من قبل ...فالضربة التي لا تقتلك تجعلك أقوى ....

وفي صباح اليوم التالي:

- بقولك يا أبوحميد...عاوزين النهاردة نعمل كام زيارة؟

- طيب تمام ...عندي صاحبي في المعادي طلب مني زيارة تعالى نروحله.

- تمام بعد العصر إن شاء الله.

تحركا سوياً بسيارة يوسف وقبل أن يصلا رُفع أذان المغرب ...دخل الصديقان إلى المسجد لأداء الصلاة لفت انتباه المصلين مظهر أحمد ويوسف ....يرتديان العمامة البيضاء مع تلك القمصان واللحية تزين وجهيهما ....

لاحظ يوسف انتباه المصلين لهما فقال في نفسه:

-* الحمد لله على سترك الجميل ..ربي اغفر لي مالا يعلمون واجعلني أفضل مما يظنون.

رُفعت الإقامة وقدَّم أحد المصلين أحمد ليصلي بهم فرفض وقدَّم يوسف كنوع من الإيثار
شعر يوسف بخوف يجتاح قلبه كأنها المرة الأولى.
بدأ يوسف في ترتيل آيات الله ...وجد نفسه يقرأ قوله – تعالى -:
" ألم يأن للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق...."
بكى يوسف وبكى المصلونن من خلفه ...صوته العذب يتسلل من الآذان ليصيب الفؤاد...
انتهت الصلاة وكانت عيون المصلين تلاحق يوسف في مكانه ....لم ينتهِ من أذكار صلاته حتى وجد من جلس بجانبه:
- السلام عليكم ياشيخ.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- ربنا يبارك في حضرتك يا شيخ...كنت عاوز أقول لحضرتك حاجة ممكن.
- اتفضل ياحبيبي.
بدأ ذلك الشاب يقص على يوسف ما به...شعر يوسف كأن هذا الشاب يحكي عن يوسف فلم يجد يوسف سوى كلام الشيخ صلاح الذي حُفر بداخله أن يقوله له.
- جزاك الله خير يا شيخ....ممكن رقم حضرتك؟
- أوي أوي ...شرف ليا ....اسمي يوسف.
- وأنا محمد...

أنهي يوسف وأحمد زيارتهما وعادا سوياً بعد أداء صلاة العشاء ....
ألقى يوسف بجسده المنهك على سريره ليغوص في نوم عميق ......

استيقظ يوسف من نومه قُبيل الفجر ليقف بين يدي الله ....اشتاق يوسف لقيام الليل بعد أن تركه قرابة عشرين يوماً....يقف يوسف بين يدي الله وفي سجوده.
- إلهي وخالقي وحرزي وموئلي...يا سندي يارحمن الدنيا والآخرة ...ألست أنت من قال..
"ويريد الله أن يتوب عليكم "؟ تُب عليا ياحبيبي ألست جُنداً من جنودك؟...غرني حلمك وعفوك وسترك ....أليست التوبة ندماً وعزماً على ألا أعود إلى الذنب مرة أخرى؟ ....إذاً ها أنا بين يديك إلهي أتضرع إليك نادماً على ما فعلت عازماً على أن أعود إليك من جديد....أنا الضعيف بدونك وأنت القوي، أنا الذليل وأنت العزيز، أنا الفقير وأنت الغني ...عاهدتك وأقسمت على ألا أعود مرة أخري لذلك الذنب مرة أخرى ....اقبلني يا أرحم الراحمين ...قبلت سحرة فرعون وسجدوا لك سجدة ....كيف لي المكوث خارج رحمتك؟ يا من قلت: أنا أرحم الراحمين، يا من قلت يابن آدم إذا بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ..هاهي ذنوبي بلغت عنان السماء بل فاقت يارحمن ...طرقت بابك ولن أبرح حتى تعفوَ عني ..

## الفصل السادس والثلاثون

## ( حياة جديدة بدون معاصٍ )

مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى مافيها..قالوا: وما أحلى مافيها يا إمام؟ ..قال: معرفة الله.

إن في الدنيا لجنة من لم يذقها لم يذق جنة الآخرة، قالوا: وماهي؟ ..قال معرفة الله.

انتهت امتحانات يوسف بسلام..شعر بكرم وجود الله عليه..لم يترك قياماً أو صلاة جماعة منذ أن عزم على ترك المعاصي يتذكر كلمات الشيخ صلاح دائماً بل يضعها نُصب عينه يتلذذ بخلوته بربه في قيامه..يبكي له ....يشتكي له ....يعترف له ....
فما أجمل الخلوة بربك كما قال ابن القيم: إذا خلا الناس بالناس فاخلُ أنت برب الناس.

---------------------------------------------------------------

مرت سنة على يوسف وفيها أصبح يوسف من حملة كتاب الله أتم حفظه ومنَّ الله عليه بذلك بل حصل على إجازة به من شيخه كان شغف يوسف بالقرآن يزداد يوماً بعد يومٍ، لم يشغله طلب العلم عن الدعوة بل كان مُوفقاً من قبل الله ..... شغل منصباً هاماً في شركة والده ...كان مثالاً حسناً بأخلاقه الحسنة أصبح يوسف يمتلك قلوب الكثير من قلوب الشباب ...يجتمع الشباب حوله ويستمعون لكلامه...أصبحوا هم من ينظمون اللقاءات بداخل المساجد ليلتقي بهم .....
تغير يوسف كثيراً عما كان عليه...أصبحت حياته لله في الصباح في الشركة مع والده بعدما شغل منصب هاماً فيها ...وبعد العصر إلي بعد العشاء للدعوة إلى الله ...كانت أغلب أوقاته كلها لله - سبحانه وتعالى - ...كان كثيراً ما يشجع أحمد على ذلك الأمر رغم انشغاله بتحضير رسالة الدكتوراه وتحضير لزواجه إلا أنه كان لا يترك عمل الدعوة؛ لأن هذا ماخُلقنا من أجله...
وفي أحد المساجد يلتقي يوسف بمجموعة من الشباب ...ولكن هذه المرة كان العدد كبيراً مما أدخل السرور على قلب يوسف ...أصبح كل شاب يجتهد ليحضر صديقه معه بدأ يوسف كلمته بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على المصطفي - صلى الله عليه وسلم - وبعد:
- أول حاجة ياشباب عاوزين نعرف إحنا جايين هنا ليه؟ ... أو بنية إيه؟ ....إحنا جايين هنا عشان ربنا يرضى علينا ...عارفين لو ربنا رضي كل حاجة تنقضي إنما لو مرضيش يبقي مافيش.....الله الآن يباهي بنا الملائكة ويقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم ذنوبهم ...آخر المجلس ياشباب الله يبدل سيئاتنا حسنات...من يقدر على ذلك إلا الله ....إحنا هنا في الدنيا فترة بسيطة واحنا مختبرين فيها لو نجحنا في الاختبار ربنا يدخلنا جنته وما أدراك ما نعيم الجنة وقصور الجنة وأنهار الجنة وفاكهة الجنة وحور الجنة؟ .... الحور ياشباب لو بصقت في بحر ملح أُجاج لجعلته عذباً فراتاً ....لو نظرت نظرة للدنيا لأضاءت بنورها الكون ....بس عارفين أفضل نعيم أهل الجنة هي رؤية ربنا - تبارك وتعالى - ....

بكى يوسف عندما ذكر رؤية الله - تبارك وتعالى - وبكى الشباب...
تخيل واحد زيي أنا مليان ذنوب ومعاصي يشوف ملك الملوك ...والله إنه أفضل نعيم في الجنة ....عشان كدا ياشباب إزاي نوصل لربنا بقلب سليم ..لأن ربنا لا ينظر إلى الصور ولا الجسد ولكن ينظر إلى القلب ...قلبي ده عامل زي القطنة بس عليها شوية تراب عشان تنضف لازم أشيل التراب اللي عليها ولو حطيت القطنة في لبن تشرب لبن ..ولو حطيتها في حبر تشرب حبر ...نفس الكلام قلبي لازم أوجدله بيئة صالحة عشان أشيل التراب اللي عليه ..عشان كدا ياشباب بنعتكف يوم يومين أو أكتر في المسجد مع بعض عشان قلوبنا تتصلح ها مين مستعد الأسبوع الجاي يجي ومحضر نفسه ومبلغ أهله أنه هيقعد معايا في المسجد ؟....
انتهى اللقاء وأستعد ما يقرب من عشرين شاباً أن يعتكفوا مع يوسف ....

جلس شاب منفرداً بيوسف بعد أن طلب منه ذلك.
- كنت عاوز أكلم حضرتك في موضوع ياشيخ.
- اتفضل ياحبيبي سمعك ...بس معلش الاسم.
- أنا صهيب.
شعر يوسف أنه سمع ذلك الاسم من قبل بل إن شكله مألوف بالنسبة له إلا أن الشاب تزين وجهه اللحية السوداء.
- وأنا يوسف.
- أنا حبيت بنت عالفيس وحصل بينا شوية كلام وتجاوز والموضوع زاد عن حده ...كل ما أقول آخر مرة أكلمها ماتبقاش آخر مرة تعبت بجد ياشيخ يوسف ...عارف إني بضيع بس بحاول أقرب من ربنا.
بكى الشاب بين يدي يوسف ...تذكر يوسف ستر الله عليه وأنه يوما ما كان مكانه يبكي بين يدي الشيخ صلاح ....كفكف يوسف الدمع عن صهيب وقال:
- عارف اللي حصل معاك ...حصل مع واحد صحبي من أكتر من سنة ونص وراح لشيخ وحكاله زي ما إنت بتحكي كدا ......تعمد يوسف عدم قول إنه هو من فعل ذلك لستر الله عليه وعدم البوح والجهر بالمعاصي ...
- طيب وقاله إيه ياشيخ؟ قالها صهيب وهو متلهف لسماع ما قيل.
قال يوسف ما قيل له من أكثر من عام ونصف العام، وكيف ينسى هذا الأمر وهو الدافع الأساسي الذي أوصله إلى ماعليه الآن من خشية وتقوى لله ....
استمع صهيب للأمر ببالغ الاهتمام حتى إنه دون كلمات يوسف فى مفكرته الصغيرة....نشأت محبة بين يوسف وصهيب كأنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ زمن ...اللحية تزيد من وقار يوسف...وصهيب شاب مُقبل على الله ولكنَّ الشيطان أمامه بالمرصاد ولكن قدر الله أن يبعث إليه يوسف ليكون له طوق نجاة من بحر شهواته ....تبادل الاثنان أرقام هواتفهم وعزم صهيب على الاعتكاف معه في الأسبوع المقبل ...

---

اجتمع يوسف مع ما يقرب من خمسة عشر شاباً في المسجد لتبدأ رحلته الدعوية بصحبتهم ..يُنشئ لهم بيئة لتذيل تلك الأمراض من قلوبهم ....مر يوم وآخر والجميع يشعر أنه يُغسَل من ذنوبه ....بدأ صهيب في البكاء أثناء الحديث عن الله ....فقد طلب يوسف من كل واحد منهم أن يتكلم عن الله فيما بينهم وهم مجتمعون وحدهم بالمسجد ....شعر صهيب أن لسانه بل كل جارحه تتكلم عن قدرة الله وستر الله عليه... انتهت الرحلة الدعوية التي استغرقت ثلاثة أيام بناء على رغبة الشباب ليوصيهم يوسف بالرجوع إلى البيت حاملين الهدية لكل فرد في الأسرة ....
عاد صهيب إلى بيته حاملاً الهدايا لأسرته مما أدخل السرور عليهم... بدأ يقص على أسرته ما فعله في تلك الرحلة الدعوية واهتمام يوسف بهم جميعاً ودعوته للشباب....
أُعجب والد صهيب بيسوف من قبل أن يراه ....
وكعادته يدخل على أسرته حاملاً لهم هداياهم ....يجلس يوسف مع والده ليقص عليه ما مر به مع الشباب....أصبح والده يفتخر بابنه لما صار عليه وكيف أن الله يجعله سبباً في الهداية؟! ...
- صحيح يابني أحمد كان هنا وحددنا معاد الفرح.
- بجد يابابا الحمد لله ....بصراحة أنا كنت هكلمه في الأمر ده؛ لأن الأمر طول شوية.

- معلش يابني إحنا ماشفناش منه حاجة وحشة...حتى مكنش بييجي غير لما كنت بطلب منه وبتحايل عليه ييجي وماتنساش إن الدكتوراه شغلاه وأمور الجواز وهو بطوله ربنا يعينه حمله تقيل.
- فعلاً يابابا ربنا يعينه .....سديم صبرت وربنا كرمها بواحد زي أحمد.
- عقبالك يابني أما اطمن عليك ....لسه بردو يا يوسف مش ناوي.
شعر يوسف بأن لسانه قد أُلجم لا يقدر على نسيان من سكنت فؤاده وكيف ينسى من ملكت وجدانه؟ تنهد قليلاً ثم قال:
- أما ربنا يريد يابابا ....هستأذنك عشان تعبان شوية.
شعر والده بأنه يهرب من شيء ما ......دخل يوسف غرفته بعد أن جلس مع أسرته ليبدأ في التفكير في تلك المريمية التي فعلت به هذا، أخرج تنهيدة ومعها أخرج مشاعر دافنة بداخله ليقول:
- اللهم إني أثق بما عندك فاجمعني بها.
ألقى بجسده على سريره ليخلد إلى نوم عميق داعياً الله أن يراها في منامه علَّ قلبه يهدأ قليلاً.....

## الفصل السابع والثلاثون

## ( وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً )

أنتظر تلك اللحظة التي يجمعني الله بك..حَفظتُ قلبي من أجل أن يرتوي من بحر حبك حين يجمعنا الله ...أنتظر ولينتظر كل شيء معي ...فموعود الله آتٍ لا محالة ...
وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله

تم تحديد موعد الزفاف الذي يجمع بين قلبين لم يعرفا إلا طريق الطاعة، قلبين كتم كل منهما مشاعره تجاه الآخر حتى يأذن الله بميلاد يوم تتلاقى فيه الأعين وتتشابك فيه الأيدي...
ينشغل أحمد في تحضير ترتيبات القاعة ...بينما تنشغل سديم ببعض الأمور الخاصة بها ...زادت محبة سديم في قلب أحمد عندما طلبت منه أن تأتي والدته لتعيش معهما بعد الزواج ولكنه أخبرها أن والدته غير موافقة على الخروج من بيتها فبيتها هذا هو مصدر الحنان الذي وجدته من والد أحمد وكيف تترك ذكريات نقشت حروفها بداخلنا؟!
يعلو رنين هاتف يوسف.
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...شكراً على واجب الندالة ده ياعم يوسف ...سايب أخوك طالع عينه وباقي على فرحه يوم وحتى ماتباركليش.
تتعالى ضحكات يوسف ليقول:
- الله يسامحك ...دايما ظالمني ...في مشوار بس هخلصه وأجيلك.
يلتقي الصديقان على الموعد المحدد.
-إيه ده يايوسف؟ قالها أحمد بعدما أخذ شيئاً من يوسف:
- افتح وشوف.
تفاجأ أحمد برحلة عمرة لفردين .....غمرت السعادة قلب يوسف لما رأه من فرط السعادة على وجه أحمد

- جزاك الله خيراً بس كدا كتير أوي يا يوسف ..كفاية اللي بابا عمله معايا أنا كدا جاي عليكم بخسارة
تتعالى ضحكات أحمد ويوسف ....يشعر أحمد بجود وكرم الله عليه، لم لا وهو من عف قلبه لله؟.

---------------------------------------------------------------------

اليوم المشهود

طرقات على باب غرفة العروس.
يدخل يوسف على استحياء غاضاً بصره ....لحظات وتخرج صديقات سديم من الغرفة ....يقترب يوسف من أخته ليقبل رأسها ويقول:
- ماتعرفيش على قد ما أنا فرحان بيكي على قد ما أنا حزين على فراقك ...أحمد ابن حلال وهيصونك وهيحافظ عليكي ...عاوزك الهينة اللينة السهلة معاه....بلاش عناد اسمعيه احتويه ..فاهمة ياسديم.
- فاهمة يا يوسف.
ترتمي بين ذراعي أخيها ثم تبكي على فراقها لأخيها ....فما أصعب الفراق الذي يزداد بعده الاشتياق!.
تخرج سديم من غرفتها كالقمر ليلة البدرِ....كأنها ملاك ترتدي ذلك الفستان الأبيض الذي يجعلها أنيقة مع ذلك النقاب الذي يخفي جمالها عن أعين الناس....
تلتقي بوالديها ثم تودعهما وداعها الأخير ....لم تعد تلك الصغيرة التي كانت تتدلل عليهما من قبل.

يصل الجميع إلى القاعة المخصصة لذلك العُرس ..تدخل النساء إلى قاعتها المخصصة وكذلك الرجال.

لحظات وأُعلن عقد الزواج ...ها هو موعود الله لهما ......هاهي تصبح حلاله الأبدي بل رفيقته إلى الجنان كما وعدها ...تتعالى أصوات الحضور وهم يقولون:
- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير.
تغمر السعادة قلب أحمد ليقوم يوسف باحتضانه قائلاً:
- مبروك يامولانا ...ألف مبروك.
- الله يبارك فيك ياحبيبي عقبالك يارب.
- مبروك يابني .....ربنا يباركلكم يارب.
- الله يبارك فيك ياعمي ...ماتقلقش على سديم هي في قلبي وعيني.
لم يشعر والد يوسف بالخوف على ابنته فهي في أيدي تخشى الله وتتقيه.

انتهى ذلك اليوم المشهود بعد أن تم الموعود وجمع الله القلوب ...
يعود يوسف ووالداه إلى المنزل وفي السيارة:
- عقبالك يابني أما أفرح بيك. قالتها والدة يوسف.
- صحيح يابني عاوزين نفرح بيك.
- خير يابابا ....ربنا يكرم إن شاء الله.
قالها يوسف وبداخله صراع كبير لم ينسها أبدا ....مرت تلك السنوات التي ليست بالقصيرة ..ولم ينسها ولم يكف عن الدعاء بأن يجمعهما الله ....
دخل يوسف إلى غرفته بعد أن وصلوا جميعاً ليجلس على مكتبه ...يخرج دفتره الصغير يبدأ بالبوح عما

بداخله ولكن لا يجد كلمات في معجمه تعبر عما بداخله ...ألقى بجسده على سريره ثم نظر إلى سقف غرفته وقال:
- اللهم كما جمعت يعقوب بابنه اجمعني بها ياااارب.......يااارب قدّر لي الخير فيها وأجعلها أمّاً لأولادي مربية لأجيالي يااارب......

## الفصل الثامن والثلاثون
## ( وهو علي جمعهم إذا يشاء قدير )

أعلم أن نسمات الهواء تحمل لكِ كلماتي، وأن قلبي يكتم آهاتي وآلامي، طال البعاد ولكنَّ الموعد آتٍ، لتكوني حلالي،أمَّاً لأولادي، مربيةً لأجيالي، ملهمة لأفكاري، فاصبري ياملاكي ورابطي على قلبك من الآهاتِ حتي يجمع الله بين الشتاتِ..

يستيقظ قبل الفجر كعادته ليقف بين يدي الله يطلب منه أمراً واحداً وطلباً واحداً ألا وهو أن يرضى عنه...لم يمل يوسف من دعاء خالقه بأن يجمعه الله بها رُغم تلك السنوات ....
أصبح يوسف إماماً للمسجد بعد سفر أحمد وسديم إلى العمرة ....أنهى صلاة الفجر ثم رجع إلى بيته يرتب أموره للذهاب إلى العمل ......
- يالا يايوسف الفطار جاهز.
- حاضر يا أمي.
وعلى مائدة الإفطار.
- إن شاء الله يابابا هنستلم أوراق مشروع الداون تاون النهاردة.
- الحمد لله يابني ...البركة فيك.
- ربنا يبارك فيك يابابا ...ده الحمد لله كله بتساهيل ربنا.
أصبح يوسف يدير شركة والده بل أكرمه الله لينهض بشركة والده لتصبح من الشركات الموثوق بها ...
يقضي يوسف وقته في الصباح في العمل ثم من بعد صلاة العصر يعطيه للدعوة إلى الله مابين لقاءات مع الشباب في المسجد أو زيارات لهم...
تعددت لقاءات يوسف مع الشباب بوجود صهيب بها ...أصبح صهيب يلازم يوسف في كل لقاء ...أحب صهيب حديث يوسف عن الله وكم هو أرحم علينا من أمهاتنا بل من أنفسنا وكيف أعد لنا الجنة جزاءً لنا على طاعته وكيف أن الله يرفعنا في الجنة درجة تليق بذاته حتى نتمكن من رؤية العزيز الغفار ....
أحب يوسف صهيب ...فهو يذكره بنفسه فيما مضى فعزم يوسف على احتضانه كما فعل معه الشيخ صلاح....وفي أحد اللقاءات وبعد الانتهاء منه تفاجأ يوسف بسؤال صهيب له:
- هو حضرتك ليه مش متجوز لحد دلوقتي؟
صمت يوسف قليلاً قبل أن يجيب ثم قال مازحاً:
- لأن الله لم يأذن بعد أيها الفتى.
- أنا بتكلم بجد والله ....طيب أنا عندي عروسة لحضرتك.
ابتسم يوسف قليلاً ثم قال:
- ماشاء الله ....خير بس أنا لسه مش بفكر في الجواز دلوقتي ...وبعدين إنت موجود.

- لا أنا لسة في جامعة ...وبعدين هى ماشاء الله زي حضرتك كدا بتحب الدعوة والكلام عن ربنا ومنتقبة وحافظة القرآن و دارسة علوم شرعية ....
ظل صهيب يتكلم عن تلك الفتاة حتى قاطعه يوسف قائلاً:
- ماينفعش ياصهيب تكلمني عنها كدا.....عل العموم ربنا يسهل لو نويت هقولك تديني رقم والدها ونعمل رؤية شرعية ...
رجع يوسف إلى منزله ولم يهدأ له بال ....بدأ عقله يفكر في كلام صهيب عن تلك الفتاة وكيف يعقل أن يعرف كل تلك التفاصيل...ربما تكون أخته أو أحدى أقاربه..ظل يوسف في تلك الليلة تدور بداخل عقله جميع التساؤلات ...لم يذق للنوم طعم ففضل الاستخارة والدعاء لخالقه ليوفقه في أمره..

-----------------------------------------------------------

مر يومان ويوسف منشغل بالأمر حتى قرر أن يصارح والداه.

- بابا في واحد صحبي شافلي عروسة.
- بجد يابني؟ ده يوم المُني إني أفرح بيك ... قالتها والدة يوسف.
- خير يابني ....وأنت يابني قررت إيه؟
- لسه يابابا ...يومين كدا وهكلمه أطلب رؤية شرعية وربنا ييسر.
- على خير يابني و ربنا يكرمك بيها يارب لو فيها خير ليك.
- بس بستأذن حضرتك هروح أول مرة لوحدي عشان لو حصل رفض مايبقاش جبتكم على الفاضي.
- زي ماتحب يابني ....إن شاء الله خير

---------------------------------------------------------------

وبعد مرور مايقرب من الأسبوع يعلو رنين هاتف صهيب.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .....شيخ يوسف وحشني جدا والله ..إيه الغيبة الطويلة ديه؟
- وإنت أكتر..... معلش كنت مسافر بس بخلص شغل.
- ربنا يعينك يارب.
- آمين ....بقولك ياصهيب فاكر موضوع الأخت اللي إنت قولتلي عليها.
- أه يامولانا مالها؟
- هي تقربلك ولا إنت عرفتها إزاي.
- أه ياشخنا هي أختي.
- ماشاء الله .....طيب مناسب أمتي أجي رؤية شرعية.
غمرت السعادة قلب صهيب ليجيب قائلاً:
- حاضر ياشيخنا هقول لأبي الأول وأشوف رأيه.
أنهى يوسف مكالمته ولكنه يشعر بشيء في قلبه ....ماهو؟ لا يعرف ولكن هو يفعل ذلك حتى لا يظلم نفسه فهو تارك أمره كله لله.
- بابا.....بابا

- مالك ياصهيب.
- الشيخ يوسف يابابا
- ماله يابني؟
- كنت كلمته على عروسة وكدا يابابا وقولتله عندي ليك عروسة وطلب ييجي رؤية شرعية.
- يابني هو ينفع تدلل على أختك كدا ....عيب كدا ياصهيب.
- يابابا مش بدلل بس مش عيب يابابا أما أشوف حد كويس أطمن على أختي معاه ...وبعدين سيدنا عمر عمل كدا أما كان بيختار لبنته حفصة زوج.
- مش هعرف أخد منك حق وباطل ....... طيب قولتله إيه؟
- قولتله هشوف رأي بابا الأول.
- الرأي رأي أختك ما أنت عارف الموضوع مش في دماغها ....ربنا يسهل هكلمها و أشوف رأيها بعدين نرد عليه...
يدخل الوالد غرفة ابنته ليجدها كعادتها جالسة على سجادة صلاتها تقرأ ما تيسر من كتاب الله فلقد اعتاد الوالد أن يراها هكذا ....تنفرد بنفسها مع الله وكتابه ....يجلس الوالد أمامها ليخبرها قائلة:
- ربنا يتقبل منك ياحبيبة قلب بابا.
- ومنك يا بابا.
- في يابنتي شخص أخوكي شايفه مناسب جداً ليكي وهو عاوز ييجي رؤية شرعية ...مش بقولك وافقي بس على الأقل يابنتي تقعدي معاه يمكن يعجبك ماتقفليش الباب زي كل مره كدا.
لحظات قليلة ثم بكت لترتمي بين ذراعي أبيها وتقول:
- طيب سيبني يا بابا أستخير.

-----------------------------------------------------------------

مر يومان ليتصل صهيب بيوسف معلناً له الموافقة على الرؤية الشرعية وتم تحديد الموعد ...
وفي اليوم المحدد.
يجلس يوسف على ذلك الكرسي بعد أن رحب به والد صهيب في انتظار مجيء العروس .....يتحدث معه صهيب ولكنه مشغول بأمر آخر ....هو لم يعرف بعد من هي؟.
- أنا قولت لحضرتك يابابا إني مش بفكر في الجواز دلوقتي ومش معني قولت لحضرتك هستخير يبقى وافقت وييجي يشوفني.
- يابنتي الراجل بره ماتصغرنيش قدامه هيقول عليا إيه؟ ...بعدين شوفيه معجبكيش هقوله كل شيء قسمة ونصيب.
- قوله من دلوقتي يابابا.
- يابنتي هو شافك أصلاً....يالا يابنتي خدي العصير وأنا هطلعه وإنتي اطلعي ورايا.
- مش هخلع النقاب.
- برحتك اللي تشوفيه بس اطلعي.
يتمنى يوسف أن ينقضي الوقت ويذهب مسرعاً إلى بيته ....هو لم ينسها أبداً...فهي من دق الفؤاد لها ولكن أين هي فمنذ أن سافرت لا أحد يعرف عنها شيئاً حتى أخته لم تستطع الوصول إليها ....يقطع شروده مجيء والد العروس مرحباً به:

- منور ياشيخ يوسف.
- بنور حضرتكك يافندم.
- أهو ياباب الشيخ يوسف اللي بحكي لحضرتك عليه واللي بياخدنا معاه رحلات دعوية وبيكلمنا عن ربنا
- اه يابني ماشاء الله ربنا يزيده ....صهيب بيحبك جدا ماتتصورش بيستنى كل أسبوع اللقاء بتاعك مع الشباب.
- ربنا يباركلك فيه ...هو ما شاء الله من الشباب الصالح.
يقطع حديثهم دخول العروس حاملة العصير.....في تلك اللحظة تبدلت مشاعر يوسف:
اااه ياقلبي ماذا حلَّ بك؟ لمَ تسارعت دقاتك هكذا؟ ...
وضعت العروس العصير على الطاولة ثم جلست بجانب والدها.....دقائق معدودة ويخرج صهيب ووالده تاركين لهم الحرية ليتم التعارف بينهما ...
الصمت يملأ أركان غرفة الصالون ..لا أحد يتحدث ...أسرع يوسف في كسر ذلك الصمت وبدأ بالتعريف عن نفسه ونظره لا يفارق الأرض .....زاغ بصرها بشكل لا إرادي نحوه لترى ما لم يكن في الحسبان. ...قميص وعمامة ولحية مهندمة ...ربااااه من هذا؟ ...ولكن يقطع حديثه شهقات من تحت نقابها مما لفت انتباه يوسف ليقول:
- حضرتك بخير ......

الفصل التاسع والثلاثون

( هل تُرانا نلتقي؟ )

صمت أحاط بأركان الغرفة ...لا تدري مريم بماذا تجيب لتستجمع قواها لتقول:
- لا حضرتك ما فيش بعتذر أتفضل كمل

أخرجت تلك الكلمات بعد أن جمعت قواها التي انهارت فور أن عرفته ....ربي رحماك أيعقل أن يكون هو هو أم أني أحلُم؟ ...من أنا يا إلهي لتستجيب دعائي؟ ...ظلت تحدث نفسها ليقطع شرودها صوت يوسف:
- حضرتك عندك تعليق على اللي أنا قولته؟
- ها .....لا أبداً.
- طيب حضرتك عندك أي أستفسار؟
لاتدري ماذا تقول؟ ...فقط يسيطر عليها الارتباك ..أيعقل أن يكون هو أم أن قلبها يتوهم صورته؟ لم لا وقد نال حبه من قلبها ما نال ولكنها أبت أن تغضب ربها؟ ...فكرت سريعاً في إدراك الموقف ولكنها تريد أن تتأكد أنه هو من دق قلبها له منذ أكثر ما يقرب من خمسة أعوام أو ستة.
- حضرتك عندك إخوات؟
تعجب يوسف من سؤالها ...ولكنه لم يبالِ فقال:
- أيوة .....أختي الصغيرة سديم ...بس حاليا هي بتعمل عمرة هي وزوجها.

يعود الصمت ليحوم أرجاء الغرفة..فقط شهقاتها من خلف نقابها هي من تعبر عن سعادتها ...نعم إنه يوسف جمال المصري ...إنه الذي طالما دعت ربها في سجودها بالهداية له ..فهي لم تنسى تلك الدعوة التي دعتها عندما رأت الكعبة لأول مرة :

- اللهم إن كان لي فيه نصيبٌ فاجعله منارة لنشر دينك..واجعله من الداعين إليك وإلي دينك ..اللهم إني أحببته فيك فيا رب لاتكلفني مالا أطيقه...اربط علي قلبي يامولاي ولا تفتني بأحد.

- آنسة ...... معذرة صهيب ماقاليش على اسم حضرتك.

تجمع قواها مرة أخرى لتقول:

- مريم ...مريم عبدالله

يقع ذلك الاسم على قلب يوسف كالسهم الذي أُطلق من قوسه .....تسارعت دقات قلبه...بل يزداد شوقا ليرى وجهها...ماذا حلَّ بك يا يوسف ؟....هكذا سأل نفسه أنها بالتأكيد مريم التي أحبها منذ زمن بعيد. ...ولكن كيف فهي في السعودية ولا أحد يعرف عنها أي شيء ... حتي إن كشفت عن وجهها فهو لم يرها من قبل ولا يستطيع أن يُمَيز صوتها ...لُيسرع يوسف ليقتل شكوكه فلقد أوشك على الانفجار.

- حضرتك بتقولي مريم عبدالله.

- أيوة يافندم.

شعرت مريم بسعادة بالغة عندما أعاد عليها السؤال مرة أخرى، أيقنت أنها بداخله منذ زمن بعيد ولكنها لا تريد إخباره بأي شيء الآن .....يزداد فضول يوسف ليقول:

- حضرتك دراستك إيه؟

- أنا كنت في آداب عين شمس ...بس مكملتش لأسباب معينة وكملت دراستي لعلوم شرعية.

تسارعت دقات قلب عما سبق مما جعله يتصبب عرقاً من التفكير.

- حضرتك بخير؟

قالتها مريم بعد أن رأت حالة يوسف لتتفاجأ بسؤال يوسف.

- رجعتي إمتي يامريم من السعودية؟.

لم يصدق يوسف أنها هي ...نعم هي من ملكت القلب والعقل والوجدان ...هي من نالت من دعائه ما نالت ....شعر يوسف ببرودة تُثلج عروق دمه بل قلبه ...لا يدري كيف يجيب وماذا يقول بعد أن استجاب الله وجمع بينهما بعد كل هذه المدة ....نعم إنه أول لقاء بينهما بعد أن فرقتهما سنوات الحياة ...ألقى الله في قلبهما محبة تتعجب لها العقول .... مسح يوسف عينه بعد أن ترقرقت بالدمع رغماً عنه ليقول:

- الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات ...أخيراً قدر الله لنا أول لقاء ...

قالها يوسف وهو ينظر إلي عَينَيِّ مريم ...التقت العيون لتصمت الألسنة ....تكفي نظرات العيون أن تعبر عما تحتويه القوب ....

- إيه الغيبة الطويلة دية؟ ...وليه انقطعت أخبارك عن سديم مرة واحدة؟.

- حصلت ظروف بعد قدر الله هبقى أُقولها لحضرتك بعدين ....ممكن أعرف إيه التغير الملحوظ اللي حصل لحضرتك ده؟.

تبسم يوسف ضاحكاً من قولها ليقول:

- حضرتي ....بعد كل السنين وحضرتي ...اسمي يوسف بس يا مريم.

شعرت مريم بخجل شديد لتبتسم من خلف نقابها ليكمل يوسف قائلاً:

- الحمد لله هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ....
ثم تابع يوسف حديثه ليخبرها ما مر به منذ أن علم أنها سافرت إلى السعودية ...وتعرض فادي له وتلك الحادثة المؤلمة ...وبداية هدايته وسعيه في ختم كتاب الله حتى أصبح ما عليه الآن.
لمعت عينا مريم من شدة فرحها بما سمعت ...لقد استجاب الله دعاءها ...فما أجمل لقاء يجمع قلبين بعد أن افترقا!.
- حاسة إني قاعدة مع صحابيٍّ.
تبسم يوسف ثم قال:
- كدا بنجامل ...صحابيّ مرة واحدة ...اللهم اغفر لي ما لايعلمون وما يعلمون ....ده إنتي عارفة تاريخ يوسف القديم.
- ماتقولش كدا ...كتيييير من الصحابة كانوا مشركين بالله وبيعادوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعد الإسلام أبدل الله سيئاتهم حسنات ...
شعر يوسف بسعادة بالغة مما سمعه منها ....يزداد ضجيج قلب يوسف ليقول:
- والله أنا حاسس إني قاعد مع حورية من الجنة ...أو عشان يبقي صح ملكة الحور في الجنة.
احمرت وجنتا مريم مما سمعته ....قلبها لم يهدأ من شدة فرحه ...لتتفاجأ بطلب يوسف يقول:
- هو إنا مش المفروض رؤية شرعية.
لا تدري مريم ماذا تفعل؟ ...أصابها الحياء كادت تُكسر عظام أصابعها من شدة تشابكها ببعضها.
- أنا محدش شافني من 6 ابتدائي ..فمعلش ممكن نأجلها.
شعور مختلط ينتاب يوسف ما بين الفرح لعفتها لنفسها والحزن على عدم رؤيتها ....لاحظت مريم تلك الحالة التي ظهرت على يوسف لتدرك الموقف قائلة:
- بس طالما شرع الله أجاز في الرؤية معنديش مشكلة بس هنادي لبابا بعد إذنك.
كشفت عن وجهها بعد أن جاء والدها وصهيب ليجلسا معهما ...شعر يوسف أن القمر ليلة البدرِ قد أطل بنوره الساطع .... منعه حياؤه أن ينظر إليها ولكنه استجمع قواها لينظر لها مباشرة ...
تتلاقي العيون ببعضهما ليشعر يوسف أن الزمن قد توقف عند تلك اللحظة ...لم تتمكن مريم من الإطالة في النظر إلى عينيه فشاحت بنظرها إلى الأرض ليقطع شروده صوت والدها:
- اتفضل يابني اشرب العصير.
- ها؟ ...حاضر ياعمي.
لاحظت مريم تغير نبرة صوت يوسف حتى لهجته فلقد اطمأن قلبها وهدأ من ضجيج طال إلى سنين طويلة.

انتهى ذلك اليوم الذي ترك بصمة لا تُنسى في قلب كل من يوسف ومريم ...افترقا من أجل الله ليجمعهما الله على رضاه وتقواه ......

## الفصل الأربعون

## ( لقاء بعد فراق )

عاد يوسف إلى منزله والسعادة تغمر قلبه ...لم لا وقد استجاب الله لدعائه ورزقه بمن سكنت فؤاده؟
...تلاحظ والدته تلك السعادة التي تظهر عليه فقالت ممازحةً ابنها:
- شكلنا كدا هنحضر فرح قريب يا أبو يوسف.

نظر إليها يوسف مبتسماً ثم أقبل مسرعاً يقبل رأسها ويقول:
- إن شاء الله يا أمي......أنا لسه هستخير وربنا يكرم.
- ربنا يكتبلك اللي فيه الخير يابني .... قالها والده متمنياً السعادة لابنه.

---

تُغلق باب غرفتها على نفسها بعد أن لاحظ الجميع تغير حالتها من بعد الرؤية الشرعية....فهم لا يعلمون أنه هو من تحرك له الفؤاد من قبل ....وقفت تصلي شاكرة لربها على عطائه واستجابة دعواتها وفي سجودها تبكي وتدعو ربها قائلة:
- اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا ولك الحمد أبداً أبداً ...يا أكرم الأكرمين يا ناصر الضعفاء والمساكين....عجز لساني عن شكرك وحمدك على جودك وعطائك لي....فاللهم اجعله صالحاً مصلحاً لي واجعلني له كذلك ...اللهم إني ربطت علي قلبي لأجلك فأرني جودك وكرمك يامولاي ...

---

أنهى يوسف صلاته ليلقي بجسده على سريره من فرط السعادة التي يشعر بها..شرد يوسف بذهنه مسترجعاً ذلك اللقاء من جديد ...يحاول أن يتذكر شكلها وملامحها ولكنه لم يستطع...لم يستطع أن يصف الملائكة ...هي في نظرة حورية من الجنان .....قطع شروده رنين هاتفه ..
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ...أهلا بالعرسان وحشتونا.
- وأنت أكتر يا يوسف طمني بابا وماما عاملين إيه؟.
- الحمد لله يا أبو حميد ...سديم أخبارها إيه؟.
- الحمد لله بتسلم عليكم.
- جايين إمتي ؟
أنهى أحمد مكالمته بعد أن أبلغ يوسف بموعد عودتهما ليكون في استقبالهما....

يمر يومان ليتصل الأستاذ عبدالله والد مريم بيوسف ليعلن موافقتهما....غمرت السعادة قلب يوسف فور سماع ذلك الخبر....اتفق يوسف مع والد مريم أن يأتي هو وأهله يوم الخميس من الأسبوع الحالي ...

---

وفي المطار......

- حمد الله على سلامتك ياعريس.
- الله يسلمك يا يوسف ...وحشتني جدا.
- وإنت أكتر....
ينظر يوسف إلى سديم..فهذه المرة الأولى التي تبتعد عنهم فيها
- وحشتيني أوي ياسديم.
- وإنت أكتر ياحبيبي.
ثم ترتمي بين ذراعي أخيها كطفلة صغيرة ترتمي في أحضان أبيها.

وأثناء طريق عودتهما للمنزل يلاحظ أحمد تغير في حالة يوسف.
- مالك يابني حاسك متغير؟
- هو باين عليا أوي كدا؟
- إنت مش شايف نفسك ....أنا من أول ماشوفتك وقلبي مش مطمن انطق ياواد إنت في إيه؟
قالتها سديم والفضول يملأ قلبها.
- اعملوا حسابكم يوم الخميس الجاي هنروح نحدد معاد خطوبتي إن شاء الله.
- بجد ألف مبرووووك يا يوسف والله فرحتلك أوووي.
قالها أحمد بسعادة بالغة.
- مبروك يايوسف يا رب يجعلها زوجة صالحة ليك تقر عينك يااارب .....بس مقولتليش يعني طلعت بتخبي على أختك.
- يا بنتي الموضوع كله جه كدا قدر ....بعدين إن شاء الله تحبيها كدا وتبقوا صحاب.
- أكيد أن شاء الله ديه هتبقي مرات الغالي
يبتسم يوسف من قولها ويقول في نفسه:
- والله خايف يجرالك حاجة لو عرفتي إنها مريم صحبتك.

---

يجلس يوسف ووالداه وأخته في غرفة الصالون فلقد اعتذر أحمد عن الحضور نظراً لمرض والدته
تذكر يوسف تلك المرة التي جمع الله بينهما في تلك الغرفة مع أول لقاء شجي بينهما ....
تنتظر سديم على أحر من الجمر لتتعرف على من اختارها يوسف لتكون شريكة حياته.
- يا مرحب يا مرحب ....منورنا ولله حصلنا الشرف.
قالها والد مريم مرحباً بعائلة يوسف:
- الله يبارك فيك البيت منور بأهله يا أستاذ عبدالله ......قالها والد يوسف.
لحظات قليلة وتدخل مريم الغرفة بعد أن أذن لها والدها ......تلاحقها الكثير من الأعين وعلى مقدمتهم عين سديم فهي تشعر أنها تعرفها من قبل ...شعرت بشيء يجذبها نحوها ...لا تدري سديم لمَ تسارعت دقات قلبها هكذا؟ ....تمنت سديم أن لو ترى ذلك الوجه الذي يخفيه ذلك النقاب.
بدأت مريم بالسلام على والدة يوسف ...تفاجأت سديم بسماع صوتها لم تصدق نفسها إلا أنها وجدت من يحتضنها بشدة وتبكي وتقول:
- وحشتيني يابطتي.
لم تتمالك سديم ومريم نفسهما من شدة البكاء فهي لم تتخيل أن ترى صديقتها مرة أخرى ...والأخرى لم

تصدق أنها سوف تعود إلى مصر بعد كل هذه المدة ....بكاء شديد وصل إلي حد النحيب ...الجميع في ذهول تام عدا يوسف الذي أخرج منديلاً ليمسح دمعات شقت طريقها من بين جفنيه...
- في إيه يا سديم يابنتي؟
- مريم مالك يابنتي في إيه؟

قالتها كل من والدة سديم ومريم ولكن لم تستطع كلٌّ منهما أن تجيب ولو بكلمة واحدة من شدة البكاء.
قام يوسف بشرح الموقف منذ أن سافرت مريم وأهلها إلى السعودية حتى تلك اللحظة ..تفاجأ الجميع مما قاله يوسف ليسرع صهيب ويقول:
- يعني حضرتك ياشيخ يوسف الشاب اللي كان آسر قاعد معاه؟
- أيوة بالظبط كدا.
- و أنا والله بقول الشكل مش غريب عليا بس معرفتش أجمع.
- بس آسر ماشاء الله عليه كبر أهو وبقى راجل، قالها يوسف بعد أن مسح على رأس آسر.

لحظات قليلة حتى استأذنت مريم أن تدخل هي وحفصة غرفتها ...لم تترك مريم يد سديم حتى جلستا سوياً على سريرها.
- لحد دلوقتي مش مصدقة ....إنتى مريم عبد الله بجد؟.
- أنا اللي مش مستوعبة لحد دلوقتي ....إنتى ويوسف وإحنا متجمعين مع بعض هنا.
- الحمد لله ربنا استجاب لدعائي في العمرة ....لسه راجعة من يومين أنا و أحمد جوزي ودعيتلك إنتى ويوسف.
- أنا ويوسف !! ....هو إنتي كنتي تعرفي إنه اتقدملي.
- لا معرفش ...بس بعد سفرك يوسف اعترفلي بحبه ليكي وإنه أتغير عشانك ولحد قبل جوازي قالي أنا عمري ما نستها ...

يرقص قلب مريم من فرط السعادة التي غمرت قلبها بما سمعت...
- بس شكل أحمد جوزك ابن حلال يوسف بيشكر فيه أوي.
- الحمد لله ربنا عوضني خير ...لو تفتكري إسلام صاحب يوسف الشاب الملتزم ده إتقدملي بس بعدها بشهرين توفاه الله و نفسيتي تعبت بس الحمد لله ربنا عوضني وكرمني بأحمد ...عمري ماحسيت إن كرم ربنا هيوصل إنه يرزقني بواحد زي أحمد.
- ربنا يباركلكم في بعض يااارب.
- المهم إيه اللي خلاكي تغيبي الفترة ديه كلها من غير حتى تليفون واحد ؟
تنهدت مريم قليلاً ثم قالت:
- كنت خايفة أوي ياسديم إني أتعلق بيوسف أكتر ...وهو مكنش ينفعني لأنه وقتها مكنش ملتزم بس معرفش ليه قلبي دق ليه...ده غير إن شنطتي نسيتها في العربية اللي وصلتنا المطار في مصر ...بس كنت حافظة رقم إيمان وكنت بطمن عليكي منها وهي عارفة كل حاجة ونصحتني إني أبعد وأنسى خصوصاً بعد وفاة أخوها إسلام وبعدها انقطعت اتصالتنا ....بقيت مشغولة في دراستي وحياتي هناك لحد مابابا جه فاجئنا وقال إن الشركة هترجعه القاهرة تاني ....عارفة فرحت وحزنت ....فرحت إني هرجع لذكرياتي معاكي وحزنت إني كنت خايفة ألقى نفسي لسه متعلقة بيوسف ....كنت خايفة أخوكي يدخل

جوايا ويسيطر عليا وأعصي ربنا ....فتركت كل أمري لله وكانت أول دعوة أول ما شوفت الكعبة يارب تركته من أجلك فاهدِه واجمعني به.....

## الفصل الواحد والأربعون

## ( إني رُزِقتُ حُبها )

سآخذك إلي مدينة أحلامي...عندما تكونين حلالي ...وأنتِ بين أحضاني ...لأملأ قلبك بكل أماني ...لتكوني أمّا لأولادي ...مربية لأجيالي ...فيا حوريتي اصبري وصابري ورابطي فالموعد آتٍ ..ليجمع الله بين الشتات..

تم تحديد موعد الخِطبة وإلى الآن لا يستطيع يوسف أن يستوعب ماحدث ...أيعقل ياربِ أن تجمعني بها بعد كل تلك السنوات التي مضت؟ ....فأمره بين الكاف و النون ...فالسهل عند الله سهل والصعب عند الله سهل فلا يعجزه شيء أبداً.

في تلك الأثناء عادت مريم وسديم على ماكانتا عليه من زمنٍ مضى ....

### يوم الخِطبة

ارتدى يوسف بِزَّته التي تزيده جمالاً ....لحيته الشقراء المهندمة تزيده وقاراً ....
يخرج يوسف من غرفته لتقابله والدته قائلة:
- ماشاء الله عليك يابني ....ربنا يحميك ياارب.
- ربنا يبارك فيكي يا أمي.
ثم يقوم يوسف بتقبيل يد والدته.
- ربنا يسعدك يابني ويفرحك.
- جزاك الله خير يابابا ويباركلي فيك.
- أيوة بقي ياعم مين قدك ....أنت العريس ومحدش قدك مبرووك ياحبيبي.
- الله يبارك فيكي يالمضة إنتى....تلاقيكي فرحانة أكتر مني.
- أه والله ...أخويا وصحبتي عاوزني أعمل إيه؟.
- مبروك يا يوسف ربنا يتمم أمرك على خير.
- الله يبارك فيك يا أحمد.

---------------------------------------------------------------------

وفي غرفتها تشعر مريم بتوتر لم تشعر به من قبل.
- مريم اهدي مافيش داعي للقلق ده كله.
مش عارفة ياصهيب حاسة إني مرتبكة وعاوزة أعيط.
- اهدي بس ياماما ...وقولي أذكارك.

في تلك الأثناء يدخل عليهم آسر الأخ الأصغر لهم باندفاع قائلاً:
- العريس جه ....العريس جه
- اجهزي بقي الناس وصلت يابنتي ...
قالتها والدة مريم بعد أن دلفت إلى غرفتها ....
يجلس الجميع بانتظار ملكة الحفل ....حالة من التوتر تتغلب على يوسف ويلاحظ الجميع ذلك الأمر
- مالك ياشيخ يوسف؟ ...شكلك داخل على امتحان صعب.
قالها والد مريم ليخفف عنه ....ضحك الجميع ثم قال يوسف:
- أنا دلوقتي زي صهيب ياعمي يعني يوسف بس ...لو امتحان هيبقى أسهل بكتيير .....
يقطع حديثهما دخول صهيب ومعه أخته بجانبه...
تقع عين يوسف على عينيها مباشرةً...شعر يوسف أن الزمن توقف عند تلك اللحظة...
نظرات تكاد تبوح عما بقلبهما ....ينظر إليها وكأنه لا يعرفها ولا تعرفه لا من شيء إلا لأنه يعرفها وتعرفه ...تتكلم ساكنة ويرد بسكونه ..... صمت ضائع كالعبث ولكن له في القلبيين كلام كثير ...
تجلس مريم أمام يوسف بجانب والدته وأخته ..
- فاكر ياشيخ يوسف يوم الفرح أما شوفتك في الفرح بتاع صحبة مريم.
خجل يوسف من كلام صهيب فقال مازحاً:
- إيه ياصهيب ....اذكروا محاسن موتاكم.
- بعد الشر ماتقولش كدا

نظر يوسف إلى مريم متعجباً ....تشعر هي الأخرى ببرودة تسري في جسدها ..كيف خرجت تلك الكلمات منها دون إرادتها ....ليسرع يوسف ليدرك الموقف قائلاً:
- مش هتلبسي يا أمي مريم شبكتها ولا إيه؟
تقوم والدة يوسف بإخراج تلك العلبة المكسوة بالقماش المحلى لتقع عين مريم على تلك الدبلة التي نُقش عليها "إني رُزقتُ حُبها " نظرت له مخلفة ابتسامة ارتسمت على شفتيها ثم بادلها بنظرة كأنه يقول لها " لقد رزقني الله حبك حقاً "
شعرت مريم بسعادة بالغة عندما ارتدت تلك الدبلة ....
لحظات قليلة ثم يقول والد مريم:
- اتفضلوا ياجماعة العشا جاهز .....خليك يايوسف يابني هنا أنت ومريم وصهيب هيجبلكم عشاكم هنا.
- جزاك الله خير ياعمي .....شكر يوسف الله – تعالى - على تلك المنحة التي وهبها الله إياه.
- والدك ده شكله حتة سكرة ....قالها يوسف ولكن لم يلقَ أي إجابة من مريم.
- أنا بقول أقعد معاكم هنا أسليكم بدا ما أنتو زهقانين كدا ...قالتها سديم وهي تنظر إلى يوسف مازحةً.
- أنا بقول تمشي أحسن يا سديم تروحي تشوفي أحمد فين وتقعدي معاه ...قال زهقانين ...أنا معرفش مين اللي عزمك بصراحة.
ثم التفت يوسف إلى مريم موجهاً حديثه قائلاً بمزاح:
- حضرتك تعرفي الأستاذة ديه؟
صمتت قليلاً ثم قالت:
- أه طبعا أختي وصديقة عمري ..قالتها مريم وهي تشد على يد سديم.
- ربنا يباركلي فيكي يامريومتي ياحبيبتي.

- كدا بقيتوا إنتو الاتنين ....طيب أطلع أنا أكل مع أحمد بره وإنتى خليكي هنا مع مريم.
ضحكت مريم وسديم من كلام يوسف ثم قالت الأخيرة:
- لا يا اخويا أنا رايحة لجوزي حبيبي.

لا يدري يوسف من أين يبدأ ...ظل ينظر إليها فترة ليست بالقصيرة ...أما هي فنظرها لم يبرح مكانه من الأرض ثم قال:
- قوليلي بقي إنتي عاملة إيه من الأكل ده؟
تفاجأت مريم من سؤال يوسف لتجيب على استحياء:
- السلطة.
تناول يوسف القليل من السلطة ثم قال:
عمري ما أكلت سلطة بالحلاوة ديه ...شكلي كدا هبقى نباتي ...
ضحكت مريم رغماً عنها من مزاح يوسف .....

انتهى ذلك اليوم المشهود الذي ترك أثراً محفوراً في قلوب أخفت مشاعرها من أجل إرضاء الله.

## الفصل الثاني والأربعون
## ( إن الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه )

مرت قرابة ستة أشهر عل الخطبة ومعها زادت الألفة والمحبة بين يوسف وأهل مريم ولاسيما مع صهيب ....تم الاتفاق على الزواج بعد سنة أو ربما أُقل ....كانت تمر الأيام بالنسبة ليوسف كأنها سنوات...وفي أحد المرات وعلى مائدة الطعام ...
- مالك يايوسف يابني.....متغير ليه اليومين دول ووشك أصفر؟
قالتها والدته متعجبه من حالة ابنها.
- تلاقيه إرهاق بس ياماما من الشغل مش أكتر.
- طب روح اكشف يابني.
- حاضر ياست الكل.
ثم تابع الوالد قائلاً:
- ابقي اسمع كلام ماما يايوسف وابقي روح اكشف ...ها طمني عالشغل.
- الحمد لله يابابا الموقع بالكامل داخل على مرحلة التشطيب وإن شاء الله هنسلمه قبل معاده.
- ماشاء الله ...ربنا يكرمك يابني ....معلش أنا رميت عليك الحمل كله.
- يابابا حضرتك الخير والبركة.

أنهى يوسف طعامه ثم دخل إلى غرفته ليستريح قليلا....بالفعل يشعر بالغثيان دائماً....يشعر بالوهن في جسده ...نوبة من السعال أصابت يوسف ليتفاجأ بقطرات من الدم على ذلك المنديل ...قرر بعدها يوسف أن يذهب إلى صديقه لإجراء بعض التحاليل ....
يعلو رنين هاتفه لتعلو البسمة شفتيه ليجيب قائلاً:
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...التليفون نور ياعمي.

- وعليكم السلام ...ربنا يبارك فيك يابني دايما كدا كلامك عسل زيك ...طمني عنك بقالك فترة مختفي ليه كدا.
- معلش والله ياعمي الشغل وعندي موقع لازم يتسلم ومضغوط فسامحني.
- هسامحك لو قبلت بكرا تيجي تتغدى معانا إن شاء الله.
تغمر السعادة قلب يوسف لسماع ذلك..فهو سيرى من ملكت فؤاده.
- جزاك الله خير ياعمي إن شاء الله.
أنهى يوسف حديثه وقلبه يتراقص من فرط سعادته ليقول:
- والله عمي ده رزق من ربنا ....هو اللي كل شوية يتصل يقولي تعالى ...تعالى وأنا مقدرش أرفضله طلب.
يضحك يوسف على ما قاله لنفسه ليرمي بجسده على سريره ليخلد في نومٍ عميق.

---

يصل يوسف في الموعد المحدد ...ويجلس معه والد مريم وصهيب وآسر.
- إزيك ياعمو يوسف ؟، قالها آسر مُرحباً بيوسف.
- الحمد لله يا حبيب عمو ....ها عملت اللي اتفقنا عليه آخر مرة؟.
- أه الحمد لله مابقتش أضيع ولا صلاة واحدة ...بروح مع بابا الجامع.
- شاطر ياحبيبي عشان ربنا يحبك ...اتفضل هديتك اللي وعدتك بيها
- الله ....أنا بحبك أوي ياعمو يوسف.
ثم يذهب مسرعاً وهو يقول:
- ماما....مريم ...شوفو عمو يوسف جابلي إيه؟
في تلك الأثناء تدخل مريم غرفة الصالون ليقف يوسف في مكانه احتراماً وحياء منها ...
يلاحظ والد مريم الموقف فتزداد محبة يوسف في قلبه:
- يابني إنت كدا بتكلف نفسك مش كل مرة كدا؟
- أكلف نفسي إزاي ياعمي ....وبعدين أنا بجيب لبيتي ولا إيه رأي حضرتك؟
لم يجد والد مريم ما يقوله ليبتسم له ويقول:
- أكيد يابني ....هستأذنك أشوف الغداء ....تعالى ياصهيب.
- حاضر يابابا

وفي نفسه ...يشكر يوسف ربه على تلك الفرصة التي منحها له:
- إزيك مريم؟
- الحمد لله بخير وحضرتك، ينظر إليها يوسف ويقول لها مازحاً:
- حضرتي بخير ...وبصراحة من ساعة ماعمي عزمني و أنا صايم ما أكلتش ومش هينفع آكل سلطة بس ....أنا قولت أقولك عشان تعملي حسابك.
ابتسمت مريم من كلام يوسف ...فهي تفهم ما يقصده ..فقالت:
- ماتقلقش حضرتك ...أنا اللي صممت أعمل الأكل بنفسي.
- الحمد لله ....قالها يوسف وهو ينظر إليها متمنياً تلك اللحظة التي يستطيع فيها أن يبوح عما بداخله
تعود نوبة السعال من جديد لتراود يوسف عن نفسه مما زاد من قلق مريم عليه .....يتفاجأ مرة أخرى

ببضع قطرات من الدم على منديله ليسرع بإخفائه عنها.
- مالك يايوسف ...في إيه شكلك تعبان؟
- الحمد لله يامريم ...تلاقيه دور برد مش أكتر.
- دور برد يغيرك بالشكل ده ....إنت مش شايف نفسك يايوسف تعبان إزاي ووزنك قل بطريقة ملحوظة؟

يتفاجأ من رد فعلها ..شعر أنها والدته التي تخاف عليه، أخته التي تصب عليه من فيض حنانها، ابنته التي لم تحب رجلاً غيره، حبيبته التي تتألم لألمه ......يقطع شروده صوتها وهي تقول:
- لو طلبت منك طلب ممكن تنفذه؟
- إن شاء الله لو باستطاعتي أكيد مش هتأخر.
- بعد ماتنزل من عندنا تروح تكشف ...ولا أقول لبابا وصهيب يروحوا معاك.
- لا لا ....ماتتعبيش حد إن شاء الله هروح.
- ده أول طلب أطلبه منك وبناء عليه هعرف فعلا معزتي عندك قد إيه؟

تعمدت مريم أن تقول هذا الكلام حتى يهتم يوسف بصحته ...فهي لا تحتاج إلى أي أثبات لكي تعرف ما مكانتها عند يوسف.
- حاضر إن شاء الله.

لحظات قليلة:
- يوسف يابني نجيب الغدا هنا؟
- لو تسمح ياعمي ممكن ناكل كلنا مع بعض.
تعمد يوسف ذلك الأمر لزيادة الألفة بينهم.
وعلى مائدة الطعام
- يالا كله يقول: باسم الله زي ماعمو يوسف قالي، قالها آسر
ابتسم الجميع ...فلقد أخذ يوسف مكانه في قلوبهم جميعاً...
- إيه يابني شايف لسه طبقك مليان؟
- الحمد لله ياعمي ....ماشاء الله ياماما أكل حضرتك جميل جداً.
أصابت تلك الكلمات قلب والدة مريم لتقول:
- الله يعزك يا بني بس الطبق بحاله ...وإنت شكلك محتاج تاكل كويس لإن وشك أصفر ...
في تلك الأثناء تنظر له مريم وكأنها تقول إن الامر واضح عليه.
- الشغل كتير بس يا أمي ومش باخد كفايتي في النوم ....الحمد لله.

يجلس الجميع في غرفة الصالون بعد تناول الغداء ليبدأ يوسف في التكلم عن قدرة الله وعظمته وجنته والحور ورؤية الله - تبارك وتعالى - في الجنة وذلك بعد أن طلب مه والد مريم ذلك.
انتهي ذلك اليوم المشهود مخلفاً سعادة بالغة في قلوب الجميع ....وأثناء عودة يوسف.
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الدكتور اللي مشرفني دايما.
- وعليكم السلام ...... الشيخ يوسف بنفسه ...ياراجل والله وحشني.
- وإنت أكتر والله ...عامل إيه ياMولانا؟
- بخير ياشيخنا ... إنت إيه أخبارك؟

- الحمد لله ....بقولك يا أحمد
- اتفضل يا يوسف تحت أمرك.
يبدأ يوسف في شرح حالته على الهاتف لصديقه الدكتور أحمد شافعي الذي تعرف عليه في أحد رحلاته الدعوية ليقوم الأخير بدعوته إلى عيادته لتفحصه ...يصعد يوسف إلى العيادة بعد أن صَفَّ سيارته...
- طب إنت الحالة ديه جاتلك إمتى؟
- بقالها فترة بس مكنش في بالي ...يعني بقول ده ضعف أكل أو قلة نوم ...أوقات بحس رجلي مش شيلاني بس إني هذيل ومش قادر أبذل أي مجهود.
- طب والكحة اللي بتجيلك والدم ...من إمتى؟
- حوالي شهر ...بس قولت عادي حنجرتي مجروحة بس زادت الأيام ديه؟
يقف الدكتور أحمد من على كرسيه وشيء ما في قلبه ...هو يعرف تلك الأعراض معرفة جيدة...كيف لا وذلك المرض كانت رسالته في تحضيره للدكتوراه؟
- طيب بص تعالى نروح عند دكتور صحبي نحلل و نتأكد أفضل.
- ماشي.
يذهب كلٌّ من يوسف و الدكتور أحمد إلى أحد مراكز التحاليل الكبري وفي الطريق.
- السلام عليكم دكتور عبد الله حبيبي.
- وعليكم السلام دكتور شافعي أخبارك إيه؟
- الحمد لله بقولك يادكتور ...معايا واحد صديقي زي أخويا وأكتر عاوزين نعمل شوية تحاليل.
- تحت أمرك يا دكتور أنا موجود في المعمل دلوقتي.
- نص ساعة وأكون عند حضرتك.

يصل يوسف والدكتور أحمد إلى المعمل ويقوم يوسف بإجراء تحليل صورة لدمه....تمر قرابة الساعة ...ثم يطلب الدكتور أحمد من يوسف أن يعاود إجراء التحاليل مرة أخرى ........
مرت قرابة ساعتين ونصف والقلق يزداد في قلب يوسف ولا يعلم لماذا؟ ....لحظات ويخرج الدكتور أحمد من غرفة التحاليل وفي يده أوراق التحاليل وتبدو ملامح وجهه لا توحي بالاطمئنان.
- خير يا شافعي طمني.
- خير يا يوسف ...فاكر حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - " عجباً لأمر المؤمن ....
يقطع حديثه يوسف قائلاً:
- بص يا أحمد أنا مؤمن بقدر ربنا والحديث قصاد عيني ...بس صدقني أنا متوتر جداً جداً فبعد إذنك قولي عندي إيه؟
- للأسف يا يوسف إنت مصاب بكانسر في الدم ونسبته أكتر من55%

## الفصل الثالث والأربعون
## ( فُراق بعد إشتياق )

لن تعجز سرائري عن احتواء ألم شديد، قليل الحِيَل أنا إلا من دعاء عريض ، طابت النفس به لرضاها بقضاء سديد، من قائل: إن الأبتلاء رزق بغيض، كلا إنه من سُبل فيض مَديد، يئن الجسد بأوجاع أجرها عند الملك يزيد، ابتليتني لترفعني إنك أنت الحميد المجيد.

لم تتحمل قدم يوسف ذلك العبء الثقيل الذي أُلقى عليه لتخونه قدماه فيرمي بجسده الهذيل المتهالك على ذلك الكُرسي ..

- يوسف وحد الله...إن شاء الله بالعلاج بعد كرم ربنا هنحصر المرض، قالها صديق يوسف الدكتور أحمد شافعي.

- إنا لله وإنا إليه راجعون ..لا إله إلا الله .....الحمد لله يارب على ما كتبته لي...اللهم لك الحمد على كل شى....

لم يخطر ببال يوسف في تلك اللحظة إلا في مريم ومصيرها ...فهو يعرف مصير ذلك المرض اللعين ...فلقد ذاق فراق صديقه من قبل بسبب ذلك الأمر ...

يسأل نفسه هل أخبرها أم لا؟ ...وإن أخبرتها تُرى ماذا ستفعل ...وإن أخفيت عنها فسوف أحكم عليها أنها تعيش مع شخص ميت ..... دارت كل هذه التساؤلات في عقل يوسف ....

استجمع يوسف قواه ثم قام متجهاً إلى منزله بعد أن اتفق مع صديقه على مراحل العلاج وفترة مكوثه في المشفي للمتابعة ...

يصل يوسف إلى المنزل ليجد سديم وأحمد هناك:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قالها يوسف ونبرته يعلوها الألم والحزن ليلاحظ الجميع ذلك الأمر.

- وعليكم السلام مالك يابني؟ قالتها والدته.

- مافيش يا أمي ...الحمد لله بخير.

يجلس يوسف معهم ولكن شارد الفكر تفكر سديم في معرفة مايدور بباله لتقول:

- هو اللي بيخطب بيبقي وشه عامل كدا؟ ....قولي لو مريم مزعلاك أعرف شغلي معاها.

ينظر إليها يوسف في صمت تام ولا يجيب ...مما زاد قلق الجميع

- مالك يابني؟

قالها والده بنبرة يعتليها القلق.

- مافيش يابابا....بكرا بس يابابا رايح المستشفي هعمل شوية تحاليل كدا.

- ليه يابني مالك فيك إيه؟ ...قالتها والدته ونبرتها يتعليها الخوف.

- كل اللي يجيبه ربنا كويس يا أمي ....بس أهم حاجة ساعة الاختبار الإنسان مننا يلتزم الصبر والاحتساب .... لأن ده بيبقى رفع درجات أو تكفير ذنوب فاتت ...عشان كدا من رحمة ربنا الشوكة يصيبها المؤمن تكون له كفارة .....

أطال يوسف الحديث عن الابتلاء وفضل أهله عند الله ومكانتهم ليستجمع قواه ويقول:

- فالحمد لله علي كل شيء وطبعاً كلنا مؤمنين بقضاء ربنا.

- أكيد يابني كلنا مؤمنين

يستجمع يوسف قواه من جديد ليخبرهم عما قاله له الطبيب ...
حاله من البكاء تصيب الجميع ....لم يتمالك أي منهم نفسه من شدة البكاء ....

انهارت الأعصاب على وجع الأحباب مخلفة آلاماً تهز الجبال .....
صمت رهيب يملأ غرفة الصالون بعد تلك الحالة التي أصابتهم ..... يستجمع والد يوسف قواه ليقول:
- الحمد لله يارب ...الحمد لله ....طب يابني الدكتور صحبك قالك إيه؟
- قالي بكرا تيجي المستشفى لازم أكون تحت الملاحظة ونبتدي العلاج بدري.
- ليه يابني كدا ...إشمعني أنت؟ قالتها والدته وهي تبكي وتحتضنه.
- لا يا أمي استغفري ربنا ...كل حاجة من عنده خير والله ولحكمة لا يعلمها إلا هو – سبحانه - النبي بيقول في حديث " عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له " أو كما قال الحبيب.
ماينفعش يا حبيبتي نعترض على أمره إنما الصبر عند الصدمة الأولى.
- طب يا يوسف ...بكرا إن شاء الله هكون معاك.
قالها أحمد بعد أن استجمع قواه ...فهو الصديق والأخ بالنسبة لأحمد
- مالكم ياجماعة مكبرين الموضوع أوي كدا؟ ..... بكرا هروح لوحدي ومعايا سندوتشاتي ومصروفي وأروح لوحدي ..
قالها يوسف ممازحاً قاصداً تخفيف ما أصابهم ... تلاحظ سديم ذلك الألم الذي يملأ قلب يوسف لتقول:
- هتفضل زي ما انت مش هتتغير تخفف وجعنا ومابتلاقيش اللي يخفف وجعك ...
تبكي سديم وهي بين أحضان أخيها وتقبل يده مما أثار عاطفة من حوله ليعود البكاء من جديد ...
- خلاص بقي ياسديم ...الحمد لله أحمد شافعي طمني وقالي المرض في أوله و نقدر نلحقه عشان كدا الحمد لله مطمن ..
- الحمد لله .... قالها والد يوسف.

دخل يوسف غرفته والكثير من الأمور تشغل باله ...فلقد تخطى أول عقبة وهي أهله وحمد الله أنه ربط على قلوبهم إلى الآن ....يفكر الآن في مريم وكيف سيخبرها وماذا سيحل بها بعد أن يخبرها؟ .....
يقف يوسف بين يدي ربه ليناجيه قائلاً:
- يارب والله إني راضٍ بحكمك وقضائك...إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ...اللهم اجعل مرضي تخفيفاً لذنوبي ...طهرني من خطايا يارب ...اللهم أشهدك أني راضٍ علي حكمك وقدرك ..يا حبيبي أعلم أنها ترقية ورفع للدرجات ...يا إلهي كل محنة بعدها منحة فامنحني الصبر عليها يارب ...اللهم أُرزقني صبراً وغني نفس ورضا يتعجبُ منه عبادك يارب ...احفظ مريم يارب وارزقها بمن يجعلها أسعد عبادك ....ارزقها بأفضل مني .....
تسقط دمعاته على سجادته ....تذكر يوسف حلم الله عليه وعطائه ....لم يترك للشيطان باباً ...أنهى يوسف صلاته وبعدها خلد إلي نومٍ عميق .....

وفي صباح اليوم التالي ....يستعد يوسف للذهاب إلى المشفى كما نصحه صديقه الدكتور أحمد ...يجلس يوسف مع والده وأحمد في غرفة الصالون بينما تقوم والدته وسديم بتجهيز أغراضه:
- حد من نسايبك عرف يابني؟

- لا يابابا لسه ماقولتلهمش ....هشوف موضوع المستشفى وأكيد هبلغهم والموضوع يخلص.
- اصبر بس يايوسف ماتقولش كدا ولا تكسر بقلب حد ...أكيد مريم مش هتتخلى عنك.
- أنا واثق من كدا يا أحمد بس مش عاوز أربطها معايا ....و أنا يابابا بعد إذنك هخلي المهندس محمد يتولى أمور الشركة عقبال ما أرجع.
- ماتشغلش نفسك بالشغل وخلينا نركز دلوقتي في موضوع المستشفي ....صحتك أهم دلوقتي.
- الله المستعان ....هوصل بس يابابا مشوار قبل المستشفي وهاجي على طول.
- مشوار إيه يابني ؟
- هبقى أقول لحضرتك أما أرجع.
- أجي معاك طيب.
- لا يا أحمد خليك هنا جزاك الله خير.

---

يجلس يوسف في غرفة الصالون بعد أن اتصل بوالد مريم طالباً منه أن يقابله خارج المنزل ولكن مع إصرار والد مريم وافق يوسف على المجيء ....
تلك الغرفة التي شهدت تلك النبتة التي ترعرعت في قلب يوسف ...هل سينزعها من جدارنها لتنبت في قلب شخص آخر:
- معلش ياعمي بتقل عليكم.
- ليه يابني ماتقولش كدا ...ده بيتك في أي وقت ...لحظات قليلة وبعدها تدخل مريم حاملة في يديها العصير لتضعه على الطاولة ...لم يستطع يوسف النظر إليها مثل كل مرة .....حتى إنها لاحظت شيئاً غريباً عليه .....تجلس مريم بجوار والدها ليبدأ والدها بالحديث إلى يوسف حتى نظر إليه ...لم تكن عينا يوسف ترى إلا مريم...
يقف الزمن عند تلك اللحظة تمنى يوسف أن يبكي بين ذراعيها ....لا يدري ماذا يقول؟ ...فقط هو يفكر بها قبل نفسه ...يحبها بل يعشقها ومن أجل ذلك سيتركها لتسعد مع غيره ...صراع بداخله يريد البوح ولكن بماذا؟ ...شرد يوسف قليلاً ثم عاود النظر إلى عينيها ليقول في نفسه:
- سأجعل من روحي خاتماً أنقش عليه لاسمك ...سأجعل من دموعي عطراً وأنثره على كتفك ..سأجعل من عينيَّ بيتاً لأخبئ فيهما قلبك ...مهما ابتعدتِ أو غبتِ ...سأظل أقول لك: إنني أحبك.
تمنى يوسف أن لو تسمع مريم كلماته ...
- عمي ممكن نقعد على انفراد بعد إذنك؟ ....
تفاجأت مريم من طلب يوسف لتشعر بالخجل ...لحظات قليلة حتى خرجت مريم:
- خير يابني قلقتني.
- خير ياعمي إن شاء الله ...إمبارح روحت عملت التحاليل و .......
أكمل يوسف حديثه موضحاً الأمر بالكامل لوالد مريم ....تشق دمعات والد مريم طريقها نحو خدّيه مما سمعه من يوسف ليكمل يوسف قائلاً:
- سامحني ياعمي على اللي هقوله بس أنا عمري ماحبيت غير مريم ....يمكن من قبل ماتسافروا وسعادتي إني أشوفها سعيدة حتى لو مع غيري ...أنا ياعمي مش هحكم عليها ترتبط بواحد مصيره بين إيد ربنا وتقتل شبابها بالسهولة ديه ....هي تستاهل أحسن مني ...حضرتك لو أمكن بعد ما أمشى تقولها

يوسف كان جاي يقول كل شيء قسمة ونصيب قولها ماقلش السبب ...بالله ياعمي أنا مش عاوزها تعرف أنا تعبان بإيه نهاائي.
- بس يابني كدا....
قاطعه يوسف قائلاً:
- أنا استخرت ياعمي وده الأنسب ليا وليها.
ومع كل كلمة أخرجها يوسف من فمه كان قلبه يتمزق عشرات المرات ...حان وقت الفُراق بعد الاشتياق أنهى يوسف زيارته لتهرول مريم نحو أبيها والفضول ينال منها ما نال.
- ها يابابا ...يوسف كان عاوز حضرتك في إيه؟
يصمت الأب ولا يدري بماذا يجيب علي ابنته وهو يراها قد تعلقت بيوسف ..ولكن هذا هو الواقع ...فجمع مابقيَ من قوته ليقول:
- جاي يابنتي يقولي إن كل شيء قسمة ونصيب وربنا يكرمك بالأحسن منه ..

## الفصل الرابع والأربعون
## (مِحنة وبعدها مِنحة )

لم تصدق مريم ماسمعته من والدها ...
- بابا حضرتك بتهزر معايا صح ؟...بابا يوسف استحالة يقول كدا.
ترتمي مريم في أحضان والدها تبكي علّها تجد مأوى لها بعد أن عصفت بها رياح الفراق ...
- هو مش عارف إن حرام عليه يلعب بقلوب الناس ....وعاملنا شيخ وقال الله وقال الرسول ....

قالتها والدة مريم وهي تحتضن ابنتها.
- بس اسكتي إيه اللي بتقوليه ده ...إوعي أسمع منك الكلام ده تاني لاحسن حسابي هيكون معاكي صعب.
قالها والد مريم بنبرة غضب.......لا أحد يعرف مافعله يوسف إلا والدها ....ضَحّي بحبه من أجل سعادة من يحب ....ولولا ذلك العهد الذي قطعه والد مريم على عدم البوح لتبدلت الأحوال ....

دلفت مريم غرفتها لترتمي على سريها لاتدري ماذا تفعل أو ماذا تقول؟ ....فعقلها توقف عن التفكير ...لماذا يايوسف لماذا؟ ...هكذا قالتها في نفسها بعد أن شقت دمعاتها طريقها نحو النزول؟.

---

بعد مرور يومين وفي المشفى.
- نظام العلاج إن شاء الله هيكون على جلسات كل فترة عشان نقدر نحاصر المرض قبل ما ينتشر.

قالها الدكتور أحمد صديق يوسف موضحاً الأمر لوالد يوسف وأحمد.
- طيب يادكتور ممكن نسافر بره لو أفضل ليه.
- صدقني ياباشمهندس مافيش فرق....ولو حالة الشيخ يوسف تستدعي السفر كنت هبلغ حضرتك ....إن شاء الله مع الدعاء والتيسير ربنا يجعلنا سبب في شفاؤه .....إن شاء الله هنعمله تحاليل النهاردة بزل نخاع و صورة دم والله المستعان ......

تجلس سديم ووالدتها بجانب يوسف في الغرفة التي خُصصت له في المشفى.
- جبتي الكتب اللي قولتلك عليها ياسديم؟
- أه يايوسف ....شيلتهم في الدولاب.
- جزاكِ الله خير ياحبيبتي
تقترب سديم من أخيها لتقبل رأسه....تبكي وتقول:
ربنا يتم شفائك على خير يايوسف.
- ليه بتعيطي دلوقتي ....يابنتي ده ابتلاء واختبار يعني مغفرة للذنب وترقية و في نفس الوقت رفع درجات وبعدين ده وعد ربنا للصابرين مش ربنا قال " ولنبلونكم بشىء من الخوف و الجوع ...." وعدد الاختبار بس بعدها جت آية البشري ..مش من النبي لا لا ده من رب النبي - سبحانه وتعالى - " وبشر الصابرين " فالحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون.
- ربنا يقوي إيمانك يابني ....
قالتها والدته وهي تمسح دمعاتٍ شقت طريقها نحو وجنتيها ....لحظات قليلة ويدخل أحمد الغرفة.
- شيخنا أخباره إيه دلوقتي؟ قالها أحمد محاولاً التخفيف عن يوسف.
- الحمد لله ....أمال بابا فين؟
- بيشوف الحسابات وكدا.
- ابقى هات اللاب معاك لو القاعدة هطول هنا أغلبك زي كل مرة.
- تغلب مين بس ....أنا كنت بسيبك تغلبني عشان ترضى تجوزني أختك.

تتعالي ضحكات يوسف ...الكل ينظر إليه بشفقة ...أصبح يملك قلب من يراه ...كأن الله ألقى عليه محبة منه ليحبه كل من يراه .....
طرقات على باب الغرفة.
- من فضلكم ياجماعة الزيارة انتهت قالتها الممرضة .....أصّر أحمد على المبيت مع يوسف ولكن إصرار يوسف أن يكون بمفرده أكبر .......ذهب الجميع تاركين يوسف بمفرده في غرفته.

------------------------------------------------------------------------

- تعالى يابني باتوا عندنا النهاردة.

– معلش ياعمي ...أمي تعبانة ولازم أروحلها، سديم هتروح مع حضرتك.
- لا يابنتي خليكي مع جوزك عشان حماتك تعبانة، قالتها والدة يوسف.

- جزاكِ الله خير يا أمي.
قالها أحمد ثم قبل يد والدة يوسف ....فهو بمثابة ابنها الثاني بعد يوسف ....

يسند يوسف ظهره على سريره في غرفته الجديدة بعد أن أحضر دفتره وقلمه ...فدائماً يحب التعبير عما بقلبه بقلمه .....يفكر بها نعم يفكر بها وكيف ينساها وهي مُراده؟ طالما أخذت من تفكيره ما أخذت ...تُرى يارب ماهي حكمتك في ذلك الأمر هكذا حدث يوسف نفسه؟ ....يمسك قلمه ولا يعرف ماذا يكتب؟
....يرى صورتها على دفتره ...يترك العنان لقلمه ليعبر عما في قلبه ليسطر مشاعره في دفتره الصغير فيكتب لها:
- أعشقك وعشقي يجعلني مجنوناً بكِ ، نعم أغار و أُخبئ غيرتي قدر الإمكان، أغار من ماضيك وأغار من آتيكِ وأغار من كل من يراكِ ، لا تلوميني فأنا أُحبك ولحبك أعيش فتلك غيرة رجل مسلم يغار على عرضه، تركتك من أجل إرضاء ربي وسعادتك، أعترف أنك قد بلغتِ مكانة عالية في قلبي..وهذا ربما أغضب ربي مني، فهو يغار ويحق له أن يغار، كيف بالعبد أن يحب غير مولاه؟!، نعم ياصغيرتي هو الإله والسيد والمولى وكل شيء ...
تراجعت في خطواتي ...وأعدت ترتيب حساباتي ...وثقة في ربي أن يجمع بين الشتاتِ ...أذكرك دوماً في صلاتي ...وذكري ومناجاتي ...أدعو لك أكثر مما أدعو لنفسي .. وكيف أدعو لغيرك وأنتِ عندي نفسي؟....
توقف قلم يوسف عن الكتابة ...يكفي ما يشعر به من وجع و ألم ولكنه يثق أن الله سيجعل بعد المِحنة مِنحة.

---

مر اليوم الثالث وهي على نفس الحال تجلس معهم على مائدة الطعام ولكن قلبها وعقلها بمكان آخر تُوهم نفسها أنها تأكل ولكن هي لم تستطع أن تنساه وكيف تنساه وهو من امتلك قلبها؟ ...لاحظ الجميع تدهور حالتها الصحية ولكن كل من يتحدث معها تكفى أن تقول له " أنا بخير الحمد لله".
دائماً نردد تلك الكلمات حتى بلغت أوجاعنا عنان السماء....
تدخل غرفتها التي طالما كانت لها مأوي لأسرارها ...تبوح لجدران غرفتها عن أوجاعها ...ألقت بجسدها الهذيل على سريرها وهي تضمُّ وسادتها إليها، نحيب تكتمه بداخل وسادتها لا تملك سوى البكاء لم تجد سوى صلاتها لتخفف عنها ذلك العبء المتثاقل ...أنهت صلاتها بعد أن دعت ربها أن يجعل من المِحنة مِنحة ...

تجلس مريم على مكتبها تخرج دبلتها من أحد أدراج مكتبها فهى كل ما تبقي من يوسف ...لم يطلب يوسف أن يأخذ شيئاً منها بل تركه لها .....لم تتحمل أكثر فضمتها إليها وقبلتها ودمعاتها تنهال منها كأنها ماء من شلالٍ مُنهمر ...أمسكت قلمها ودفترها ثم تركت العنان لقلبها هو من يُمليها ما تكتب.
- ليتك تقرأ أفكاري لتعلم ما أود إخبارك به؟...أنا الضعيفة بدونك ...ياليت الموت يسرقني في البعاد...إن تمسكت بي بذراع تمسكت بك بالاثنتين ولو لم أرَ حصاداً ، لايعلمون أن القلب ينبض باسمك فكيف يطلبون الرحيل بعناء؟!، إن أصررت على الرحيل فمرحباً إذاً بالحداد، ألم يخطر ببالك أن الحياة بدونك تطلب استنجاداً؟ ، فتعلم أني لن أُحيد عن طريقك وإن فعلت فياله من إجهاد! ....
قاطعها في تلك اللحظة رنين هاتفها لتزداد دهشتها فور معرفتها بالمتصل....

# الفصل الخامس والأربعون

## ( القلب يتألم لألمك )

تمسك مريم هاتفها وترددت ما بين أن تُجيب أم تترك الهاتف؟ ....سرعان ما اتخذت القرار فهي صديقتها قبل كل شيء.

- السلام عليكم، قالتها مريم بصوت حانق يكاد يُسمع.
- وعليكم السلام إزيك يامريم؟، قالتها سديم ونبرات الحزن والأسى تظهر عليها.

ظنت مريم من نبرات صوتها أن علمت بأمرها و اتصلت بها لتواسيها.

- أخبارك يامريم؟
- الحمد لله على كل شيء ...كل اللي يجيبه ربنا كويس.

ظنت سديم هي الأخرى أن مريم علمت بأمر يوسف وما أصابه فبكت وقالت:

- فعلا كل اللي يجيبه ربنا كويس....ادعيله بكرة أول جلسة ليه.

تفاجأت مريم لتقول متعجبة:

- أدعيله !! ....هو مين اللي أدعيله؟ ...وبعدين جلسة إيه؟
- يوسف يامريم بكرة أول جلسة ليه في الكيماوي ....

قالتها سديم وهي لا تدري أن مريم لا تعلم أي شيء ...قالتها وكأنها رمت بمريم من على قمة الجبل.

- يوسف ......وكيماوي .....ليه ياسديم يوسف ماله؟ ..ماله؟

قالتها مريم بصراخ مدوٍّ لفت انتباه الجميع

- أنا أفتكرت إنك عارفة إن يوسف جاله كانسر في الدم ..

لم تتحمل مريم الخبر لتخونها قدماها فأغشي عليها على الفور ...سمعت سديم صوت ارتطام جسد مريم بالأرض وهي ما زالت على الهاتف ...

يدخل صهيب ووالديه مسرعين نحو مريم ...

- مريم ....مريم لاحول ولا قوة إلا بالله.

قالها الوالد بعد أن أُصيب بحالة من الفزع على ابنته ليحملها وينقلها إلى سريرها.

- بنتي ....بنتي .....بنتي مالها يا عبد الله.

سمعت سديم كل ماحدث فأغلقت الهاتف وعاودت الاتصال.

- السلام عليكم أنا سديم ياطنط ...مريم مالها؟
- والله يابنتي معرفش سمعنا صراخها وأغمى عليها وأبوها اتصل بالدكتور وجاي.
- ياربي على غبائي ...والله ياطنط افتكرتها عارفة.
- عارفة إيه يابنتي ...إيه حصل؟

أخبرت سديم ماحدث لوالدة مريم وما أصاب يوسف ...

بكت والدة مريم لما سمعته ...بكت على ما أصاب يوسف وابنتها ....بكت لظلمها إياه....بكت لأنها ظنت أنه يتلاعب بقلب ابنتها....فهي علمت الآن أنه ضحَّى من أجل سعادة ابنتها .....

دقائق معدودة ليصل صهيب ومعه الطبيب ...وبعد الكشف

للأسف يا أستاذ عبدالله بنتك اتعرضت لصدمة عصبية حادة ولازم ننقلها المستشفى دلوقتي.
شعر والد مريم أنه مُهدد بفقدان غاليته الوحيدة ...
- ياحبيبتي يابنتي قالتها والدتها وهي تجلس بجانبها على سريها تقبل رأسها.

---------------------------------------------------------------

يدخل يوسف الغرفة المخصصة لتلقي أولى جلسات الكيماوي التي أقرها الطبيب له.
يبدأ الطبيب بتجهيز يوسف لجرعة الكيماوي ...شعر يوسف بشيء غريب في قلبه لا يعرف ما هو؟
...كأن قلبه يخبره أن شيئاً ما أصاب مريم ....يا إلهي لاتُرني فيها شيئاً يُؤلمني.
بدأ الطبيب بتفعيل العلاج ...لحظات قليلة لترتفع صرخات يوسف إلى عنان الغرفة ...تعجب من حوله وكأنهم يقولون ياله من شيخ صغير ولكن لا أحد يعلم مايشعر به يوسف.
رغم أن الكيماوي يسري في عروقه كحمم البركان التي تذيب الصخور ومع كل هذا فهو يصرخ ويبكي على ما مضى من حياته وهو يتجرأ على الله ويعصيه ...
زرفت عينا يوسف بالدمع ...بكى وبكى وبكى على كل ذنب كان يفعله فيما مضى ...يتألم ومع ألمه يدعو الله في نفسه ويقول:
- يارب ماأعظم حلمك عليَّ!...ما أكرمك عليَّ! ...طهرني من ذنوبي ....خذ بيدي إلى شاطئ الرحمات.

انتهت الجلسة ومعها انتهى يوسف لايدري من حوله؟، من بجانبه؟، من يسانده؟، فقط أخلد إلى نوم عميق بعد أن نُقل إلى غرفته وهو يشعر بألم شديد ...

---------------------------------------------------------------

مر أسبوع ومريم على نفس حالتها ...فقط تلك المحاليل المعلقة في يديها هي من تعوض فقدانها للأكل ...انطفأ نورها الذي كان يُضيئ قلب والديها ....ذُبُلت الزهرة التي ترعرعت وسط بساتين الأمل ...
ينظر صهيب إليها ويمسك بيدها ويقبلها ليقول:
- حبيبتي ....طب ردي عليا أنا صهيب أخوكي حبيبك، ويبكي صهيب على ما أصاب شقيقته.
فقط تكتفي بالنظر إليهم وتسقط دمعاتها فقط.
- أبلة مريم ....مش قولتي هجبلك بونبوني ....وعمو يوسف قالي كدا بردو.
قالها آسر وهو ينظر إلى مريم لتنتبه الأخرى إلى تلك الكلمة حتي صدرت تلك الصرخة المدوية من أعماق قلبها لتهُز أركان الغرفة ....ابتعد آسر من شدة الخوف ...هرول صهيب نحوها...أسرع والدها في استدعاء الطبيب ....تقف والدتها مكانها لا تستطيع الحركة من شدة بكائها.
- وديني ليه ياصهيب ....أطمن عليه بس ....طيب هو بخير؟ ...
قالتها مريم بصوت خافت يكاد يُسمع من شدة ضعفها .. كانت تلك أولى كلماتها تنطقها منذ أن احتجزت في المشفى ....يدخل الطبيب ومعه الممرضة ...لتأخذها الممرضة من بين ذراعي أخيها....تعطيها مُهدئاً

سريع المفعول ...تنهار قوي مريم تدريجياً وهي تُتمتم بلسان ثقيل وتقول:
- عاوزة أشوفه يابابا.

---

اعتاد يوسف ألم جلسات الكيماوي ...هاهي الجلسة الثالثة في أقل من عشرين يوماً...
يشعر يوسف أن الله يطهره من خطاياه.
- طمني يادكتور في تحسن في حالة يوسف؟ ....
قالها والده متمنياً أن يقول الطبيب ما يُهدئ روعه.
- إن شاء الله يابشمهندس ...هيبان إن شاء الله كمان أسبوع يعني على الجلسة الرابعة.
رجع والد يوسف إلى الغرفة ليطمئن على ابنه ...بينما ظل أحمد مع الطبيب.
- دكتور بعد إذنك ...أنا أكتر من أخوه ...صارحني في تحسن؟
لحظات قليلة ثم قال الطبيب:
- مش هكدب عليك ياشيخ أحمد ....صفايح الدم عنده ناقصة بشكل ملحوظ ....الحمد لله إحنا حاصرنا الفيروس بس هو ضعيف جداً
- طب خدوا دم مني خدو عينة من نخاعي يمكن تطابق.
- ده هيتحدد الجلسة الجاية لو النسبة زادت لا قدر الله.

جلس أحمد يبكي على حال يوسف ليقول:
- اللهم إنه لا يُعجزك شيء ....ربي كما شفيت نبيك أيوب اشفه يارب العالمين

---

## الفصل السادس والأربعون
## ( إن مع العُسر يُسراً )

يسقط شعره بفعل الكيماوي ...خفّت لحيته فلم تعد على ما كانت عليه من قبل ...أصبحت عروقه خضراء مائلة للزُرقة ، رق عظمه ...أصبح كشيخ هذيل ...
- يوسف جيالك زيارة؟ قالها أحمد بعد أن دخل الغرفة ....يعتدل أحمد في جلسته بصعوبة بالغة ليتفاجأ بمجموعة من المشايخ والدعاة إلى الله في زيارته .....غمرت السعادة قلب يوسف ، نسيَ آلامه وأوجاعه ....فقط النظر إلى الصالحين يزيد الأيمان في القلب.
- لابأس طهور ياشيخ يوسف، قالها الشيخ وليد.
- جزاك الله خير يامولانا ...ليه التعب ده كله بس؟
الله يسامحك ....عاوز تحرمني من الأجر وبعدين إنت عارف إن الله قال في حديثه القدسي:

" عبدي، مرضت فلم تعدني ...قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ ....قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض لو عدته لوجدتني عنده " ثم تابع الشيخ وليد حديثه عن قدرة الله أن الله يبتلي العبد على قدر إيمانه ليرفع درجاته ويُبلغه مكانة لا يستطيع بلوغها بأعماله .تأثر يوسف من كلام الشيخ وليد ....ليزداد

يقينه بربه.
- إنت بقي خليك مداوم على الاستغفار والصلاة عالنبي بنية ربنا يشفيك ويرفع عنك البلاء ..وصدقة بسيطة  وشربة عسل وحبة البركة كل ده وصّانا بيه النبي – صلى الله عليه وسلم -.
تعمد الشيخ وليد أن يربط قلب يوسف بالله ...فقط يُذكّره؛ لأن الشيطان يحدث الإنسان ويجعله يقنط من رحمة الله ...
انتهت الزيارة بعد أن قام الشيخ وليد بالرقية الشرعية ليوسف والدعاء له.

------------------------------------------------------------------

بدأت في إستعادة جزء من عافيتها بعد أن أقر الطبيب خروجها من المشفى ....مرت قرابة عشرين يوماً وهي بالمشفى لا تتكلم مع أحد فقط تبكي حتى جفت دموعها ...لم تعد تلك الوردة التي ترعرت في بيت أبيها ......مازالت تفكر به وكيف تنساه؟ .
- بابا حضرتك وعدتني أما أبقي كويسة هنروح نطمن عليه.
- حاضر يابنتي.

تنظر مريم إلى والدها نظرة رجاء

تبدلت أحوال يوسف بعد زيارة المشايخ له ...جلست أسرته بجانبه ويضحك يوسف على مزاح أحمد ...تحسن حالة يوسف المعنوية فلم يعد يبالي للمرض فقط ترك كل شيء لله .
طرقات على باب الغرفة ثم سمح والد يوسف بالدخول ظناً منه أنها إحدى الممرضات ...
تفاجأ الجميع من هول المنظر ...إنها مريم ووالدها وأخوها يسندانها ......تمشي بخطوات بطيئة من شدة آلامها فهي لم تتعافي بعد ومن خلفها تمشي والدتها وآسر ...
أسرعت سديم تجاه مريم لتأخذ بيدها.
- ألف سلامة عليكي ياحبيبتي.   قالتها سديم.
يسرع أحمد في جلب ذلك الكرسي لتستريح مريم عليه.
- ألف سلامة يابشمهندس ...معلش والله كنا مشغولين مع مريم في المستشفى، قالها والد مريم.
-  الله يسلمك يا أستاذ عبدالله     ....ألف سلامة مالها مريم؟
تجلس والدة مريم بجانب والدة يوسف لتقص ما قد حدث.
لم يشعر يوسف بأي شئ حوله ...هو لم يصدق بعد أنها أتت لزيارته ...نعم هي الآن بجانبه ...تجلس على ذلك الكرسي تنظر إليه، يري دمعاتها تتسلل من بين جفونها من خلف نقابها تمنى لو كانت يده منديلاً يكفف دمعاتها، أحبك يامريم ...هكذا قالها يوسف بعينيه.
- لابأس طهور ياشيخ يوسف.
- الله يسلمك ياحبيبي وحشتني ياصهيب.
- وإنت أكتر.
- سلامتك يابني
- الله يسلمك ياعمي ينظر يوسف إلى مريم مرة أخرى لتلتقي عيناه بعينيها ......يود البوح عما بقلبه ...تمني لو يقبل يدها ويقول:
- أقسم لك أني أحبك ولم أتخلَّ عنك ولكني أريدك سعيدة ....

تبادله مريم نفس النظرات الحميمة التي تحمل معها الكثير من المعاني مع معاتبة له على مافعل لتقول في نفسها :
- ليتك تقرأ أفكاري لتعلم ما أود إخبارك به.....أنا الضعيفة بدونك ...ياليت الموت يسرقني في البعاد ...إن تمسكت بي بذراع تمسكت بك بالاثنتين ولو لم أرَ حصاداً ...لا يعلمون أن القلب ينبض باسمك فكيف يطلبون الرحيل؟ فمرحباً إذا بالحداد ... فلتعلم أني لن أحيد عن طريقك وإن فعلت فياله من إجهادٍ ...تمنت لو يسمع ماقالت.
نسي يوسف مرضه وألمه ومن حوله فقط هو وهي في عالم آخر ....
انتهت الزيارة وودع كل منهما الآخر والقلب مكلوم لا يهدأ له بال.

## الفصل السابع والأربعون

## ( قد تعاهدنا علي السير معاً )

دخلت مريم غرفتها لتستريح بعد أن ازدادت ألما على يوسف ....لم تنسى شكل يوسف الذي قد تبدل حاله بفعل مرضه ...فهي لم تعد تملك له أي شيء غير الدعاء ...قطعت على نفسها عهداً أن تُصلي لله كل يوم ركعتين في جوف الليل، تُخرج صدقة بنية الشفاء، الإكثار من الاستغفار لتفريج الهم بنية شفاء يوسف ... مر قرابة الشهرين على مرض يوسف.....تعوده مريم مرة واحدة كل أسبوع ....نَسيت مريم أنه تركها من أجل سعادتها ولكن هي تعلم أن سعادتها معه هو ....
تصل مريم إلى بيتها بعد أن انتهى يوسف من تلقيه جرعة أخرى من الكيماوي ....فهي تتعمد أن تكون زيارتها يوم تلقيه جلسة الكيماوي حتى تشاركه آلامه، تخفف عنه أحزانه، تلتقي عينه بعينها فينسى مايشعر به من ألم كأن عينيها دواء لدائه ...
دخلت مريم غرفتها والحيرة تملأ رأسها ...فهي تريد أن تكون أقرب ليوسف في وقتٍ مثل هذا ، تمسك بيده، تمسح ما يتصبب من عرقه، تريد شيئاً واحداً ولكن من الصعب أن يقبل به عقل إنسان فقامت وتوضأت لتستخير ربها فهي لاتملك سوى أن تستخيره في كل شيء ..
وفي اليوم التالي ..
يجلس الوالد في مكتبه يتناول فنجان من القهوة ...طرقات على باب مكتبه.
- اتفضل .......تعالي يامريم في حاجة؟
خطوات هادئة نحو أبيها ثم قالت:
- اه يابابا ......كنت عاوزة حضرتك في موضوع.
- خير يابنتي؟
تعتدل مريم في جلستها أمام أبيها ثم تقول:
- يمكن يابابا الموضوع حساس شوية بس أنا فكرت واستخرت ....بابا أنا عاوزة أتجوز يوسف ...

ينظر إليها الوالد متعجباً ثم تابعت حديثها:
ماتستغربش يابابا من فضلك لازم يابابا أُقف معاه في محنته ....يمكن حضرتك أول مرة تسمع مني كدا بس أنا يابابا قلبي بيتقطع.
قالتها مريم وهي تبكي بكاء ينفطر منه القلب.

يابابا أنا بحس إني بتقطع عشانه .....نفسي أمسك أيده وهو بيتألم أخفف عنه ...هو لسه أجنبي يابابا بالنسبالي وحضرتك مربيني عالصح كويس مش عاوزة أغضب ربنا ولا حضرتك ...أرجوك يابابا افهمني ....مش هنكر إني حبيته ومش شايفه غيره بالله عليك ياباب ساعدني أنا بموت وأنا بعيدة عنه ...
ترتمي مريم بين أحضان أبيها علها تجد ما يُهدئ من روعها ...يربت والدها على كتفها ماسحاً على رأسها ليهدئها ويطمئنها.
- أوعدك إني عمري ما هكسر قلبك ....بس سيبيني أفكر وأستخير؛ لأن الموضوع صعب وإنتى عارفة.
- حاضر يابابا.
قالتها مريم وثقتها بربها فوق كل شيء ...
في تلك الأثناء كانت حالة يوسف في تحسن يوماً بعد يوم.
- الحمد لله الحالة في تحسن ملحوظ و النسبة بتقل بشكل ملحوظ.
قالها الطبيب وهو يمسك أوراق تحاليل يوسف الأخيرة.
- الحمد لله يادكتور هذا فضل الله وحده ...قالها يوسف.
- لا وكمان يادكتور اللي بتجيله زيارة كل أسبوع من حد غالي عليه بتفرق معاه.
قالها أحمد بمزاح ....نظر إليه يوسف نظرة لوم وأتبعها بغرس ثنايا العليا باطن شفتيه معرباً عن خجله أمام الطبيب.
- ربنا يسعده يارب ....إحنا هنعمل التحاليل تاني وأن شاء الله لو طلعت كويسة مش هنحتاج لكيماوي تاني.
- بجد يادكتور؟ ...الحمد لله يارب ..
قالها والد يوسف والسعادة تغمر قلبه .....في تلك الأثناء طرقات على باب الغرفة ليدخل بعدها والد مريم ....ينظر يوسف نحو الباب يترقب دخول مريم ولكنها لم تأتي.
يجلس والد مريم بجانب يوسف ليبدأ الحديث:
- ربنا يابني يجعل تعبك كله في ميزان حسناتك.
- آمين يارب، ياعمي.
- الحمد لله يا أستاذ عبدالله الدكتور طمنا دلوقتي وقال إن حالة يوسف في تحسن والنسبة الحمد لله بتقل بشكل ملحوظ وإن شاء الله هيوقف الكيماوي إن شاء الله.
قالها والد يوسف:
- ماشاء الله الله أكبر ....والله بُشرى من ربنا.
قالها والد مريم وهو يشعر بسعادة مُفرطة:
- الحمد لله هذا فضله وكرمه.
- حيث كدا بقى يابشمهندس كنت جايلك في موضوع.
- اتفضل يا أستاذ عبدالله تحت أمرك.
- دلوقتي يابشمهندس يوسف في بداية الأمر جه وقالي على الموضوع و تعبه وقالي إن مريم تستاهل أحسن منه والنبي - صلى الله عليه وسلم – قال: إذا جاءكم مَن ترضونه دينه وخُلقه فزوجوه ...وأنا مش هلاقي حد يصون بنتي غير يوسف ...أنا احترمته جدا وزادت غلاوته ومحبته أما جه صارحني وإنه هيسيبها عشان التعب اللي جاله ...بس أنا أحب أقولك يا يوسف يابني إنك غالي عندنا أوي وزيك زي صهيب ابني ...عشان كدا يابني أنا جاي اتفق مع والدك إمتي نحدد كتب الكتاب ...ومراعاة للظروف

هتبقى حاجة بسيطة وإن شاء الله أما تقوم بالسلامة نبقي نعمل إشهار.
تفاجأ يوسف مما سمعه للتو ....لم يتفاجأ يوسف وحده بل والده وأحمد أيضاً ...أحقا ياربي سوف تُكرمني بها؟ قالها يوسف في نفسه.
- طيب ياعمي رأي مريم إيه؟
- مريم يابني هي اللي فتحت معايا الموضوع من يومين ...أنا مفروض ماقولش حاجة زي كدا بس إحنا عيلة واحدة وهي عايزة تقف جنبك ...
تعلو الابتسامة شفتي يوسف لتجعل وجهه مُضيئاً كليلة اكتمل فيها القمر ....احتضنه أحمد بشدة وقال:
- مبروك يايوسف ....كرم ربنا عليك ياحبيبي.
- الحمد لله .....الحمد لله، هكذا رددها يوسف.
- والله يا أستاذ عبدالله أنا مش عارف أقولك إيه؟ ....بس الناس الأصيلة بتبان وقت الشدة.
- ربنا يكرم أصلك ياباشمهندس.....يوسف ابن حلال ويستاهل كل خير.
اسعَ لإرضاء خالقك فإن رضي أدهشك بعطائه.
علمت الأسرتان بأمر تحسن حالة يوسف وأمر الزواج لتغمر الفرحة قلوب أنهكها الحزن والألم.

وفي اليوم المحدد.

تم عقد النكاح ( الزواج) في المشفى نظراً لظروف يوسف الصحية فالطبيب لم يأذن بعد بالخروج.
...عمت السعادة أنحاء الغرفة ...بل أنحاء المشفى بالكامل ....يدخل الطبيب ومعه الطاقم المخصص على الإشراف على حالة يوسف ليهنئوه....
هدأت الأجواء قليلاً بعدها نظر يوسف إلى أحمد مشيراُ إليه برأسه .....لحظات ليدخل أحمد حاملاً معه كعكة خاصة بتلك المناسبة ...فكانت المفاجأة لمريم بعدما رأت ماكتب عليها " قد تعاهدنا على السير معاً"

قام العروسان بتقطيع الكعكة ثم تولى أحمد وسديم توزيعها.

يجلس يوسف ومريم في زاوية من الغرفة تبعد قليلاً عن الأهل ...فقد طال البعاد ومعه زاد الاشتياق من بعد أن قُدر لنا الافتراق ....
- مبروك ياشيخ يوسف.
- الله يبارك فيك ياصهيب عقبالك.
- ربنا يبارك فيك يارب ...ماتتصورش أنا فرحان قد إيه ...والله أنا بحبك أوي ....مبروك يامريم ربنا يسعدك يا أغلى حاجة عندي.
- الله يبارك فيك ياحبيبي وإنت كمان غالي عندي أوي.
ينظر يوسف إلى محبتها لأخيها ويزداد تعلقه بها ....جلسا سويا ينظران إلى تلك الفرحة التي أصابت الأهل ...فالكل يشعر بسعادة مفرطة ...
جلس يوسف أمامها حيث أعطت هي ظهرها لهم يبدأ يوسف بالحديث قائلاً:
- أنا لحد دلوقتي مش مصدق نفسي.
- ولا أنا ....ليه يا يوسف عملت كدا؟ ...ليه كنت عاوز تبعدني عنك؟.
- عشان ماحكمش عليكي بالموت مع واحد زيي.
- يوسف من فضلك خلي أملك بربنا كبير ....وبعدين الدكتور طمنا كلنا والحمد لله عندي ثقة إنك هتخف -

إن شاء الله -.
- اللهم آمين ....يقيني بالله أكبر مما تتصوري والدليل إنك مراتي دلوقتي ... كنت بدعيه في قيامي وسجودي وأقوله أنا سيبتها لإرضائك أرني جودك يارب.
إنتى بالنسبالي الهوا اللي بتنفسه ...شمس بتنور طريقي ...إنتى وبس يامريم.
- توعدني إنك تكون معايا؟.
نظر يوسف إلي عينيها وقال:
- وحتي إن طال الميعاد فلن يُلبسك ذلك الخاتم غيري ، لن تمشي بجوار أحد بذلك الفستان الأبيض إلا معي، لن أسمح لأحد بأن يقترب منك سواي، لن تُنجبي ذلك الطفل إلا مني وباختصار لن يشاركني بعمري سواكِ.
احمرت وجنتا مريم مما سمعته لترد قائلة:
- إحم إحم ...الكلام ده مايصحش يايوسف.
- نعم المذاهب الأربعة أجمعوا بجواز ذلك، تضحك مريم مخلفة سعادة في قلب يوسف ثم عاود النظر إليها قائلاً:
- مريم ....ممكن تكشفي وشك ...إنتى حلالي ياماما دلوقتي.
قالها يوسف وهو ينظر إلي عيني مريم لتقع أسيرة بين عينيه.
- عارفة يايوسف بس مكسوفة شوية.
لحظات قليلة لتستسلم مريم إلى رغبة يوسف أصبحت كأسيرة بين ضلعيه لا تقوى على الحراك ...ترفع مريم نقابها وكأن القمر أطّل بنوره على الأرض ....شعر يوسف بنوبة سقيع أثلجت فؤاده ثم قال:
- ربنا يحفظك ويحميكِ عهد عليا إني أتقي ربنا فيكي.
- وأنا عهد عليا أحافظ عليك.

انتهي ذلك اليوم الموعود تاركاً خلفه سعادة لا تقدر بثمن ...فهذا وعد الله للذين اتقوا "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ".
مر أسبوع وفيه أجرى يوسف التحاليل لتظهر نتيجتها.
- الحمد لله كدا مش هنحتاج لكيماوي تاني والنسبة تقدر تقول شبه مش موجوده بس خليك معانا تحت الملاحظة وربنا ييسر.
- اللهم لك الحمد يااارب.
يسرع يوسف بإمساك هاتفه ليطمئن مريم بذلك الخبر ....تغمر السعادة قلب مريم فحسن ظنها بالله سوف يتحقق......

## الفصل الثامن الأربعون

## ( ولنا في الحلال لقاء )

أعلم أن نسمات الهواء تحمل لكِ كلماتي، وأن قلبي يكتم آهاتي وآلامي، طال البعاد ولكنَّ الموعد آتٍ، لتكوني فيه حوريتي وحلالي، أمّاً لأولاي، مربية لأطفالي، فاصبري ياملاكي ورابطي على قلبك من الآهاتِ، حتى يجمع الله الشتات، لنكون تحت سقف رضا الرحمن المنانِ، عندها سآخذك إلى مدينة أحلامي، عندما تكونين حلالي، وأنتِ بين أحضاني، لأملأ قلبك بكل أماني، وأحقق كل آمالك، وأخفف آلامك......

خرج يوسف من المشفى بعدما قطع رحلة علاج قاربت سبعة أشهر، تعلم فيها يوسف أشياء كثرة استطاع بفضل الله وحده أن يجتازها مع يقينه بالله .... عاد إلى عمله بعد أن ابتعد عنه ....رحب الجميع به عند دخوله الشركة ..حقا محبة الناس لا تقدر بثمن .....

يجلس يوسف مع والديه على مائدة الطعام ....اشتاق حقا لتلك الجلسة التي حُرم منها ...

- إيه رأيك يابابا لو أفاتح عمي عبد الله ونحدد معاد الفرح؟
- خير يابني على بركة الله.
- مش كنت استنيت يابني شوية ...إنت مابقالكش أسبوعين خارج من المستشفي.
- الحمد لله ياماما بقيت أحسن بفضل الله ماتخافيش.

اتفق يوسف مع والده علا ذلك الأمر ....يمسك بهاتفه بعد أن أنها طعامه ليجري اتصالاً بوالد مريم يطلب منه المجيء لزيارته ...فبعد أن عقد على مريم أصبح يوسف مثل صهيب عندهم...

وفي غرفة الصالون ....

جلس يوسف وصهيب ووالده في غرفة الصالون تلك الغرفة التي شهدت جدرانها قصة حب يوسف ومريم ....ينظر يوسف حوله على تلك الجدران التي شهدت حبه لمريم ....لم يذق الحب إلا منها ...

- حمدالله علي سلامتك ياشيخ يوسف، وحشتني والله.
- الله يسلمك ياصهيب ...وإنت أكتر والله يا حبيبي.
- منور بيتك والله يابني.
- بنور حضرتك ياعمي.
- جبتلي البونبوني بتاعي ياعمو يوسف؟
- آسر تعالى هنا عيب كدا.
- سيبه يا صهيب ...آسر حبيب عمو ...اتفضل ياحبيبي.

في تلك الأثناء تدخل مريم بفستانها الفضفاض مع حجابها الذي يزيد وجهها نوراً فتلك المرة الأولى التي يراها فيها في بيتها بدون نقاب ...تدخل الأم خلف ابنتها مرحبة بيوسف ترحيباً شديداً.

- عمي أنا جاي بعد إذنك أحدد معاد الفرح.

كانت تلك الكلمات تكفي لجعل قلب مريم يتراقص من فرط سعادته .... اتفق يوسف على الموعد فقط عشرون يوماً تفصله عن اللقاء بمن ملكت قلبه ....

عاد يوسف إلى بيته والسعادة تملأ قلبه ....يريد أن تمر تلك الأيام كلمح البصر ...حقا يا ربي سألتقي بها أخيراً...هكذا قالها يوسف في نفسه ...يصل إلى منزله يزف الخبر إلى والديه ليشاركاه فرحته العارمة ....يسرع يوسف بالاتصال بأحمد وسديم ليزف لهما الخبر.

- السلام عليكم يا أحمد بيه ...طب يا أخي لو أعرف أنك هتعمل كدا مكنتش خرجت من المستشفى.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...أهلا بالغالي ...والله أبداً بس الشغل وأمي تعبانة شوية....المهم طمني سمعت إنك نزلت الشغل.
- ههههههههههه إنت قديم يابني ....دنا هتجوز كمان أسبوعين ولا تلاتة.
- بجد ....ألف مبروك ياحبيبي ربنا يتمم بخير يارب.
تبارك سديم لأخيها بعدما أخذت الهاتف من أحمد فور سماعها مباركة أحمد له ...فهي كالطفلة المدللة بالنسبة ليوسف ....

-----------------------------------------------------------------

صباح يوم الزفاف

- أحمد، تممت على كل حاجة؟.
- ماتقلقش ياعريس كله بتوفيق من الله؟.
- معرفش يا أخي ليه التوتر ده.
- معلش ..هي بس رهبة الموقف ....قالها أحمد وهو يربت يده على كتف يوسف ..
من ناحية أخرى.
- خايفة أوي ياسديم.....قالتها إيمان والارتباك يظهر عليها.
- ليه ياقلب سديم؟ ....هتبقي إن شاء الله قمر وأحلى عروسة.
- يارب سترك.

يخرج يوسف من غرفته بعد أن أنهى ارتداء ملابسه التي جعلته في أبهى صورة ..
قميصه الأبيض (الجلابية ) مع عمامته البيضاء المتدلي منها طرفان ...لحيته المهندمة ..كان نور الإيمان يشع من وجهه ....تضمه إليه والدته وهي تبكي ...يقبل يوسف يدها ورأسها سائلها الدعاء له.
يبارك له والده بعد أن قبل يوسف يده وهو يربت على رأسه ..يضمه أحمد إليه بعد أن مزح معه قائلاً له:
- إحنا كدا ممكن نتعاكس النهاردة.
ركب يوسف سيارته متجهاً نحو حوريته ليأخذها إلى القاعة ليتم الإشهار ...

يصل يوسف إلى القاعة ليمسك بيدها بعدما فتح لها باب السيارة متجهاً بها إلى الداخل ...أوصلها إلى قاعة النساء ثم دلف هو إلى قاعة الرجال ...
ينظر الجميع إلى يوسف كأنه ملاك، فالأبيض يزيده جمالاً، لحيته تنير وجهه...
يجلس يوسف وسط مجموعة من أصدقائه ومشايخه يهنئونه ويتمنون له حياة سعيدة.
- ألف مبروك ياحبيبي والله فرحتي بيك النهادرة ماتتوصفش.
- الله يبارك في حضرتك ياشيخ أويس ...كنت هزعل جدا لو ماجتش.

- أنا أقدر بردو ...سامحني بس الفترة اللي فاتت ديه كنت مسافر برة مصر.
- دعوة بردو ....طب خدنا معاك يامولانا.
تتعالى ضحكات أويس ثم قال:
- شد حيلك بس كدا في الجواز ...بعدها ربنا يسهل ..

تابع يوسف الترحيب بالحضور حتى دقت لحظة الانتظار ...أُعلن الأشهار ومعه أعلن يوسف عن فرحته الكبيرة....يحتضنه أحمد بشدة متنمياً له السعادة .....لحظات حتى أخذ والد مريم بيد يوسف إلى قاعة النساء .....

ذهب يوسف بصحبة والد مريم إلى قاعة النساء ليأخذ حوريته إلى جنتهم ....نعم جنتهم التي أعدها لمن ملكت فؤاده ...
دلف يوسف إلى قاعة النساء وكأن عينيه لم ترَ سوى مريم ...شعر يوسف بأن الزمن توقف عند تلك اللحظة ...أمسك بكلتا يديها وأكتفى بالنظر إلى عينيها ...فنظرات العيون أقوى تعبيراً عما نشعر به عن أي كلمات أخرى ....شعرت ببرودة تسري في جسدها مما أثلج فؤادها ....شرد يوسف في عينيها وكأنه بعالم آخر ...تشعر هي الأخرى بكل كلمة بداخله فنظراته تعبر عما في قلبه ...نسيا أن عيون الحاضرين تلاحقهما متمنية لهم سعادة أبدية ...فلقد جمع الله شملهما بعد أن مرّا بصعوبات لم تخطر على قلب بشر ولكن هيهات هيهات لتلك الصعوبات؛ فحبيبته معه الآن بين يديه بعد توفيق الله لهما ..
أخذ يوسف بكلتا يديها ليقع قبلة عليهما مما جعل حياءها يظهر على وجنتيها مخلفاً احمراراً كحبة تفاح أوشكت على القطف ..ثم أنشد لزوجته قائلاً:

هي زوجتي عنوانها عنواني... وحبيبتي بستانها بستاني
ورفيقة العُمر الذي أيامه ... في بيتها أزكي من الريحانِ
هي أم أبنائي وروضةُ مُهجتي...وشريكتي في الفرح والأحزانِ
هي من إذا ملَّ الفؤاد رأيتها...زهراً جديداً يانع الألونِ
وإذا أشتكيتُ من الصعاب وجدتها...سهلاً مريحاً لينَ الأركانِ
وإذا أتيت من الظهيرةِ مُتعباً ...كانت كأنفاس النسيم الحانى
يارب فاملأ بالمحبة بيننا...والود والإخلاص والإيمانِ

وقعت تلك الكلمات على قلب مريم لتجعله يتراقص على نغمات صوته العذب...تسقط دمعات من عينيها من فرط سعادتها؛ لأن الله جمعهمى سوياً.......

## الفصل التاسع والأربعون

## ( مشاعر غالية )

وصلا سوياً إلى جنتهم ....جنتهم التي ستكون مهداً لتلك الأسرة الدعوية التي تمنتها مريم ولكن تفاجأ يوسف بطلب مريم له وهي تقول:
- ممكن أصلي ركعتين لوحدي؟

دخلت مريم إلى غرفتها بعد أن وافق يوسف لتبدل ملابسها استعداداً للوقوف بين يدي الله – تعالى - ..فضلت أن تخلو بربها قبل أن تخلو بمن يتمناه قلبها، فهي حقاً نعمة الخلوة ...
ومع أول تكبيرة لم تتمالك نفسها من البكاء فهي إلي الآن تشعر بأنها تَحلُم وسوف تستيقظ قريباً..
منع نحيب صوتها ترتيلها لآيات فاتحة الكتاب ولكنها قاومت حتى أفرغت مابداخلها وهي ساجدة لله قائلة :
- يااارب لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ...لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض، اللهم لك الحمد يارب على استجابتك لدعائي ...أنت تعلم يارب أني كنت قد تركته من أجلك وها أنت تفيض عليَّ من رحماتك وتعطيني ماتركته ...وها أنا الآن يارب عاجزة أمامك عن شكرك ...يارب تفيض عليَّ من رحماتك وتعطيني ما تركته وأنا عاجزة عن شكرك يارب ...تعلم يارب أني لم أترك سجدة واحدة إلا وهو يأخذ أكبر نصيب من دعائي ....
تعلم يارب أن أول دعوة دعوتها عندما وقفت أمام بيتك المُحرم هي أن تهديه وتجعله إماماً يقودني إليك وأن تجعله من الدعاة إليك وإلى دينك يبلغ عنك وعن حبيبك في مشارق الأرض ومغاربها ....أُشهدك يارب أني سأكون له تلك الزوجة الصالحة حتى ترضي عني .....

أنهت صلاتها لتخرج من غرفتها تبحث عنه ...تقترب من الغرفة الأخرى لتراه جاثياً على ركبتيه مُطأطأ رأسه رافعاً كلتا يديه أمام وجهه يدعو ربه: ....
لم تسمع سوى شهقات مكتومة بداخله ، سمعت أنين صدره الذي كان يئن لله - تبارك وتعالى - ....شعر يوسف بها ليمسح دموعه على عجلة من أمره ....قام إليها بعد أن أنهى دعاءه ليقترب منها ممسكاً يديها، شعرت ببرودة تسري في جسدها ...رفعت رأسها فالتقت عيناها بعينيه فقالت:
- أعدك أن أكون لك ما تتمنى.
وضع يوسف قبلة علي كلتا يديها ثم عاود النظر إلي عينيها قائلاً لها:
- أعدك بأن أكون لك السند والرفيق والحبيب...ولكن إياكِ أن يمتلئ قلبك بي فأنا وغيري إلي زوال واعلمي يا أميرتي أن الله يغار على قلوب عباده ويحق له أن يغار ...فإذا شعرت بأن حُباً دنيوياً قد ملأ قلبك وفاض فاهربي إلى الله مني ومن الدنيا بأسرها ...فهو الباقي الذي لا يغيب وهو الصاحب في سفر الحياة وهو الكريم الذي لا يرد قلباً سهى عن حبه وذكره ولا تنسي بأن كل حب غير الله إلى زوال...

أراها بقلبها الحنون، تسقط منها الدموع، من بين الجفون، اقتربت منها وكانت يداه لدموعها منديلاً، أمسكت بيدها وقبلتها وكان المَقيلا ، سأكون لك وطنك النابض، مأوى لأنفاسك أشاركك أحلامك، أحقق آمالك، أخفف آلامك.

أذابت تلك الكلمات قلب مريم فقالت:
- يوسف إوعدني إنك ماتبعدتش عني.
- هو حد يقدر يتخلى عن روحه؟.
احمرت وجنتاها فازداد جمالها .....رفع يوسف وجهها بيده ثم وضع قبلة على جبينها جعلت مريم تسبح

في عالم آخر فقال:
- مش يالا بينا نصلي ركعتين سوا.

---

مر على زواجهما ما يقرب من ثمانية أشهر ويوسف يداوم على عمله صباحاً في شركته الصغيرة بعد أن استقل عن والده ثم أعماله الدعوية بداية من صلاة العصر ....شعرت مريم بغيرة تقتلها فهو معها وليس معها ...وفي أحد الأيام دخل يوسف المنزل ليجد مريم على غير العادة ...
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؟
- وعليكم السلام، قالتها مريم علة غير عادتها ليلاحظ يوسف ذلك.
- مالك يامريم في حاجة مزعلاكي؟
تنظر إليه مريم نظرة تحمل معنى الغيرة.
- فيه إنك بقيت مش مهتم بيا ومهتم بشغلك وماتكلمتش وبالليل بشوفك من مسجد لمسجد وأنا صابرة وبحتسب الأجر حتى يوم أجازتك مش بشوفك طب أنا حقي فين واللي مخليني هتجنن فلانة تكلمني وتشكر فيك سمعت درسك وعاجبها ...حتى أما بكون معاك كلهم بيشكرولي فيك كل ده كوم وكلامك عن الحور العين كوم تاني ...اتجوزت ليه طالما بتميل أوي ليهم كدا و تقول علينا حور طين ...

شعر يوسف بلهيب الغَيرة يجتاح قلب مريم مما زاد من سعادته ولكن يقطع شردوه كلمة مريم القاتلة.
- طلقني يايوسف ....طلقني طالما مابقتش أهمك ...طلقني عشان تروح للحور بتوعك.
لم يستطيع يوسف كتمان ما بداخله فأطلق ضحكة رغماً عنه فقال:
- الحور دول خدمك في الجنة وإنتى الملكة بتاعتهم.
- طب ليه سايب الملكة ومهتم بالخدم بتاعها؟

فكّر يوسف سريعاً فأجاب مازحاً:
- لأنك لسه في شكل دودة ...لسه مابقتيش فراشة.

- أنا دودة يايوسف .....طلقني ....طلقني.

أدرك يوسف الموقف ثم أخذها بين ذراعيه ليهمس في أذنيها قائلاً:
- إنتى عايزة تحكمي عليا بالموت؟ ....إنتى عارفة إنك النفس اللي باخده عمري ما أقدر أفكر في حد غيرك مافيش نساء بعدك بالنسبالي ....
احمرت وجنتا مريم من شدة خجلها ....... ثم تابع قائلاً:
- سامحيني أنا قصرت معاكي الفترة اللي فاتت بس صدقيني هعوضك عن كل حاجة وكنت محضرلك مفاجأة.
- مفاجأة إيه؟ ....قالتها مريم بلهفة.
- هنسافر إن شاء الله الحج السنة ديه.
غمرت السعادة قلب مريم لتسقط دمعاتها من شدة فرحها ...كفكف يوسف دمعات مريم قائلاً لها:
- هفضل طول عمري بحبك وهعيش وأنا بحبك وهموت وأنا بردو لسه بحبك.

- بعد الشر عليك ماتقولش كدا.
احتضن يوسف مريم فقد نالت من الدلال ما يكفي ليجعلها تشعر أنها ملكت العالم بيدها....

## الفصل الخمسون

## ( شك وانكسار )

مر على زواجهما أكثر من عام ونصف ولم يُرزقا طفلاً يحمل ثمرة حبهما ...يزداد قلق مريم يوماً بعد يوم فهي تشتاق ليرزقها الله بطفل يحمل ملامح يوسف حبيبها ....
وفي إحدى الليالي تتقلب مريم على سريرها فلم تجد يوسف بجانبها فقامت تبحث عنه لتجده يصلي ويبكي لله تضرعاً ويتمتم بالدعاء...
رجعت كما كانت إلى غرفتها وهي تبكي وتتألم تشعر بالعجز؛ لأنها لم تحمل إلى الآن فكل أم تشتاق إلى تلك اللحظة التي يداعب فيها ذلك الجنين أحشاءها ....

- مريم .....

تفاجأت مريم بصوت يوسف ينادي عليها ....شعرت به يقترب منها لتتفاجأ به يمسح دمعاتها.
- أنا عارف إنك صاحية.
اعتدلت مريم في جلستها.
- عرفت إزاي؟
- إنتى نسيتي ريحة البرفيوم بتاعتك؟ ....وبعدين ليه البُكا ده؟
- ببكي لإني مش عارفة أحققلك حلمك ....ببكي لإني عاجزة عن أخليك سعيد ...عارفة إنك نفسك تشوف طفل وقومت تدعي ربنا.

ابتسم يوسف لها ابتسامة تحمل معنى الحب والود ثم أخذ كلتا يديها وقبّلهما وقال:
- أولا أنا ماشتكتش وقولت حاجة ومؤمن إن ده قدر مُقدر من عند ربنا ومالكيش دعوة بيه ...
ثانياً وده الأهم إني شوفت كابوس إنك بتبعدي عندي وقومت أدعي ربنا يحفظك ليا.
- بجد يا يوسف؟ يعني إنت مش زعلان مني إني لسه مش حامل؟.
- ياحبيبتي أزعل منك ليه ....هو إنتى اللي بتحملي بمزاجك ...إحنا مؤمنين بقضاء ربنا.

-----------------------------------------------------------------

لم يهدأ قلب مريم البتة من الغيرة على يوسف فحبها له جعلها تغار عليه حتى من نفسها ...تستمع لثناء الناس عليه فتزداد غيرتها حتى صدمتها إحداهن وقالت:

- والله لو عندي بنت تانية كنت جوزتهاله.
قالتها تلك المرأة وهي لا تعرف أن مريم زوجته ....

يزداد قلق مريم بشأن يوسف ..بدأ الشيطان يتسلل إلى مريم موسوساً لها أنه سوف يتزوج الثانية لتنجب لها الولد ..ليقطع شرودها صوت يوسف:
- مريم.....سرحانة في إيه عمالة أكلمك؟
- معلش ياحبيبي ...كنت بتقول إيه؟
- كنت بقولك عاوزين نروح لبيت أهلك بقالنا فترة ماروحناش هناك ولا عند بابا وماما.
- أه فكرة وكمان سديم وحشتني أوي.
- طب خلاص هظبط مواعيدي وناخد يوم كدا أجازة.
- يوسف ممكن أسالك سؤال.
- اتفضلي.
- إيه نظرتك للتعدد؟

صمت يوسف قليلاً ثم قال:
- والله ياحبيبتي الأمر بإيدك إنتى مش بإيدي.

كتم ضحكاته مما ظهر على وجه مريم عقب رده:
- بص أنا عارفة إن ده شرع وربنا أجازهولك ومؤمنة بيه بس رأيك يهمني.

- بصي ياحبيبتي غريزة التغيير ديه ربنا وضعها في الراجل بيحب يغير وهنا بقي في نوعين: الأول الملتزم لو حس إنه بحاجة للأمر ده بيفكر في حلال ربنا ويتجوزعلى سُنة الله ورسوله، أما بالنسبة للنوع التاني فبتلاقيه إلا من رحم ربي بيمشي غلط وفي كلتا الحالتين الزوجة بتبقي السبب ولو هي شاطرة هتتغلب على النقطة ديه.
- طب إزاي تتغلب على النقطة ديه؟

شعر يوسف بريبة من نبرة صوت مريم ففضل عدم الإجابة ولكن زاد هذا من قلق وحدة مريم في التعامل مع يوسف لتُصر هي علي أن يجيبها فقال:
- يعني يامريم تِغَير من نفسها شكلها حتى معاملتها مع جوزها دلالها ...لازم تبقي ذكية وتلعب على النقطة ديه، ماتعندش معاه وماتقولوش: رايح فين وجاي منين والكلام ده؟.

شعرت مريم أن يوسف يقصدها بكلامه فقالت:؟
- طب هو أنا بعمل كدا معاك؟
- أنا ماقولتش إنك بتعملي كدا معايا.

شعر يوسف بحدة الموقف فأسرع في تلطيف الأجواء فقال:
- أنا معايا ملكة وسط أربع جدران مالية عليا حياتي وحاسس إني مش عارف أسعدها.

لم تشعر مريم بتلك الكلمات العذبة التي قالها يوسف من صميم قلبه ...فغيرتها كانت أقوى من مشاعرها تجاهه، وكذلك كان شكها أقوى.

--------------------------------------------------------------------------

وفي بيت أهل مريم:

- منورنا يابني إيه الغيبة ديه؟
- معلش ياعمي والله الشغل وإنت عارف.
ربنا يعينك.

تنفرد مريم بوالدتها في غرفتها لتشكو لها ما تشعر به.
- مش عارفة ياماما بقيت شاكه فيه بيرجع متأخر مابقاش يتغدى في البيت أوقات بيقوله معتكف فى المسجد هتجنن.

بكت مريم ثم ارتمت بين أحضان والدتها علها تهدأ قليلاً:
- اهدي يابنتي يوسف بيحبك استحاله هيكون متجوز ولا الكلام اللي في بالك ده.
- مش عارفة ياماما بس مش قادرة أكذب إحساسي.

ينتهي اليوم وفي طريق العودة.

- مالك يامريم من ساعة مانزلنا وإنتى مش بتتكلمي.
- مافيش.

لاحظ يوسف رد مريم فلم يُعقب .... دخلا سوياً إلى بيتهما ...فكر يوسف في إحضار هدية صغيرة لمريم ومعها ورد حتى تخبره ما بها ولكنه تفاجأ من رد فعلها عندما أخبرها أنه ذاهب.
- وياترى بقي هتبات عندها ولا عندي؟.
- هي مين ديه؟
- السنيورة الجديدة بتاعتك.
- سنيورة ! ! وبتاعتي !!
- أه إنتَ فاكرني مغفلة ولا على وداني روح يالا يابابا اشبع بيها ما أنت هتفضل طول عُمرك كدا فعلاً اللي فيه طبع عمره ما هيتغير بتحب العلاقات ..عمرك ماهتتغير من أيام الجامعة وإنت كدا.
لم يصدق يوسف ماسمعه للتو من مريم ....استشاط غضباً ولا يعرف كيف يتصرف فنفث عن غضبه ورمي بزهرية كانت موضوعة بجانبه ثم خرج تاركاً إياها وحيدةً ...

مر من الوقت ما يقرب من ثلاث ساعات ....عاد يوسف إلى منزله ليجد مريم في انتظاره تريد الاعتذار ولكن عن ماذا؟ عن تلك المشاعر التي تبعثرت كحبات الرمال المتطايرة ...أم على انكسار قلب يوسف؛ لأنها تعايره بماضيه؟ ...دخل يوسف الغرفة الثانية تاركاً إياها وحيدة ...ظلت مريم تبكي طوال الليل ولا تعرف للنوم طعماً ...كيف تعرف للنوم طعماً بعد أن جرحت حبيبها كل هذا الجُرح؟!.
في الصباح قامت بتحضير الإفطار له كعادتها ولكنه ذهب دون أن يودعها كعادته ...دون أن يضع تلك القبلة على جبينها ...... بكت مريم على ما فعلت ...شعرت بأنها خسرت يوسف ...

# الفصل الواحد والخمسون

## ( البُشرى )

كلما زاد التعلق بغير الله زادك الله مرَّ التعلق به ....أحبته نعم فلقد أحبت مريم يوسف حباً جنونياً جعلها تشك فيه ....ظل يوسف متجنباً إياها قرابة عشرة أيام لا يأكل معها، هجرها بكل ما تحمل الكلمة من معنى ...كان يقضي طلبات المنزل ...بل كان يتعمد أن يجلس أطول وقت ممكن دون الحديث معها ...كان العقاب شديداً عليها ...فما أقسى الحليم إذا غضب! ...

في إحدى الليالي عاد يوسف إلى المنزل ولم يجد مريم على عادتها تستند على الحائط تنظر إليه نظرة استعطاف ....لم يبالِ في بداية الأمر ولكن شيءٌ ما حرك قدميه ليدخل إلى غرفة النوم ليجدها فاقدة للوعي ....لم يفكر يوسف في شيءٍ سوى مريم حبيبته هل أصابها مكروه؟ ...يسرع يوسف في نقلها للمشفى بعد أن ألبسها ثيابها ...

وفي السيارة:

- أحمد، السلام عليكم ....مريم لقيتها مغمى عليها وأنا في طريقي للمستشفى تعالالي على هناك بسرعة.

أمسك يوسف يدها بعد أن أنهى حديثه وأغلق الهاتف......يسمع يوسف تأوهات تصدر من مريم تَكاد تُسمع.

- بحبك والله  إمممممممم أنا آسفه سامحني.

قالتها مريم وهي تتأوه ..فهي فاقدة للوعي بسبب ذلك النزيف.

يصل يوسف  إلى المشفى في سرعة البرق.. حملها على كتفيه على أقرب سرير متحرك ليدخل بها إلى قسم الطوارئ...

لحظات ويصل أحمد وسديم إلى المشفى.

- في إيه يا يوسف؟ مريم مالها؟

- معرفش ياسديم ...معرفش.

قالها يوسف وهو في حالة من الانهيار فحياة من حلم بها على وشك أن تفضي إلى بارئها.

وبعد مرور ما يقرب من الساعتين يخرج الطبيب حاملاً معه ما لم يخطر  على قلب يوسف.

- ها يادكتور طمني.

- الحمد لله الأم بخير .. والجنين.....

لم يكمل الطبيب كلماته ليقطعه يوسف قائلاً:

- جنين إيه يادكتور؟!!!!

قالها يوسف وقلبه يرتجف.

- الجنين بخير الحمد لله.

- حامل ..... طب هما بخير؟

- الحمد لله هما حالتهم استقرت الحمد لله.
غمرت الفرحة قلب يوسف ليطلب من الطبيب أن يرى مريم ولكنه طلب منه الانتظار قليلاً.

لحظات ويدخل يوسف إلى الغرفة ليجد المحلول مُعلقاً في يد مريم ...سحب ذلك الكُرسي ووضعه بجانب السرير وجلس ثم قال:
- كدا بردو تخضيني عليكي؟.
لم تستطع مريم البوح بندمها من شدة بكائها .....يحاول يوسف تهدئتها.
- اششششش ليه بس الدموع ديه كلها؟
- أنا آسفة حقك عليا ....أنا معرفتش أعبرلك عن مدى غيرتي عليك....يوسف غصب عني.

قالتها مريم وبعدها قبلت يد يوسف محاوله إرضائه.
- خلاص ياحبيبتي حصل خير شيطان ووقع بينا بس ممكن تفهمي حاجة .....أنا عمري ماكنت بتمنى من ربنا حاجة قد إنه يجمعني بيكى تفتكري أفرط في نعمته عليا ....إنتى الهوا يامريم ...إنتى كل حاجة يا ماما بالنسبالي إزاي تقدري تفكري إني أتخلى عنك؟.
- معلش يايوسف تقدر تقول غيرة زيادة حب.

قاطعها يوسف محاولاً التخفيف عنها فقال مازحاً:
- أو غباء.
تتعالى ضحكات يوسف ومريم سوياً ....أمسك يوسف كلتا يديها وقال:

- كدا بردو الدكتور يقولي إنها في حالة ضعف وده غلط على اللي في بطنك.
- مكنتش قادرة أكل من غيرك ...مش متعودة.
نظر يوسف إلى عيني مريم وقال:
- مبروك يا أم دُجانة.
- الله يبارك فيك يا أبو دُجانة.

قطعت سديم تلك اللحظة وهي تقول:
- تيرا را را را ...اعزف معايا يا أحمد يالا.
ضحك الجميع مما فعلته سديم فقد كان ذلك الخبر بمثابة صفحة جديدة بين يوسف ومريم ....شعرت مريم بقيمة وقدر يوسف في حياتها......

فرح الجميع بذلك الخبر ها هي ثاني حفيدة ستأتي في عائلة المهندس جمال المصري بعد حمل سديم في عمر ..

---

تمر الأيام وتضع مريم مولودتها الصغيرة وتغمر الفرحة قلب يوسف فهي تشبهها كثيراً .....

شايفة دُجانة شبهك إزاي؟
- لا شبهك إنت ياحبيبي.
- ربنا يباركلي فيكم يارب.

قالها يوسف ثم وضع قبلة على جبين مريم.... لم يصدق يوسف عطاء الله له ....خرج من الغرفة ليدخل في الغرفة الأخرى يصلي لله على عطائه وكرمه له.......

## الفصل الثاني والخمسون

## ( أضغاث أحلام )

تتمثل حياتنا في بعض الذكريات التي كانت أحلاماً ثم تحققت بعد فضل الله - سبحانه وتعالى -.....

أصبح يوسف صاحب أكبر شركة هندسة في مصر ...كَبُرت دُجانة حتى عامها الخامس .....وها هي مريم تحمل طفلها الثاني بين أحشائها .....اجتهد يوسف وأحمد في أعمالهما الدعوية حتى أصبحا الاثنان كفريق دعوي ...جمع الله قلوب الشباب عليهما وألّف بينهما ....

وفي السيارة يعلو رنين هاتف أحمد.
- السلام عليكم ....حبيبتي معلش أنـــ .....
ويقطع كلامه صراخ سديم:
- الحقني أنا بولد يا أحمد

تصل سديم إلى المشفى بعد أن وصل أحمد ويوسف إليها .....
- أحمد هروح أودي عمر عندي في البيت ماينفعش يبقى هنا.
- ربنا يبارك فيك يا يوسف معلش هتعبك.
- تعب إيه يابني إحنا أخوات.

تخرج الطبيبة حاملة معها البُشرى.
- الحمد لله الأم و الطفل بخير.

دقائق معدودة ليدخل أحمد إلى الغرفة ليجد سديم و طفلته الجديدة.
- الحمد لله على سلامتك يا حبيبتي.
- الله يسلمك يا أحمد ....شوفت بنتك شبهك إزاي.
- ده من حبك فيا أكيد...
ينظر أحمد إلى سديم و يترك العنان لقلبه ليتجدد ذلك الشعور من جديد.
- عارفة إيه الدعوة اللي في كل سجدة بدعيها.
- إيه؟
- بقول الحمد لله الذي وهبني الصالحة المصلحة ...بجبك ياسديم.

- مش أكتر مني يا أحمد ....أنا اللي بحمد ربنا كل يوم.
يدخل يوسف الغرفة على عجل.
- الظاهر إني جيت في وقت مش مناسب.
- يا أخي الله يهديك قطعت علينا أجمل لحظات حياتنا كنت خبط يا يوسف.
- معلش ياشيخ أحمد ...عاوز أطمن على أختي بحبها يا أخي.

تتعالى ضحكات أحمد ويوسف على ذلك الموقف ....يصل والدا يوسف للاطمئنان على سديم.
- مبروك يابنتي ربنا يباركلك فيها.
- الله يبارك فيكي ياماما.
- ها هتسموها إيه يابنتي؟
- لسه يابابا ماتفقناش أنا وأحمد.
- إيه رأيك نسميها ساجدة؟
- الله يا أحمد حلو أوي.

تمر الأيام و السعادة تملأ قلب العائلة ..تجمعت العائلة كعادتها في بيت والد يوسف.
يجلس أحمد مع يوسف ووالده بينما تساعد سديم و مريم والدة يوسف في إعداد الطعام.
- مش كنتي ريحتي نفسك يابنتي عشان حملك.
- الحمد لله يا ماما أنا كويسة مش تعبانة ...ولا مش عاوزاني أتعلم منك عشان يوسف بيحب أكلك
- ربنا يسعدكم يارب.

بينما يجلس يوسف مع والده وأحمد إذ بدُجانة تأتي إليه تبكي.

- مالك ياحبيبتي بتعيطي ليه؟.
- عمر يا أبي ضربني.

- معلش أخوكي الصغير.

تجلس العائلة بأكملها على مائدة الطعام والسعادة تغمر قلوبهم ينهي يوسف طعامه ليجلس في غرفة الصالون .....تدخل مريم حاملة في يديها القهوة.....

---

يشعر يوسف بمن يربت على كتفيه.
- إنت نمت ياحبيبي؟.

يمسك يوسف بيد مريم ويقبلها ثم يجلسها أمامه على كرس المكتب.

- الظاهر كدا فعلا نمت ......افتكرت قصة حياتي كلها والتزامي وإزاي حبيتك وتعبي وجوازنا ....حتى أما افتكرتي إنى متجوز عليكى.
- يااااه ......لسه فاكر كل ده بعد 10 سنين؟.

- إزاي طيب أنسى اللي ملكت روحي وعقلي ووجداني ....إزاي أنسى أم دُجانة وأويس؟ ....إزاي أنسى أرق و أحلى مريم.
احمرت وجنتاها مما زادها جمالاً .....
- بحبك يا يوسف.
- مش أكتر مني ياحوريتي.
يقطع عليهما تلك اللحظة دخول دُجانة مسرعة وهي تقول:
- أبي أبي .... أويس ضربني.

يضمها يوسف بين ذراعيه ويمسح على شعرها المنسدل على كتفيها.
- ماتزعليش ياحبيبتي أخوكي الصغير ......أويس ...أويس.
يدخل أويس غرفة المكتب.
- نعم يا أبي.
- تعالى يا حبيبي......كدا بردو تزعل أختك منك ينفع كدا الراجل يزعل أخته أمال مين يدافع عنها بعد كدا صح ياحبيبي ؟
- صح يا أبي مش تزعلي مني يا دُجانة ومش هزعلك تاني عشان أنا بحبك أوي.
يحتضن أويس دُجانة أخته لتقف مريم تنظر إلى الموقف وتترقرق عيناها بالدمع .....
تخرج دُجانة و أويس من غرفة المكتب تاركين الأجواء لوالديهما.
- بحب فيك حنيتك.
- بس!
- كل حاجة فيك بتعجبني ربنا يباركلي فيك يارب.

تمت

2017/5/1

أحمد عطا